سلسلة الكتاب المقدس وقضايا العصر

الإنسان ومعنى الحياة

(دراسة فى سفر الجامعة)

بقلم
الدكتور القس مكرم نجيب

دار الثقافة

طبعة أولى

الإنسان ومعنى الحياه(دراسة فى سفر الجامعة)
صدر عن دار الثقافة - ص.ب ١٢٩٨- القاهرة

١٠/ ٨١٠ ط١/١-١/ ٩٩
رقم الإيداع بدار الكتاب: ١٦٧٥٩/ ٩٩
I.S.B.N. 977 - 213 - 510 - 8
جمع وطبع بمطبعة سيوبرس
تصميم الغلاف: إخلاص أسعد

الفهرس

مقدمة السلسلة

هناك احتياج دائم أن نواجه ظروفنا المتغيرة على ضوء كلمة الله الثابتة. وبتعبير آخر، نحتاج دائما أن نعيد قراءة كلمة الله المقدسة والموحى بها، والنافعة لكل العصور للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر (٢ تيمو ٣ : ١٦ – ١٧)، لكى تخاطب واقعنا وعالمنا اليوم لكى يسمع شعب الرب كلمة الرب تتحدث إليهم برسالة معاصرة، فتكون طاعتهم طاعة حقيقية.

وهى معادلة ليست سهلة، تحتاج إلى استنارة الروح القدس بجانب الاستعداد الجيد، وتحتاج إلى الأمانة للنص المقدس وقدرة على فهمه الفهم الصحيح، وإلى الحساسية للمجتمع المعاصر بمتغيراته وهمومه وأمواجه المتلاطمة وقدرة على المتابعة والتحليل للأحداث والأفكار، حتى يتم التواصل والتفاعل الناجح والمؤثر والمغير. وهذا هو دور الرعاة والوعاظ والقيادات المهتمة بالتعليم فى الكنيسة اليوم. فنحن خدام للكلمة، وخدام للكنيسة فى مجتمعها، ومهمتنا أن نحضر كل إنسان كاملاً (ناضجاً) فى المسيح يسوع (كو ١ : ٢٣ – ٢٨)، وأن نعمل على التجديد والتنوير المستمر لكل الجماعة.

ولقد حاولت جهدى بإمكانياتى المحدودة أن أقدم بعض الدراسات للكنيسة المحلية فى أجزاء مختلفة من

كلمـــة الله، واستعنـــت بالعديـــد من الدراســات خاصـــة نمـوذج مجموعـــــة " **الكتـاب المقـدس يتحـدث اليـوم** " وغيرهـا، وبالتالى شجعنى الكثيرون أن تظهر هذه الدراسات مطبوعة لتصل إلى دوائر أوسع. أصلى أن يكون هذا الجهد المتواضع نافعاً ومثمراً لمجد المسيـــح وبناء الكنيســـة.

القس مكرم نجيب

المدخل

برغم كل التقدم الذى نراه فى العالم الآن، والذى يتمثل فى ثوراته واكتشافاته العلمية والتقنية Techno-Science، أى العلم وتطبيقاته التكنولوجية فى مجالات عديدة، الاتصالات والمعلومات، والصناعات الدقيقة، والفضاء، والليزر، والهندسة الوراثية. وبرغم كل التحولات فى السياسة والاقتصاد، والمناداة بنظام عالمى جديد، وأصوات ومنظمات تدعو إلى الحرية والسلام والعدالة وحقوق الإنسان وحرية التعبير والاعتقاد إلى آخره .... برغم كل هذا، فالإنسان العادى المعاصر، أو رجل الشارع، يشعر – كما يقول والتر كايزر فى كتابه " Total life " صـ٧ – أنه إنسان بلاستيك plastic وأن الحياة بالنسبة له لغز محير.

فالبلاستيك رمز للمادة المستخدمة فى كل شيء، وفى نفس الوقت هشة وفارغة من الداخل. والإنسان الآن يشعر أنه مُستخدم ومسُتغل فى كل المجالات، فى الاقتصاد والسياسة والاجتماع وحتى فى الدين. ويشعر أنه شيء وليس شخصاً، ويفتقد الشعور بالكرامة والخصوصية الإنسانية، ويعانى الاغتراب والعزلة والإحساس الأليم بالوحدة. ويعيش الشعور الدائم بالخوف، الخوف من العنف والجريمة والمخدرات وقوة السلاح، الخوف من البطالة وفقدان الضمان الصحى وانخفاض مستوى المعيشة.

يرى الإنسان المعاصر العبث والفوضى فى كل مكان وفى كل شىء، فى طغيان القوة، والمعايير المزدوجة، فى سياسة بلا أخلاق أو مبادىء، وفى هلاك الأبرياء فى المجاعات والحروب الأهلية ومنظمات الإرهاب الدولى، وفى التناقض الظالم فى العالم فلقد قرأنا فى الجرائد اليومية أن ثلاثة من رجال الأعمال الأمريكيين يملكون ثروة تزيد عن ميزانية ٤٨ دولة من الدول النامية. فبعد أن كان العالم مقسّماً بواسطة خط رأسى بين غرب وشرق أثناء الحرب الباردة، أضيف إليه الآن خط أفقى يقسم العالم بين شمال وجنوب. والآن من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب، يواصل الأغنياء والفقراء السفر إلى اتجاهات مضادة، فلا أمان فى أى مكان.

رأى الإنسان المعاصر كل هذا، وفقد الثقة والأمان، وأصبح كل شىء نسبياً من حوله. ضاعت الثوابت واليقينيات التى عرفها من قبل، فاستخف بكل قيمة، وتمرد على كل سلطة، وجرّب كل شىء .. وفى النهاية مازال يشعر بالفراغ والضياع واللامعنى والانسحاق، مازال وهو يتطلع إلى قرن جديد قادم يعانى من الحيرة والقلق ويتساءل .. هل يوجد معنى للحياة يعيش الإنسان من أجله ؟. وهل يمكن تحقيق الحياة المتكاملة المشبعة فى هذا العالم ؟

الإنسان المؤمن ليس بعيداً عن هذا الصراع، فهو يواجه نفس لغز الحياة، ويطرح العديد من الأسئلة ويبحث عن إجابة لها .. يتساءل :

* كيف أعيش حياتي في هذا العالم ؟
* كيف أعيش حياة يقبلها العالم ويقدرها ويرضى عنها الله ؟
* وهل تشمل خطة الله الحياة في العالم والحياة في المسيح في نفس الوقت كأبعاد للخطة الإلهية الواحدة ؟
* وطالما أن هناك خطة إلهية فلماذا نراها أحياناً غير فعالة ؟
* وأين الخير والصالح في مآسي الحياة ؟
* وأين قيادة الله الحكيم والقوى والصالح عندما يواجه المؤمن محن الحياة ويبدو أن الله غير موجود ؟
* هل الحياة بكل ما فيها عطية من الله ؟ أم أنها شريرة ؟
* وهل من حقي الاستمتاع بالحياة ؟ وكيف ؟

من هنا كان التوجه إلى هذا السفر الهام، سفر الجامعة، في محاولة للإجابة على هذه الأسئلة. إنه سفر يمثل الاحتياج الملح لإنسان العصر الحاضر الذي يريد أن يعيش حياته من جديد، ليسترد معنى الحياة وفرحها وملئها وشبعها. فماذا يقدم السفر ؟ وكيف يجيب على تساؤلات الإنسان ؟ هذا ما نراه ونستمع إليه عندما نتوقف أمام فكرة السفر، ثم نتقدم معه وبرفقته إلى النهاية.

تقديم السفر

بالطبع لا نقدم هنا "مقدمة " لسفر الجامعة كما هو معروف فى كتب المقدمات، ولمن يرغب فى الحصول على مزيد من الدراسة حول السفر أن يرجع إلى هذه الكتب. ولكننا نريد فقط أن نلقى الضوء على بعض الجوانب التى تساعد فى فهم السفر، وفى وضوح فكرته الرئيسية التى تجاوب على أسئلتنا المثارة.

الاسم

اسم الجامعة فى العبرية Qoheleth يطلق على قائد جماعة Qahal. وفى الترجمة السبعينية للعهد القديم جاءت Ekklesiastes من Ekklesia وفى الفولجاتا والترجمات الإنجليزية مثل السبعينية Ecclesiastes ولكن فى شكل لاتينى.

الكلمة تعنى " الواعظ "، " المتحدث "، " الرئيس "، " الفيلسوف "، وأحياناً " الأستاذ أو المعلم ". وقد جاءت ٧ مرات فى السفر فى صيغة اسم الفاعل المفرد المؤنث feminine participle لأنها تشير إلى الوظيفة وليس إلى اسم شخصى، إنها تعنى الشخص الذى يجمع مجموعة من الناس ليحدثهم من موقع رسمى معين.

الكاتب والكتابة والتاريخ

والسؤال الآن، من هو هذا الشخص ؟ من الذى كتب سفر الجامعة؟ هل هو سليمان الحكيم كما يفهم البعض من (١ : ١) ؟ وهل ما جاء فى (١ مل ١١ : ٤١) " وبقية أمور سليمان وكل ما صنع وحكمته أما هى مكتوبة فى سفر أمور سليمان " يشير إلى سفر الجامعة ؟. أم أنه كاتب حكيم جامع للأمثال مشبع بحياة سليمان وحكمته المشهورة كما فى (جا ١٢ : ٩ – ١٢) " بقى أن الجامعة كان حكيما وأيضا علم الشعب علما ووزن وبحث وأتقن أمثالا كثيرة. الجامعة طلب أن يجد كلمات مسرة مكتوبة بالاستقامة كلمات حق. كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة أرباب الجماعات قد أعطيت من راع واحد. وبقى فمن هذا يا أبني تحذر. لعمل كتب كثرة لا نهاية والدرس الكثير تعب للجسد ".

أم أن الكاتب أكثر من شخص بناء على الأجزاء المختلفة لدرجة التناقض، والضمائر المتغيرة بين الأول والثالث، والإضافات التفسيرية الموجودة ؟ . هل هو حوار بين أثنين الأول شخص حكيم hakam مثل الأجزاء الموجودة فى (٤ : ٥ ، ٧ : ١١ و١٢ و١٩ ، ٨ : ١ ، ٩ : ١٧ و١٨ ، ١٠ : ٣ و١٢ و١٤أ و١٥) والثانى تقى hasid مثل (٢ : ٦ ، ٣ : ١٧ ، ٧ : ٢٩ ، ٨ : ٢و٣ و٥ و٦ ، ٨ : ١١ – ١٣ ، ١١ : ٩ ب ، ١٢ : ١ و١٣ و١٤) ؟.

أم أن هنـــاك أكثر من شخـــص كما تقول نظـــريـــة (Mc Neile) التـــى تقـــول بكاتـــب أصلـى بالإضافـة إلى الحكيم والتقى ثـم تلميـذ محرر أم ناشر؟ .

وهكذا نجد الانقسام بين الـرأى التقليـدى الـذى ينـادى بسليمان، ويـرى خبراته وحكمته فى السفر، ويضع تـاريخ الكتابة مبكـراً أيام سـليمان ٩٧٧ ق.م تقريباً، وبين الرأى الذى يميل إلى كُتاب آخرين أو كاتب آخر مشبع بحياة سليمان ويحب الحكمة والأمثال، ولغته بها تأثيرات يونانية، وظروفه الإجتماعية والسياسية متأخرة، وبذلك يكـون التـاريخ مـا بـين ٢٥٠ ق.م أو ٢٠٠ ق.م أو ١٨٠ ق.م.

فى السفر نرى أيضا تشابهـاً بيـن بعض أجــزائــه وبعض أدب الحكمـــة فى الشرق الأدنى القديم. فالبعـــض يـــرى التشابـــه بيـــن (جـا ١٢ : ٣ – ٧) و "نصـائح بتاح حوتـــب " ٢٧٠٠ –٢٤٠٠ ق.م، وبين (جـا ٩ : ٧ – ١٠) و" ملحمـة جلجميـش " البابليـة ٢٠٠٠ ق.م . ممـا يـدل علـى معرفـة الكاتب بهذه الآداب القديمة.

كل هذه وغيرها جوانب طيبة يجب أن نعرفـها،لكـن السـؤال الحيـوى هـو ماذا يريد السفر أن يقول لنا الآن ؟ ما هو موضوعه ؟ ما هى رسالته للإنسـان المعاصر فى صراعه وبحثه عن الحياة المتكاملة فى هذا العالم ؟

أدب الحكمة

فى حياة الشعب الإسرائيلي القديم، توجد ثلاث فئات من الناس، كما هو معروف ومسجّل فى العهد القديم. هذه الفئات الثلاث هم جماعة الكهنة، وجماعة الأنبياء، وجماعة الحكماء.

فى سفر إرميا توجد فقرة تربط بين الكتب التاريخية وكتب الحكمة، يقول النبى إرميا فى (إر ٨ : ٥ – ١٢) " فلماذا ارتد هذا الشعب فى أورشليم ارتدادا دائما. تمسكوا بالمكر. أبوا أن يرجعوا . صغيت وسمعت. بغير المستقيم يتكلمون . ليس أحد يتوب عن شره قائلا ماذا عملت . كل واحد رجع إلى مسراه كفرس ثائر فى الحرب. بل اللقلق فى السموات يعرف ميعاده واليمامة والسنونة المزقزقة حفظتا وقت مجيئهما. أما شعبى فلم يعرف قضاء الرب . كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا. حقا إنه إلى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب. خزى الحكماء ارتاعوا وأخذوا. ها قد رفضوا كلمة الرب فأية حكمة لهم. لذلك أعطى نساءهم لآخرين وحقولهم لمالكين لأنهم من الصغير إلى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبى إلى الكاهن كل واحد يعمل بالكذب . ويشفون كسر بنت شعبى على عثم قائلين سلام سلام ولا سلام. هل خزوا لأنهم عملوا رجسا . بل لم يخزوا خزيا ولم يعرفوا الخجل . لذلك يسقطـــون بين الساقطين فى وقت معاقبتهم يعثرون قال الرب ".

ونحن نتساءل ما الذى يريد إرميا النبى أن يقوله ؟ إنه يريد أن يقول إن المهم ليس فقط امتلاك كلمة الله، بل التجاوب الصادق مع هذه الكلمة (إر ٨ : ٧ و ٨) . ويضع مقارنة قوية بين ما تفعله طيور السماء، عندما تتجاوب وتطير فى المواعيد المعروفة فى طاعة جماعية واحدة، مهاجرة نحو الجنوب عند حلول فصل الشتاء، وبين الشعب فى رفضهم كلمة الرب، وفى جهلهم بقضاء إلههم، هم والقادة الذين بينهم . وكما وجُد بين الكهنة والأنبياء من هم مخلصون حقيقيون، ومن هم مزيفون وغير مخلصين، هكذا نجد فى فئة الحكماء . ولذلك نرى فى أجزاء كثيرة من العهد القديم توبيخ هؤلاء القادة لفشلهم فى خدمة الرب (حز ٧ : ٢٦ ، إر ٨ : ٨ و٩ ، ١٨ : ١٨) .

لكنه من المعروف أيضاً أن بعضاً من حكماء العهد القديم، أصبحوا من " كتبة " أو " نسّاخ " " scribes " العهد الجديد، وأن مجموعة من هؤلاء الكتبة أصبحت معروفة فى المرحلة المسيحية فيما بعد بإسم " سوفريم " Sopherim ، الذين عملوا - أو بعضا منهم - على ظهور النص المعروف باسم " النص الماسوراتى " Massoretic text ، وهو النص الذى أدخلت الحركات Vowels فيه وأُضيفت على النص العبرى التقليدى.

كما أنه من الواضح أن هذه الفئة الثالثة فى اسرائيل، فئة الحكماء، كانت جزءاً من حركة أدبية وفكرية عالمية، ونحن نستطيع أن نرى ذلك من

خلال الكتاب المقدس نفسه. فمن المعروف أن هناك أدباً للحكمة فى مصر، وكنعان، وآشور، وبابل، وسومر.

ونجد فى الكتاب المقدس بعض تعليقات عن حكمة آدوم فى العدد السابع من سفر عوبديا، وفي الإصحاح التاسع والأربعين من نبوة إرميا. ويقول والتر كايزر فى كتابه " العهد القديم والوعظ المعاصر " ص ١١٧، أن واحداً من أصحاب أيوب الثلاثة المذكورين فى (أي ٢ :١١) ربما يكون أدومياً.

وهناك إشارة إلى حكمة صور فى نبوة حزقيال (حز ٢٧، ٢). وفى سفر التكوين نجد الحديث عن حكمة مصر (تك ٤١)، وكذلك فى سفر الخروج (خر ٧) ونبوة إشعياء (إش ١٩ : ١١- ١٥) . وفى (١ مل ٤ : ٣٠) نجد الحديث عن حكمة سليمان التى فاقت حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر.

ويذكر الكتاب المقدس أيضاً إشارات عن الحكمة الوثنية، أى الحكمة التى تمتلكها شعوب وثنية ، مثل حكمة بابل فى (إش ٤٤ وإر ٥٠ ، ٥١)، وحكمة فارس فى (أستير ١ : ١٣) وفى أماكن كثيرة أخرى . وهذا يعنى أن الحكمة لم تكن حكراً على شعب بعينه، بل هى نعمة عامة من الله لجميع الناس .

هذا عن الحكمة كحركة أدبية وفكرية عالمية، ولكن ما هو موقف الحكمة الكتابية كما هى فى الكتاب المقدس؟.

على هذا السؤال يجيب والتر كايزر فى الكتاب الذى أشرنا إليه سابقاً، فيقول إن كتب الحكمة فى الكتاب المقدس هى إعلان إلهى . وهى توضيح للوعد والوصية اللذين نجدهما فى أسفار الشريعة . فإن كان الأنبياء فى العهد القديم هم وعّاظ الشريعة ومعلنو الوعد، فكتّاب الحكمة هم معلمو الوصية أولاً، وثانياً وبدرجة أقلّ هم شرّاح الوعد . هذا يعنى أن كتب الحكمة تحمل نفس الحق الذى تحمله الوصية، ولكن بطريقة عملية، إنها ترينا كيف تكون الحياة وكيف يجب أن نحيا حياة حقيقية ذات معنى، حياة تستحق أن نحياها كعطية من الله .

ويوضح لنا الكتاب المقدس الطريق إلى هذه الحكمة، فيقول إن طريق الحكمة يبدأ بخوف الله، فرأس الحكمة مخافة الله . وخوف الله هو موقف فى القلب ينتج من العلاقة الصحيحة مع الله، ويعبر عن هذه العلاقة والشركة . وبهذا الموقف وهذه الشركة نستطيع أن نرى وحدة عمل الله فى الكون، فهو كونه الواحد His universe أو "One verse"، هذه الوحدة التى نراها بوضوح فى كتب الحكمة . يقول المرنم فى المزامير " ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صَنعتَ ... " (مز ١٠٤ : ٢٤)، " عظيمة هى أعمال الرب مطلوبة لكل المسرورين بها " . هذا يعنى، أننا فى كتب الحكمة نستطيع أن نرى معنى وهدفاً لعالم الله

الذى خلقه. وفى سفر من أسفار الحكمة، كسفر الجامعة الذى نحن بصدده الآن، يمكننا أن نرى الوحدة الرائعة لكل الأشياء، على أساس كلمة الرب .

هنا نردد مع الحكيم " مخافة الرب رأس المعرفة . أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب " (أم ١ : ٧)، ومع المرنم " رأس الحكمة مخافة الرب . فطنة جيدة لكل عامليها . تسبيحه قائم إلى الأبد" (مز ١١١ : ١٠)، " ناموس الرب كامل يرد النفس. شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما. وصايا الرب مستقيمة تفرح القلب . أمر الرب طاهر ينير العينين . خوف الرب نقى ثابت إلى الأبد . أحكام الرب حق عادلة كلها". (مز ١٩ : ٧ – ٩).

الموضوع والرسالة

سفر الجامعة من بين الأسفار التى نسميها كتب الحكمة فى العهد القديم، وهو عبارة عن مجموعة من أقوال وأمثال الحكمة. أطلق عليه كثيرون عبارة " أدب التشاؤم "، ويرون أنه سفر تشاؤمى، مأساوي، سلبى، قدرى، مادى، تجريبى، يعتمد على الشك ورسول يأس. لدرجة إن البعض يتساءل : لماذا اذن يرد هذا السفر في الكتاب المقدس ؟ وتكون إجابتهم أنه موجود فى الكتاب المقدس فقط كمقارنة تبرز الفرق بينه وبين تعاليم سائر أجزاء الكتاب المقدس !! (كتاب " القيمة الكاملة ص ٢٢٨).

يتسم السفر بالتناقضات الداخلية وتقلبات الفكر. مرات يتحدث عن الموت كنهاية للحياة والوصول بها إلى العدم، ومرات يؤكد مراراً وتكراراً حتمية الدينونة الإلهية. مرات يتحدث عن مظالم الحياة تحت الشمس، ومرات يتحدث بثقة انه " يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه " (٨ : ١٢). مرات يتحدث عن بطل الحياة وكل شىء ولا منفعة تحت الشمس، ومرات يتحدث عن ضرورة الاستمتاع بالحياة والإقبال عليها. مرات يتجنب الحديث عن الله والإيمان والوصايا، ومرات فى أواخر السفر يتحدث عن الإيمان كمركز للحياة، وبدونه لا حياة حقيقية متكاملة.

جيروم رأى أن السفر يعلم بُطل الحياة وعدم نفعها واليأس منها، فقاد شابة فى روما اسمها Blessila من خلاله إلى حياة الرهبنة، مرتكزا على الأجزاء التى رآها إنها تدعو إلى هذا الاتجاه . اتجاه آخر رأى أن السفر " وجودى " يدعو إلى " اللذات الدنيوية العالمية "، واعتمدوا على الأجزاء التى رأوا أنها تدعو إلى هذا الاتجاه . اتجاه ثالث قال أن السفر ينادى " بالقدرية "، واعتمد على الأجزاء التى فهمها هو أنها تنادى بذلك مثل (١ : ٤ - ١١ ، ٣ : ١ - ١٥ ، ٧ : ١٣ و١٤ ، ٩ : ١١) .

* فهل كحل لمشكلة الإنسان ينادى سفر الجامعة بالانسحاب من العالم ؟ ..لا
* وهل يدعو إلى الانغماس فى اللذات الدنيوية العالمية ؟ أبداً ..
* وهل يكرّس القدرية وينكر حرية الإنسان واختياراته، وينفى عنه مسئوليته؟ غير صحيح . إذن بماذا ينادى السفر ؟ وما هى رسالته الرئيسية لنا هنا والآن ؟

يكشف الجامعة محاولات الإنسان الفاشلة أن يجد معنىً وسعادة فى الحياة، مع كل مجالات وإمكانيات وقدرات العالم، بعيداً عن معرفة الله الخالق والسيد، الحكيم والمعتنى، القاضى والديان . والعبارة المفتاحية هى التى جاءت فى (٣ : ١١) " صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها (بدونها) لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله الله من البداية إلى النهاية " إنه يريد أن يقول أن شعار " باطل الأباطيل "

ليس حكماً على الحياة عامة، بل على السعى البشرى المضلل الذى يعامل العالم المخلوق كأنه غاية فى ذاته. إن أهمية العالم تكمن فى صيرورته واسطة لإعلان صلاح الله وحكمته وبره، ولكن عندما يعامل الإنسان العالم كغاية فى ذاته ويريد أن يربحه بأى ثمن، هنا ينقلب العالم إلى بُطل.

إن السفر يريد أن يقول أنه فى مواجهة ظلمة وعبثية الحياة البعيدة عن الله، توجد دعوة لحياة الإيمان بإله طيب صالح. ويستخدم الكاتب ثنائية السماء والأرض، السماء مكان سكنى الله، والأرض مكان سكنى الإنسان والتى يشير إليها - إلى الأرض - بعبارة " تحت الشمس " أو "تحت السموات " . ثم يجرى مناقشة طويلة تشمل أجزاء كثيرة من السفر، فيها يجعل الله بعيداً عن الحسبان، فيكتشف عقم الحياة فى كل شىء إذا خلت من الإيمان العملى بالله . وعندئذ يقدم لنا الله بطريقة مثيرة فيتوارى إصطلاح " تحت الشمس "، و تظهر عبارات أخرى مثل " يد الله" (٢ : ٤)" فرح الإنسان " (٢ : ٢٦ ، ٣ : ١٣ ، ٥ : ١٨) وسخاء الله (٢ : ٢٦ ، ٣ : ١٣ ، ٥ : ١٩) وخوف الله (٣ : ١٤ ، ٥ : ٧ ، ٧ : ١٨ ، ٨ : ١٢ و ١٣ ، ١٢ : ١٣) ودينونة الله للصديق والشرير (٣ : ١٧ ، ٨ : ١٢ و ١٣ ، ١١ : ٩ ، ١٢ : ٧ و ١٤) ورؤية الله لنوعية حياة كل واحد (٣ : ١٥ ، ٥ : ٦ ، ٧ : ٢٩ ، ٨ : ٥ و ١٣ ، ١١ : ٩ ، ١٢ : ١) وتتكرر عبارة " الله يعطى " ١٢ مرة، ويعطى الفرح للإنسان سبع مرات .

إن الجامعة يريد أن يقول أن معنى الحياة وشبعها فى السماء والأرض معاً، الله والإنسان معاً، الحياة فى العالم والحياة في الله وفى نور وصاياه وإرشاده . إنه يريد أن يخلصنا من وهم حياة وردية اللون، واثقة بالذات والإمكانيات والحكمة والثروة واللذة والعدالة والكمال بدون إله . فبالإيمان بإله صالح أعد لنا طريق الحياة الأفضل، يمكن أن نختبر معنى الحياة المتكاملة المشبعة القادرة على التكيف الصحيح مع الواقع الذى حولنا، مهما كانت ظروف ومفردات وإمكانيات هذا الواقع . وربما نذكر نظرية عالم النفس النمساوى فيكتور فرانكل العلاج بالمعنى والتى بناها على خبرته الشخصية فى معسكرات النازى، هناك وجد بعض ملاحظات ومشاهدات طويلة أن الإنسان الذى يرى لحياته معنى، ويعيش لهدف يملأه، يستطيع أن يصمد ويتحمل كل ألوان التعذيب والألم، ويكون جديراً بآلامه . أما الذى لا يملك معنى وهدفاً لحياته فسرعان ما ينهار وينتهى . والجامعة يقول أننا نجد المعنى والشبع فى الحياة من خلال الإيمان بهذا الإله الصالح.

والجامعة فى صراعه، كما يقول ثوبرن Thobrun وجون تيلور John B.Taylor ، بحثاً عن معنى الحياة المشبعة و غرض الوجود، وتساؤلاته عن عدالة الله وعالم شرير، عن الحكمة والحماقة، عن الشر و الظلم و الموت، عن الوقت والفرصة، يريد أن يكشف لنا بعض الحقائق

عن اللـــه - كما يقول ديـريك كـايـنـدر Derek Kinder ، والـتـر كـايزر Walter C. Kaiser مثل :

* أن الله هو الإله الخالق (٧ : ١٣) " أنظر عمـل الله لأنـه من يقدر علـى تقويم ما قد عوجه "، (١١ : ٥) " كما أنك لست تعلم ما هى طريق الريح ولا كيف العظام فى بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الـذى يصنـع الجميع " .

* وهو الإله صاحب السلطان (٢ : ٢٦) " لأنه يؤتى الإنسان الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحاً . أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويـم ليعطـى للصالح قدام الله، هـذا أيضـاً باطـــل وقبض الـــريح"، (٦ : ٦) " وإن عـاش ألـف سنة مضاعفة ولم ير خـيراً أليـس إلى موضـع واحـد يذهـب الجميع" .

* وهـو الإلـه صاحب الطـرق السـامية عـن الأفـهام والحكمـة البعيـدة عـن الإدراك، ولذلك يجـب أن نقبـل الأمـور كمـا هـى مدركين أنـها معرضـة وقابلة للتغيير بإستمرار (٧ : ١٤) " فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشـر اعتبر . إن الله جعل هذا مع ذاك لكيـــلا يجد الإنســـان شيئـــاً بعـده"، (٨ : ١٧) "رأيـت كـل عمـل الله أن الإنسان لا يستطيع أن يجـد العمـل الـذى عُمل تحـت الشمس . مهما تعب الإنسان فـى الطلـب فـلا يجـده والحكيم أيضاً وإن قال بمعرفته لا يقدر أن يجده" .

وهكذا يريد الجامعة أن يقدم، كما يقول فورمان وآخرون، في استحضار لقصة الإنسان في تكوين ١ - ١١، و محاولته الاستقلال عن الله والتمرد على وصاياه، وقصة السقوط والتعب واللعنة والدينونة والموت، وهول الصراع الإنساني في داخله وحوله، بين حفنة التراب ونسمة القدير وجهل الإنسان، حتى هابيل نجد نفس الاسم في العبرية يعني " باطل ". أقول يريد الجامعة أن يقدم لإنسان العصر إعلاناً مزدوجاً، الأول " باطل الأباطيل الكل باطل " (١ : ٢) بعيداً عن الله، والثاني " فلتسمع ختام الأمر كله إتق الله وإحفظ وصاياه لأنه هذا هو الإنسان كله،" لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً " (١٢ : ١٣ ، ١٤) .

بل أكثر من ذلك نراه يركز في الخاتمة على الخلاصة التي يريدها أن تظل حية في الأذهان . هذه الخلاصة التي هي " ختام " (sop) كل شئ أو " الأمر كله " (hakkol)، لا نجد فيها أي حديث عن " الكل باطل " بل " إتق الله وإحفظ وصاياه " وخوف الله أو تقوى الله يعني طاعة الله وحفظ وصاياه، كما أن خوف الله هنا مرتبط بدينونة الله " لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة. وهذا الترابط بين خوف الله ودينونة الله لا نجده فقط في الخاتمة بل في كل السفر (٣ : ١٤ ، ٥ : ٧، ٧ : ١٨ ، ٨ : ١٢ و ١٣ ثلاث مرات) هذه الشواهد تتحدث عن خوف الله، لكن

فى نفس هذه الإصحاحات نجد الحديث عن دينونـــة الله (٣ : ١٧ ، ٥ : ٨ ، ١١ : ٩ ، ١٢ : ٧ و١٤).

إن الجامعة يريد أن يقول فى النهاية لكل إنسان فى هذا العصر، إن من له الله ومن يحيا فى خوفه ورضاه، وعمل مسرته وحفظ وصاياه، له الحياة فـى أنبل وأفضل معانيها، الحياة التى هى أجمل عطية من الله للإنســان، بــرغم كل تناقضاتها وحيرتها . نعم " صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم "، فالحياة بكل ما فيها، بدون الله، وهم وعقم.

ونحن نشكر الله، نحن الذين إنتهت إلينا أواخر الدهور، وتمتعنا بفداء المسيح، لم تصبح الحياة فى عيوننا لغزاً وسفراً مختوماً . بل جاء المسيح، الأسد الغالب الذى من سبط يهوذا أصل داود، والخروف القائم كأنـه مذبوح، وفك ختوم السفر السبعة. والآن أصبحنا فى المسيح نستطيع أن نفهم الماضى بشكر، ونفهم الحاضر بإيمان وثقة، ونتطلع إلى المستقبل برجاء وطمأنينة.(رؤ ٥ : ١-١٠).

أصبحنا نستطيع أن نردد مع القديس أوغسطينوس إعترافه، ومع الرسول بولس صيحته، ومع الشاعر نداءه . فى الإعتراف يقول أوغسطينوس " يا إلهنا لقد خلقتنا لذاتك ونفوسنا لن تجد راحتها إلا فيك "، ويقول الرسول بولس فى صيحته الشهيرة " ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة أبتُلع الموت إلى غلبة ....

إذاً يا إخوتى الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين فى عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب " (١ كو ١٥ : ٥٤ ، ٥٨).

أما النداء فيقول الشاعر :

أيها الإنسان يا من تهت فى كل طريق
تبتغى ملكاً وسيعاً تشتهى كل بريق
أى نفع أنت ترجو لو ربحت العالمين
وخسرت النفس حالاً وغدا الكل حريق

أيها الإنسان هيا ها هو صوت الحبيب
يطرق الباب برفق مستمر كى تجيب
فافتح القلب وعجّل وتمتع بالصليب
وإرتد البر رداء وإقبل الروح السكيب
أيها الإنسان مهلاً أنت روح وجسد
كل ما فى الكون قد يغنيك حيناً لا أبد
أنت لا يغنيك إلا ربك الحى الصمد
عنده تلقى عزاءً وسلاماً وسند

مناسبة القراءة

على أساس هذا التوجه الفكرى للسفر الذى درسناه معاً، يكون الجامعة سفر " إحتفال الفرح "، الفرح بشخص الله والفرح بخليقة الله الصالحة، والفرح بالحياة التى هى عطية من الله ومجال وفرصة لتمجيده.

بناءً على هذا المفهوم كان السفر يُقرأ فى اليهودية فى اليوم الثالث لعيد المظال. وهو يذكرنا بتوبيخ نحميا للشعب لبكائهم ونوحهم فى العيد عيد المظال ودعوته لهم للفرح فى قوله لجميع الشعب " هذا اليوم مقدس للرب إلهكم لا تنوحوا ولا تبكوا . لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة . فقال لهم اذهبوا كلوا السمين واشربوا الحلو وابعثوا أنصبة لمن لم يعد له لأن اليوم إنما هو مقدس لسيدنا ولا تحزنوا لأن فرح الرب هو قوتكم " (نحميا ٨ : ٩ و١٠).

والكلمة العبرية Simhah تعنى " فرح " أو " سرور "، والفعل Samah يعنى يفرح ويسر، وقد تكرر هذا الفعل فى سفر الجامعة ١٧ مرة . هذا يعنى أن السفر احتفال للفرح

بعطايا الله الصالحة فى حياة إنسان يخاف الله ويحفظ وصاياه .

التحليل والتقسيم

يرى البعض أن السفر مفكك التركيب، متناقض الأجزاء، غامض المفردات، إلى آخر ما أشرنا إليه من قبل . وبالتالى فهو فى نظرهم لا يتسم بالوحدة والتجانس، ومن الصعب وضع تقسيم مترابط له .

البعض الآخر حاول وجود تسلسل فكرى للسفر، وكان المعيار هو الهدف الذى يتجه إليه الجامعة، والتقدم والتطور داخل السفر الذى يصل به إلى هذا الهدف المنشود. وفى داخل هذا الاتجاه نجد أكثر من محاولة نرصد بعضاً منها، وفى نفس الوقت نتبنى ونؤيد أكثر هذه المحاولات قرباً إلى الخط الفكرى الذى انتهجناه فى رسالة السفر.

من بين هذه المحاولات من رأوا أن عبارة " باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ..." هى فاصل ختامى

لكل قسم في السفر، وبالتالي قسّموا السفر على هذا الأساس.

آخرون تبنوا تقسيم السفر على أساس الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي، سواء كان ذلك في شكل قسمين متساويين مثل محاولة Ronald Kenneth Harrison في كتابه " مقدمات العهد القديم" (١٩٦٩) صفحات ١٠٧٨ – ١٠٧٩ حيث قسم سفر الجامعة إلى مقدمة ١ : ١ -١١ وخاتمة ١٢ : ٨ -١٤ وبينهما وضع القسمين الرئيسيين الأول ١ : ١٢ -٦ : ١٢ حول بطل الأشياء والثاني ٧ : ١ -١٢ : ٨ عبارة عن قواعد سلوكية . أو في شكل قسمين غير متساويين الأول الأصحاحات ١ – ٤ والثاني الأصحاحات ٥ – ١٢، أو في شكل ثلاثة أقسام متساوية يتكون كل قسم من أربعة أصحاحات. وتعليقنا أنه أمام طبيعة تركيب سفر الجامعة كما درسناها، يصعب تقسيمه إلى أجزاء نظرية وعملية لأن التداخل بين الجانبين النظري والعملي أو التطبيقي موجود في كل أجزاء السفر.

على أن هناك أكثر من محاولة سارت الى حد كبير في اتجاه تقسيم السفر إلى أربع مناقشات. الأولى نجدها في

الدراسة التي قدمها Michael A.Eaton لسفر الجامعة ضمن سلسلة Tyndale التي قدمتها دار الثقافة مترجمة باسم " التفسير الحديث للكتاب المقدس " . والثانية ضمن سلسلة The Bible speaks to Day في الدراسة التي قدمها Derek Kinder عام ١٩٧٦، مع ملخص موجز آخر كل قسم من الأقسام الأربعة . أما المحاولة الثالثة والأخيرة والتي سارت على نفس النهج مع اختلاف في حدود كل مناقشة فهي ضمن سلسلة Bible Commentary ، وقد قدّمها : أستاذ العهد القديم المعروف Walter C. Kaiser عام ١٩٧٩. ويعلن كايزر أنه اعتمد في هذا التقسيم على البحث الذي نشره Vaihinger في مجلة Princeton Review عام ١٨٤٨، واستخدمه أيضا Keil في مقدمته التي كتبها لسفر الجامعة عام ١٨٤٩. وهذه المحاولة الأخيرة هي التي نقتدي بها في تقسيمنا للسفر، وفي تقدم دراستنا له جزءاً بعد الآخر.

بناء على ذلك ينقسم سفر الجامعة إلى أربع مناقشات أو أربعة أقسام وكل قسم يشتمل على ثلاثة أجزاء وينتهي بخاتمة على النحو التالي :

المناقشة الأولى

التمتع بالحياة كعطية من الله ١ : ١ -٢ : ٢٦

١	تصويـر بُطـل وأتعاب الحيـاة	١ : ١ – ١١
٢	امتحان أفراح وملذات الحياة	١ : ١٢ – ٢ : ١١
٣	فحص أهـداف وغايـة الحيـاة	٢ : ١٢ – ٢٣
٤	خـاتــمة	٢ : ٢٤ – ٢٦

المناقشة الثانية

فهــم خطـــة الله الشاملـــة ٣ : ١–٥ : ٢٠

١	المبـــــدأ	٣ : ١ – ١٥
٢	الحقائـــق	٣ : ١٦ – ٤ : ١٦
٣	التحذيـرات	٥ : ١ – ١٧
٤	خاتـــمة	٥ : ١٨ – ٢٠

المناقشة الثالثة

شرح وتطبيق خطـــة الله ٦ : ١ - ٨ : ١٥

١	التقييم المناسب لظروف الإنســان	١٦ : ١ - ٧ : ١٥
٢	التقييم المناسب لشخصية الإنســان	٧ : ١٦ - ٢٩
٣	دور الحكومة الصالحة	٨ : ١ - ١٤
٤	خاتـــمـــة	٨ : ١٥

المناقشة الرابعة

إزالـة المفشّلات وتطبيـق خطـة الله علـى حيـاة المؤمنـــين ٨ : ١٦ - ١٢ :١٤

١	لغز الحياة يجب أن لا ينزع الفرح الإنساني	٨ : ١٦ - ٩ : ٩
٢	لغز الحياة يجب أن لا يمنعنا من العمل بكل القوة	٩ : ١٠ - ١١ : ٦
٣	دعوة للحياة فى نور الأبدية	١١ : ٧ - ١٢ : ٨
٤	خاتمـــة	١٢ : ٩ - ١٤

المناقشة الأولى

التمتع بالحياة كعطية من الله

(١ : ١ – ٢ : ٢٦)

فـى هـذا القسـم يتحـدث الجامعـة - كمـا رأينـا - عـن التمتـع بالحيـاة كعطيـة مـن الله، مـن خـلال مناقشـة متدرجـة . تبـدأ المناقشـة بتصويـر بطـل أتعـاب الحيـاة ١:١-١١، ثـم تصـل إلى امتحـان أفـراح وملـذات الحيـاة ١ : ١٢ – ٢ : ١١ ، وتتطـور إلى فحـص ومراجعـة أهـداف وغايـة الحيـاة ٢ : ١٢ – ٢٣ ، ثـم تنتـهى بخاتمـة فـى ٢ : ٢٤ – ٢٦.

وكمـا أن السـفر كلـه عبـارة عـن مناقشـة أكـبر تتجـه إلى الخاتمـة التـى تشـكل الهـدف والإجابـة فـى ١٢ : ١٣و١٤ لكـل الأقسـام الأربعـة الرئيسـية للسـفر، وأن كـل قسـم يضيـف شـيئا إلى نمـو وتطـور المناقشـة حتـى نصـل إلى الخاتمـة، وأننـا لكـى نفـهم هـذا السـفر بأقسـامه فـهماً صحيحـاً لابـد أن نتوقـف أمـام الخاتمـة، إذن يمكـن تطبيـق نفـس القيـاس علـى كـل قسـم علـى حـدة. فلكـى نفـهم هـذا القسـم بأجزائـه الثلاثـة، لابـد أن تكـون خاتمـة القسـم ٢ : ٢٤ – ٢٦ ماثلـة أمـام عيوننـا بوضـوح وباسـتمرار، وأن نعـود إليـها بـين الحـين والآخـر أثنـاء دراسـة

كـل جـزء علـى حـدة، ولـو فـى إشـارة سـريعة تذكرنـا بـالهدف والإجابـة، إلى أن نتوقـف أمامـها بـالتفصيل فـى نهايـة القسـم .

القسم الأول

تصور بُطل وأتعاب الحياة

(١ : ١ - ١١)

" كلام الجامعة ابن داود الملك فى أورشليم . باطل الأباطيل قال الجامعة. باطل الأباطيل الكل باطل . ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس. دور يمضى ودور يجىء والأرض قائمة إلى الأبد . والشمس تشرق والشمس تغرب وتسرع إلى موضعها حيث تشرق . الريح تذهب إلى الجنوب وتدور إلى الشمال . تذهب دائرة دورانا وإلى مداراتها ترجع الريح. كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن. إلى المكان الذى جرت منه الأنهار إلى هناك تذهب راجعة . كل الكلام يقصر . لا يستطيع الإنسان أن يُخبِرَ بالكل . العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلىء من السمع . ما كان فهو يكون والذى صنع فهو الذى يصنع فليس تحت الشمس جديد . إن وجد شيء يقال عنه انظر . هذا جديد. فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا . ليس ذكر للأولين . والآخرون أيضا الذى سيكونون لا يكون لهو ذكر عند الذين يكونون بعدهم . "

فى هذا النص، وبعد إعلان الجامعة عن نفسه فى العدد الأول (انظر تقديم السفر)، نستطيع أن نرى ثلاثة أمور متدرجة، الواحد يقود إلى الآخر الذى يليه فى

المناقشة : فكرة الموضوع (٢ و ٣) صور من الطبيعة (٤ - ٨) نظرة إلى التاريخ (٩ -١١).

أولاً : الموضوع ١ :٢ و٣ :

والموضوع يقدمه في شكل شعار وسؤال ...

أ- الشعار :

" باطل الأباطيل الكل باطل " (٢). وكلمة " باطل " Vanity " وهي بالعبرية hebel تقابلها الكلمة اليونانية التي استخدمها الرسول بولس في (رو ٨ : ٢٠) mataiotes عندما قال الرسول " إذ أخضعت الخليقة للبُطل، ليس طوعاً بل من أجل الذي أخضعها على الرجاء". والكلمة تعني في أصلها " بخار" أو " نفخة".

ويحاول ثيوفيل ميك Meek Theophile أن يذكرنا أن كلمة " باطل" تأتي بمعاني مختلفة حسب السياق التي تجيئ فيه في السفر. ففي (٦ : ١٢) تعني " فارغ empty "، فعبارة " مدة أيام حياة باطلة " تعني " مدة أيام حياته الفارغة " وعليه تكون الآية" لأنه من يعرف ما هو خير للإنسان في الحياة مدة أيام حياته الفارغة التي يقضيها كالظل ... " وفي (٦ : ٤) " لأنه في الباطل يجيئ وفي

الظـــلام يذهـــب وإسمـــه يغطـــى بالظـــلام " تجيـــئ الكـلمـــة بمعنـــى " شـــئ مـؤسـف " sorry thing فـــى إطـــار القرينـــة فـــى عـــددى ٣ ،٥ . وفـــــى (٨ : ١٤) " يوجـــد بـــاطل يجـرى علـــى الأرض. أن يوجـــد صديقـــون يصيبـــهم مثـــل عمـــل الأشـــرار ويوجـــد أشـــرار يصيبـــهم مثـــل عمـــل الصديقـــين. فقلـــت إن هـــذا أيضـــاً بـــاطل ".تجيـــئ الكلمـــة بمعنـــى " شـــىء لا معنـــى لـــه " senseless thing أو عبـــث لا جـدوى منـــه . وفـــى (١١ : ١٠) " فـــأنزع الغـــم مـــن قلبـــك وأبعـــد الشـــر عـــن لحمـــك لأن الحداثـــة والشـــباب بـــاطلان " تجيـــئ بمعنـــى " زائـــل " transient فالحـــداثـــة والشبـــاب " باطـــلان " أى " زائـــلان ". وهكـــذا يعمـــق الجامعـــة الفكـــرة باســـتخداماته المختلفـــة للكلمـــة " بـــاطل "، وبـــإبرازه المعـــانى والوجـــوه المتعـددة لهـا حسـب السـياق الـذى تـرد فيـه .

وعبـــارة " الكـــل بـــاطل " - كمـــا سـبق وذكرنـــا - ليســـت حكمـــاً عامـــاً علـــى الحيـــاة، بـــل تنســـحب علـــى كـــل النشـــاطات البشـــرية المســـتقلة عـــن الله، وهنـــا يكـــون سفـــر الجامعـــة كمـــا يقـــول Derek Kinder مقتبســـا مـــن G.S.Hendry - عمـــلا رئيســـياً مـــن أعمـــال الدفاعيـــات Apologetics". فـــهو يتحـــدث إلى عامـــة النـــاس الذيـــن تنحصـــر اهتماماتـــهم بآفـــاق هـــذا العـــالم، ويناقشـــهم مـــن نفـــس موقفـــهم، ويبـــدأ بإقناعـــهم

ببطلان هذا الموقف. فالسفر في حقيقته نقد تحليلي للدنيوية Secularism وموقف واضح منها،ورسالته حيوية في عالم وعصر تسيطر فيه الاتجاهات الدنيوية على عقول وسياسات وأنشطة الجميع من حكام ومحكومين، ويقف ضد كل المحاولات التي تجعل من الدين مجرد أداة للدنيوية . وتقف رسالة الجامعة عند " الكل باطل " فقط بالنسبة للشخص الذي يرضى بتجاهل الله، لكن للمؤمن فبطل الحياة لا يستبعد فهو " خاضع للبطل" " يئن" مع الخليقة (رو ٨ : ٢٠ ٢٣)،ولكنه يملك في نفس الوقت عناصر رؤية إيمانية جديدة شكلت نظرته الشاملة للحياة. فهو " يعرف " ما الذي يحدث (رو ٨ : ٢٢) " وينظر " بمنظور مختلف (٢كو ٤ : ١٨) " ويرجو ويتوقع " شيئاً مختلفاً (رو ٨ : ٢٥).

ب -السؤال :

" ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذي يتعبه تحت الشمس " (٣). هذا السؤال يذكرنا بسؤال الرب يسوع في انجيل مرقس " ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه .." (مر ٨ : ٣٦). وكلمات مثل " ينتفع "، " ربح "، " ما الفائدة " هي كلمات عالم التجارة

عـــالم البيزنـــــس The world of business كمـــا يســـميها J.F.Genung . ويقـــول لنـــا جونـــز " Jones الحيـــاة لا تدفـــع أرباحـــاً". فـــإن كـــان المجـــال الأرضـــى خاضعـــاً للبطـــل، فـــهل هنـــاك نفـــع أو إرضـــاء نـــهائى كـــامل فيـــه؟ . وأى ربـــح يســـتطيع أن يكســـبه الإنســـان فـــى العـــالم لا يتحتـــم عليـــه أن يتركـــه أخـــيرا ؟.

وفى الموعظة على الجبل استخدم يسوع عبارة " على الأرض "، مقابل عبارة الجامعة " تحت الشمس"، فى قوله " لا تكنزوا لكم كنـوزا علـى الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون و يسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزا في السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا" (مت ٦ : ١٩ – ٢١).

قـال يسـوع لمـن جـاء يسـأله " يـا معلـم قـل لأخـى أن يقـاسمني المـيراث "، وأراد أن تصـل كلماتـه إلى السـائل وإلى الجمـع مـن حولـه، فقـال " انظـروا وتحفظـوا مـن الطمـع، فإنـه متـى كـان لأحـد كثيرٌ فليسـت حياتـه مـن أموالـه ". ثـم ضـرب لـه مثـل الغنـى الـذى أخصبـت كورتـه، والـذى غـرق فـى دنيويتـه متناسـياً حقيقـة وجـود الإلـه الصـالح الـذى مـن يـده هـذه العطايـا، ومتناسـياً حقيقـة زوال الأشـياء وقصـر الحيـاة. وهنـا

قال له الله " يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك فهذه التى أعددتها لمن تكون . هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنياً لله " (لو ١٢ : ١٣ - ٢١).

وعبارة تحت الشمس - كما درسنا - تشير إلى العالم وقد وردت أكثر من ٣٠ مرة فى سفر الجامعة . والعبارة مرتبطة بكلمة " باطل "، فإذا كان كل رجاء أمل الإنسان محدود فقط بهذا العالم الباطل، فالجواب " لا منفعة" " لا فائدة " " نحن أشقى جميع الناس " " لا هدف " للإنسان من كل تعبه تحت الشمس . لكن علينا أن نربط عددى ٢ ، ٣ بالخاتمة فى ٢ : ٢٤ - ٢٦ لنرى المنفعة والفائدة والهدف والمعنى الحقيقى.

يقول " لورانس " فى " أعمدة الحكمة السبعة " عندما كان فى الأسر ما معناه فى العربية :

" يا إلهى، لقد كنت متحرراً من كل زهراتك

ولكننى بحثت عن ورود العالم الحزينة

ولهذا دميت قدماى

وغطى العرق عينى ! ".

وفى الموعظة على الجبل استخدام يسوع عبارة " على الأرض " مقابل عبارة الجامعة " تحت الشمس " فى قوله " لا تكنزوا لكم كنوزا على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون . بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضا." (مت ١٩ –٢١).

ثانيا : صور من الطبيعة ١ : ٤ – ٨ :

هذا الموضوع الرئيسى الذى قدمه الجامعة مباشرة فى العددين الثانى والثالث على هيئة شعار وسؤال، " باطل الأباطيل الكل باطل .. ما المنفعة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه "تحت الشمس"، يصبح أكثر وضوحا وتأكيدا فى الأعداد التالية . فهو يريد أن يؤكد صحة مقولته من خلال بعض صور الطبيعة .

وفى مجال الطبيعة يلتقط الجامعة أربع صور : الأرض، والشمس، والريح، والأنهار .

فـى الأرض يقـول فـى (عـدد٤) " دور يمضـى ودور يجـىء " " أى جيـل يمضـى ويذهـب وجيـل آخـر يـولد ويجـىء "، ولكـن " الأرض مازالـت " قائمـة " أى ثابتـة.

وفـى الشـمس يقـول فـى (عـدد ٥) أنـها لا تقـدم راحـة للإنسـان فـى تعبه وعنائـه، فـهى تشـرق وتغـرب فـى حركـة دائريـة مسـتمرة يومـاً بعـد الآخـر .

وفـى الريـح والأنـهار فـى (أعـداد ٦ و ٧) نجـد نفـس الحركـة الدائريـة المسـتمرة المتكـررة سـواء فـى دوران الريـح أو جريـان الأنـهار .

هـذه الصـور تؤكـد الموضـوع الرئيسـى عـن طريـق فكرتـين . الأولى ثبـات وبقـاء صـورة الطبيعـة نسـبياً مقـابل الذهـاب والـزوال المتكـرر والسـريع للإنسـان فـى هـذا العـالم، عـبّر عـن هـذه الفكـرة الكـاتب الصحفـى عبـد الوهـاب مطـاوع فـى حديـث لـه عبـارة عـن مجموعـة قصـص تحكـى قصـة الإنسـان بعنـوان " أهـلاً .. مـع السـلامة " عبـد الوهـاب مطـاوع أى حالمـا يولـد الإنسـان ونسـتقبله بكلمـة " أهـلا "، سـرعان مـا نودعـه بكلمـة " مـع السـلامة "، والثانيـة أن كـل مـا فـى العـالم، كالشـمس والريـح والأنـهار علـى سـبيل المثـال،

تتحـرك بصـورة رتيبـة دائريـة دائمـة متكـررة لا تغيـير فيـها وفـى نفـس الوقـت لا تـترك للإنسـان إلا التعـب والمعانـاة.

ومـا ينطبـق علـى هـذه النمـاذج التـى ذكرهـا، ينطبـق علـى كـل شـىء فـى العـالم الطبيعـى، فكـل الأشـياء تـدور وتتكـرر. والنتيجـة فـى (عـدد ٨) لا توقـف لـدوران وتكـرار كـل شـىء، ولا شـبع أو راحـة للإنسـان أبـداً، " كـل الكـلام يقصـر لا يسـتطيع الإنسـان أن يخـبر بـالكل " تـترجم وتعنـى أن الإنسـان لا يجـد الكلمـات التـى يعـبر بـها عـن هـذا التكـرار اللاهـث، والتعـب المضنـى الغـير مشبع فـى كـل شـىء فـلا شـىء يتغـير ولا شـىء يشـبع. ولذلـك يضيـف " العـين لا تشـبع مـن النظـر والأذن لا تمتلـىء مـن السـمع". أى أن حواسـنا مـهما أطعمناهـا لا تشـبع ولا تكتفـى.طالمـا أن الإنسـان توقـف عنـد حـد الحـواس فقـط، وعنـد حـدود " تحـت الشـمس " . ولم يسـتطع أن يعلـو بالإيمـان فـوق المجـال الدنيـوى لـيرتبط بإلـه صـالح، وبقيـم إيمانيـة توجّـه الحـواس وتـهّدف الحيـاة.

إن الجامعـة يريـد أن يقـول، إن الطبيعـة التـى تغنـى وتسـبح لتمجـد الخـالق، إذا نظـرت إليـها مـن منظـور " تحـت الشـمس" فقـط، وأخـذت عنـها إلهـها وخالقـها، فلـن يبقـى لهـا إلاّ البطـل والرتابـة والفنـاء، ولا يبقـى للإنسـان إلا التعـب والعنـاء. لكـن

هــذا الكــون universe هــو verse - One ، أنشــودة واحــدة تسـبّح الخـالق العظيــم " السـموات تحــدث بمجــد الله والفلــك يخـبر بعمـل يديــــه " (مــز ١٩ : ١).

ثالثـا: نظــرة إلى التــاريخ ١ : ٩ - ١١:

مــرة أخــرى يتقــدم الجامعــة بالمناقشــة، ليعمــق فكرتــه ويــبرهن عليــها، إلى مجــال آخــر هــو مجــال التــاريخ. وفــى مجــال التــاريخ الإنســانى يقــول، إن أحــداث التــاريخ تتكــرر وتعيــد نفسهــا " مــا كــان فهـــو مــا يكــون والــذى صُنــع فــهو الــذى يُصنــع .."، ويؤكــد نفــس المعنــى فــى العــدد العاشــر. والســؤال الــذى يثـيره الجامعــة: هــل يوجــد أمــل فــى أى شــىء جديــد؟ ويجيــب " ليــس تحــت الشــمس جديــد ".

ولكننــا نســأل : مــا هــذه الطريقــة الدائريـــة فــى التفكــير ؟ والتــى تــرى أن التاريـــــخ يصعـــد ويـــهبط ويـــدور فــى حركــة دائريــة لا تدخــل لأحــد فيــها ولا تقــدم فــى الاتجــاه There is motion but not promotion. كيــف يتوافــق هــذا الكــلام مــع مــا نؤمــن بــه أن التــاريخ "يتقــدم" إلى هدفــه الــذى وضعــه لــه الله ؟ فنــحن نؤمــن أن " منــه وبــه ولــه كــل الأشــياء " (رو ١١ : ٣٦) . " فإنــه فيــه خلــق الكــل مــا

فـى السـموات ومـا علـى الأرض مـا يُـرى ومـا لا يُـرى سـواء كـان عروشـاً أم سـيادات أم رياسـات أو سـلاطين . الكـل بـه ولـه قـد خُلـق" (كـو ١ : ١٦) . فالتـاريخ history ليـس فقـط قصـة النشـاط الإنسـاني، بـل هـو قصـة تعـامل الله مـع الإنسـان أى His - story .

والجـواب أن الجامعـة، إذا تذكرنـا توجّـه السـفر الأساسـى، والخاتمـة التـى يضعـها لهـذا القسـم فـى آخـر الأصحـاح الثـانى، والآيـة المفتاحيـة فـى (٣ : ١١) وهـى الأمـور التـى يجـب أن لا تغيـب عـن أذهاننـا طـوال دراسـتنا لهـذا السـفر حتـى نحسـن فهمـه، أقـول لـو تذكرنـا كـل هـذا لأدركنـا أن الجامعـة يريـد أن يؤكـد، كمـا حـدث مـع صـور الطبيعـة، أن أحـداث التـاريخ والنشـاط الإنسـانى بالنسـبة للنظـرة الدنيويـة البحتـة " تحـت الشـمس "، لا يجـد فيـها الإنسـان أى معنـى أو جديـد فـى التعلـم والإرشـاد والنضـوج، بـل تكـرار وإحبـاط، وخيـال وخـداع. فـالذى لا يتعلـم مـن التـاريخ – كمـا يقـول المثـل – يكـرره . أمـا الرؤيـة الإيمانيـة التـى تمتلـىء بـالله، فـهى التـى تـرى الله الـذى يقـود التـاريخ إلى هدفـه ليتمـم مقـاصده، وبالتـالى فالتـاريخ ليـس دائـرة مغلقـة أو نظـام مغلـق كمـا يصـوره الأبيقوريـون، بـل فـى تقـدم مسـتمر نحـو الهـدف لخـير البشـرية،

وهنا توقع الجديد في كل شيء الذى هو دائماً عطية من الله للإنسان.

أما إذا انحصر الإنسان في حياته الدنيوية فقط، في " تحت الشمس " منعزلاً عن الله، بعيداً عن رؤية الإيمان، فإنه يرى التكرار والعدم في كل شيء، ليس فقط في مجال الطبيعة أو في مسرح التاريخ، بل في الحياة ذاتها. وهنا يقول في (عدد ١١) " ليس ذكر للأولين والآخرون أيضا الذين سيكونون لا يكون لهم ذكر عند الذين يكونون بعدهم ". والكلمات هنا تعود على الأشياء والأحداث والناس. إنها إشارة إلى قصر وضعف الذاكرة الإنسانية الدنيوية، ونظرة عدمية تهوى إلى دوامة من اليأس.

إذن ما المنفعة للإنسان من كل تعبه ؟ ما هو معنى الحياة؟ وما جدواها؟ وهل توجد قيمة للنشاط والاختراع والإبداع الإنساني ؟ لا يكتفي الجامعة في المناقشة بنماذج الطبيعة أو التاريخ، بل يتوقف بنا في الأعداد القادمة أمام مجالات أخرى، ليصل بنا في وقت ما إلى جواب مقنع ومشبع، يدور حول الآية المحورية " صنع الكل حسنا في وقته وأيضا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله الله من البداية إلى النهاية ". (٣ : ١١) . انه

يريــد أن يقــول إن النشــاط والاخــتراع والإبــداع الإنســاني شــيء رائــع لخــير البشــرية، لكــن الأروع أن نــدرك أنــه قبــس مــن نــور الله، وعطيــة مــن عطايــاه الصالحــة، وتكليــف مقــدسٌ، ورســالة نافعــة يجــد فيــها الانســان شــبعه، ويحقــق بــها هدفــه فــى الحيــاة .

وهنــا يتمتــع الإنســان فــى علاقتــه بــالله، وفــى اســتخدامه لعطايــاه بكــل جديــد فــى داخلــه ومــن خلالــه. فإلهنــا إلــه " الخليقــة الجديــدة " (٢ كــو ٥ : ١٧)، والإنســان الــذى يتبعــه يســير " فــى جــدة الحيــاة " (رو ٦ : ٤)، ويتغنــى " بترنيمــة جديــدة " (مزمــور ٤٠ : ٣)، ويدخــل إلى عمــق الشــركة مــع الله مــن خــلال " طريــق حــى حديــث " (عــب ١٠ : ٢٠) . وفــى يــوم مــا سيتمتــع " بســماء جديــدة وأرض جديــدة " (رؤ ٢١ : ١)، لأن الجــالس علــى العــرش قــال " هــا أنــا أصنــع كــل شــيء جديــداً (رؤ ٢١ : ٥) .

القسم الثانى

امتحان أفراح وملذات الحياة

(١ : ١٢ - ٢ : ١١)

" أنا الجامعة كنت ملكا على إسرائيل فى أورشليم. ووجهت قلبى للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عمل تحت السموات. هو عناء ردىء جعلها الله لبنى البشر ليعنوا فيه. رأيت كل الأعمال التى عملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح. الأعوج لا يمكن أن يُقوَّمَ والنقص لا يمكن أن يجبر. أنا ناجيت قلبى قائلا ها أنا قد عظمت وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل. فعرفت أن هذا أيضا قبض الريح. لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علما يزيد حزنا.

قلت أنا فى قلبى هلم أمتحنك بالفرح فترى خيراً. وإذا هذا أيضا باطل. للضحك قلت مجنون وللفرح ماذا يفعل. افتكرت فى قلبى أن أعلّل جسدى بالخمر وقلبى يلهج

بالحكمة وأن آخذ بالحماقة حتى أرى ما هو الخير لبني البشر حتى يفعلوه تحت السموات مدة أيام حياتهم. فعظّمت عملي. بنيت لنفسي بيوتا غرست لنفسي كروماً. عملت لنفسي جنات وفراديس وغرست فيها أشجارا من كل نوع ثمر. عملت لنفسي برك مياه لتسقى بها المغارس المنبتة الشجر. قنيت عبيدا وجواري وكان لي ولدان البيت. وكانت لي أيضا قنية بقر وغنم أكثر من جميع الذين كانوا في أورشليم قبلي. جمعت لنفسي أيضا فضة وذهباً وخصوصيات الملوك والبلدان. اتخذت لنفسي مغنين ومغنيات وتنعمات بني البشر سيدة وسيدات. فعظمت وازددت أكثر من جميع الذين كانوا قبلي في أورشليم وبقيت أيضا حكمتي معي. ومهما اشتهته عيناي لم أمسكه عنهما. لم أمنع قلبي من كل فرح.لأن قلبي فرح بكل تعبي وهذا كان نصيبي من كل تعبي. ثم التفت أنا إلى كل أعمالي التي عملتها يداي وإلى التعب الذي تعبته في عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس ."

بعد أن برهن الجامعة – من خلال الطبيعة والتاريخ – على التماثل والثبات والدوام في مجال الطبيعة، مقابل التغير السريع والعمر القصير للإنسان الذي يشاهد ويلمس هذا

التناقض المحير، وانه لا تغيرّ في حركة الطبيعة ولا جديد في دورة التاريخ ولا شبع أو راحة للإنسان في هذا العالم بعيداً عن الله، يعود الكاتب إلى سليمان الملك الذى يتوحد به، ويستحضر تجربته الشخصية، ويقدمها بصورة عامة في الأعداد (١ : ١٢ – ١٨)، ثم بأكثر تفصيل في الأعداد (٢ : ١ – ١١). في الإطار العام يتحدث عن مصابيح الحكمة، وفي التفصيلات يتحدث عن مجالات اللذة. وفي الاثنين يتحدث في شكل مونولوج، مثل (مز ٤٢ : ٥ و ١١ ، ٤٣ : ٥، لو ١٢ : ١٩) . " أقول لنفسي يا نفسي لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحي وكلي واشربي وافرحي ".

أولا : مصابيح الحكمة ١ : ١٢ – ١٨ :

هذه الأعداد التي تأتي – كما قلنا – كإطار عام لتجربة سليمان الشخصية، تنقسم في رأى أديسون رايت Addison G. Wright إلى جزأين : الأول يشمل الأعداد ١٢ – ١٥ وينتهي بمَثل في العدد الخامس عشر، الثاني ويشمل الأعداد ١٦ – ١٨ وينتهي أيضا بمَثل في العدد الثامن عشر. وبين الجزأين شكل من أشكال التوازى مثل:

أ. " ووجهت قلبي " (١٣).
ب. " رأيت كل الأعمال " (١٤).
ج. " ازددت حكمة ... رأى قلبي كثيراً " (١٦).
د. " ووجهت قلبي " (١٧) .

في هذه الأعداد (١٢ – ١٨) ككل يتحدث عن الإمكانيات والخبرات، كما يتحدث عن النتائج والنهايات . ويتحول من الضمير الثالث كما في (١ : ١و٢) " كلام الجامعة ... قال الجامعة ... "، إلى الضمير الأول " أنا الجامعة كنت ملكاً على اسرائيل .. " (١ : ١٢).

الجزء الأول

١ : ١٢ – ١٥

في سياق الحديث عن إمكانياته وخبراته، يظهر حماسه ومحاولاته الدؤوبة لامتلاك مصابيح الحكمة والمعرفة فيقول " ووجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عن كل ما عُمل تحت السموات ... " (عدد ١٣) . وكلمة " التفتيش " تعني " البحث عن الجذور " و " تقليب الأمر من كل جوانبه " لكل ما عُمل تحت السموات . و " القلب " مرات تأتي في بعض التراجم " القلب "، وفي

البعض الآخر " العقل " I applied my mind ، أى مركز الطاقات الفكرية والشعورية والروحية الداخلية للإنسان .

أى أنه اتجه بكل قلبه وفكره إلى البحث عن إجابة لمشكلات الحياة فى الحكمة والمعرفة والفلسفة الإنسانية البحتة، ومحاولة لوضع صياغة لنظام فلسفى كامل، يتيح له تحقيق معنى الحياة أو الوصول إلى الحقيقة فيها بعيداً عن الله، محاولاً الإجابة على السؤال فى (١ : ٣)، لكن ماذا كانت النتيجة ؟ كانت النتيجة مثلثة :

أ- عناءً ردىء .. " عناء ردىء جعلها الله لبنى البشر ليعنوا فيه " (١٣ ب). وعبارة " عناء ردىء " تعنى " مهمة تعسة "، وهى تعود إلى " كل ما عُمل تحت الشمس "، وتعود أيضاً إلى مشقة البحث " السؤال والتفتيش بالحكمة" . وعبارة " بنى البشر " فى العبرية " بنى آدم "، والبعض يقول إنها إشارة إلى آثار السقوط فى حياة الإنسان . لقد وضع الله داخل الإنسان جوعاً دائماً للبحث عن حقيقة الحياة ومعناها، وهو عناء ردىء تزداد شدته وحدته عندما لا نصل إلى شىء، لأن الحكمة البشرية وحدها ناقصة . إن الكلمة الأخيرة للحكمة البشرية أنها لا تعرف.

ب- الكل باطل وقبض الريح .. " رأيت كل الأعمال التي عُملت تحت الشمس فإذا الكل باطل وقبض الريح " (١٤). وهي نتيجة أخرى لاستخدام الحكمة البشرية المستقلة عن الله، في الإجابة على السؤال الرئيسي في العدد ٣ " ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس " . والجواب هنا " قبض الريح " . والعبارة " قبض الريح " في العبرية مشتقة من فعل يعني " يكسر " أي يحزن الروح، ويعني " يجتهد " أي السعي وراء الريح، ويعني يغذى أي يتغذى على الريح ويعني " يشتهي" أي اشتهاء الريح .

وإن كانت " الريح " و " الروح " في العبرية من أصل واحد، يكون المعنى المقصود أن النتيجة " لا شيء "، إنه " سعي وراء الريح " يبعث على الفشل وخيبة الأمل و " كسر الروح " أو " حزن الروح " (١ : ١٧ ، ٢ : ١١ و١٧ و ٢٦ ، ٤ : ٤ و٦ و ١٦ ، ٦ : ٩) . في (جامعة ٥ : ١٦ و ١٧) يقول في نفس المعنى " وهذا أيضا مصيبة رديئة. في كل شيء كما جاء هكذا يذهب فأية منفعة له للذى تعب للريح. أيضا يأكل كل أيامه في الظلام ويغتم كثيرا مع حزن وغيظ."

ج- استحالة الإصلاح والتغيير والشفاء . . وهنا يأتي بالمثل "الأعوج لا يمكن أن يُقوّم والنقص لا يمكن أن يُجبَر " (١٥) . فالحياة مليئة

بالانحرافات والنقصات والمشكلات والتساؤلات، والحكمـة البشرية وحدها طيبة وقد تسعف في بعض الأمور، لكنها تفشل في حل مشكلة الحياة الأساسية وفي الوصول بالإنسان إلى المعنى والشبع الحقيقي . وهنا يـدرك الباحث ضآلته ومحدوديته، ويشعر بحيرته وفشله واحتياجه لمساعدة أخرى، وإلا فالأعوج لا يمكن أن يُقوّم أو يصبح مستقيماً . والنقص لا يمكن أن يُجبّر لأن الأعوج لم يقوم، وهكذا يحيا الإنسان أحزان الحياة وكسورها وهمومها دون أن يجد الجبر أو الشفاء والسعادة الحقيقية التي يبحث عنها.

الجزء الثانى

١ : ١٦ - ١٨

مرة أخرى يكرر الجامعة الحديث عن إمكانياته ومؤهلاته وخبراته التى تؤهله للإجابة على السؤال الرئيسى فى (١ : ٣) " ما الفائدة للإنسان من كل تعبه.... " فيقول فى (١ : ١٦) " أنا ناجيت قلبى قائلاً ها أنا قد عظمت... " فى الثروة والمكانة ثم يضيف " وازددت حكمة أكثر من كل من كان قبلى على أورشليم وقد رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة " لقد ارتفع ثروة ومكانة وفاق الجميع حكمة ومعرفة .

والفعل " رأى " فى عبارة " رأى قلبى كثيراً من الحكمة والمعرفة " يستخدم أحياناً فى السفر للإبصار كما فى (١ : ٨ ، ٥ : ١١ ، ١٢ : ٣)، ومرات يأتى بمعنى " يلاحظ، يفكر، يتأمل " كما فى (١ : ١٤ ، ٢ : ١٢)، أو يأتى بمعنى " يختبر " أو " يستمتع بـ " كما فى (١ : ١٦ ، ٢ : ١).

والحكمة المقصودة هنا هى قدرة الإنسان العادى الدنيوى على التفكير بنفسه ولنفسه فى أمور الحياة، بعيداً عن المبدأ الرئيسى للحكمة وهو خوف الله . هذه الحكمة أو المعرفة

البشرية أمر طيب، لكنها لا تستطيع أن تقدم إجابة شافية على سؤال الحياة، لأنها ليست " الحكمة النازلة من فوق " (يعقوب ٣ : ١٧ ، ١ كو ٢ : ٧)، وليست الحكمة النافعة كالنور (جامعة ٢ : ١٣).

وفى (١ : ١٧) يتحدث عن الشئ وضده، عن الحكمة من ناحية وعن الحماقة والجهل من الناحية الأخرى فيقول " ووجهت قلبى لمعرفة الحكمة ولمعرفة الحماقة والجهل ....." ترى ماذا يقصد بمعرفة الحكمة والحماقة ؟ هل يقصد أنه يريد أن يصل بكل الطرق للإجابة الشافية عن معنى الحياة؟ هل يقصد معرفة حسنات الحكمة ليكتسبها وسلبيات الحماقة ليتجنبها ؟.

يقول كايزر Kaiser إنها محاولة عسى أن تشرح وتفسر الأضداد بعضها البعض، أما Eaton فى تعليقه على هذا النص فيربط بين هذه العبارة وما جاء قبلها عن الحكمة والمعرفة، وبين ما جاء بعدها فى الفقرة الأولى من الإصحاح الثانى عن الملذات فيقول " إن النقطة الهامة والمحتملة هى أنه بينما كان الجامعة يفكر فى الحكمة والمعرفة، كان ينظر بالعين الأخرى إلى البدائل . وبذلك

تصبح الفقرة التالية بخصوص البحث عن الملذات متوقعة" (التفسير الحديث - جامعة - صفحة ٧٠).

والسؤال الطبيعي : ولماذا يبحث عن بديل للحكمة والمعرفة ؟ لأن الحكمة البشرية فقط، والمعرفة الإنسانية البعيدة عن خوف الله، كل ما تستطيع عمله هو أن تجعل الإنسان يرى المشكلات بأكثر وضوح، ويختبر المعاناة بشدة بسبب معرفته، دون أن يكون قادرا على الراحة والسلام بل على العكس. وبالتالي يصل إلى النتيجة " فعرفت أن هذا أيضا قبض الريح. " لماذا ؟ " لأن في كثرة الحكمة كثرة الغم والذي يزداد علما يزيد حزنا " (١ : ١٨)، وهو المثل الثاني الذي يقدمه هنا .

إنها، كما يقول أحدهم، محنة الفيلسوف أو المفكر الذي تنحصر حكمته في مجال " تحت الشمس " وتقتصر عليه فلا يتعداه، فلا يرى إلا أنين وعذاب الخليقة دون أن تكون لديه إجابة شافية تعيد السلام إلى القلب المضطرب والمرتجف، وعندئذ يزداد ألمه وهمه . يقول الشاعر العربي:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله

وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

في جريدة " الأهالي " ٩٨/١١/١٨ مقال بعنوان " صلاة البلاهة " للأستاذ محمد مستجاب.

إنها الحكمة أو المعرفة التي يسميها الرسول " حكمة كلام" (١ كو ١ : ١٧) أو " الحكمة الإنسانية " (١ كو ٢ : ٤ ، ١٣ أو " حكمة هذا العالم " (١ كو ٣ : ١٩) التي هي جهالة عند الله . لأنها لا تقدم للإنسان إلا الإحساس الخادع بالكبرياء، وفي نفس الوقت ألم الشقاء ومعاناة عدم الفهم .

لكن عندما يستمد الإنسان حكمته من إيمانه بالإله الصالح، ويملأ فكره بكلمته، ويتحد بشخصه في يسوع المسيح " قوة الله وحكمة الله " (١ كو ١ : ٢٤) " يسوع الذي صار لنا حكمة من الله وبرا وقداسة وفداء " (١ كو ١ : ٣٠)، هنا فقط يستطيع في أتضاع وفهم أن يقول مع الرسول " ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه . فأعلنه الله لنا بروحه .. " (١ كو ٢ : ٩ ، ١٠) ثم يضيف الرسول في عبارات واضحة قاطعة " لا يخدعن أحد نفسه. إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم في هذا الدهر فليصر جاهلا لكي يصير حكيما لأن حكمة هذا العالم هي جهالة عند الله لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة إذا لا

يفتخرون أحد بالناس فإن كل شئ لكم أبولس أم أبلوس أم صفا أم العالم أم الحياة أم الموت أم الأشياء الحاضرة أم المستقبلة كل شئ لكم وأما أنتم فللمسيح والمسيح لله". (١ كو ٣ : ١٨ - ٢٣) .

هذه هى الحكمة التى تأتى من خوف الله، الحكمة النافعة التى تعطى للإنسان البصيرة والسلام والفرح، والتى يقول فيها الجامعة " فرأيت أن للحكمة منفعة أكثر من الجهل كما أن للنور منفعة أكثر من الظلمة الحكيم عيناه فى رأسه أما الجاهل فيسلك فى الظلام وعرفت أنا أيضاً أن حادثة واحدة تحدث لكليهما " (جا ٢ : ١٣ ، ١٤).

فى نهاية هذا النص يريد الجامعة أن يوقفنا أمام أمرين :

الأول : أن تحصيل المعرفة والثقافة والإلمام الجيد بالمعارف الإنسانية، شئ هام يجب أن نعمله بكل القلب كما نرى فى نموذج سليمان الذى تميّز دائماً بهذه الحكمة، وموسى الذى تهذب بكل حكمة المصريين، والرسول بولس الذى تخرّج من واحدة من أكبر ثلاث جامعات فى العالم القديم، واستوعب أكثر من ثقافة، وسخّر

كل ذلك للخدمة المتسعة، وترك لنا أكثر من نصف كتابات العهد الجديد . وبالتالى يجب أن ننتفع بهذه المعارف، وننفع بها الناس حولنا، فهى نور من الله لنا لنستخدمها لخير الآخرين . ولذلك ليس من الروحانية المسيحية فى شئ أن يحقِّر البعض من شأن العلوم والثقافات، إما لكسلهم أو لفشلهم فى الإلمام بها، أو لإعتقاد خاطىء أنها ضد الروحانية. وكتَّاب الكلمة المقدسة، استخدموا الكثير من هذه المعارف فى تقديم كلمة الله للناس، استخدموا التاريخ والفلسفة والآداب والشعر والحكمة والأمثال مثل النص الذى بين أيدينا .

الثانى : يوجهه الجامعة لكل من يرون أن معارفهم تستطيع أن تقدم لهم كل شيء، ولا حاجة بهم إلى الله، يقول إن هذه الحكمة والمعارف شيء طيب وهام، وقد تفيد فى تشخيص وتحديد مشكلات الحياة، وتحليل أبعاد معاناة الإنسان في هذه الحياة. وقد تسعف فى بعض الحلول الممكنة، ولكنها لا تستطيع أن تقدم للإنسان السلام والأمان الداخلى، والشفاء الحقيقى الذى يبحث عنه مهما كانت ظروف الحياة من حوله، وهى بدون الإيمان تفتح عيوننا على شخص الله مصدر الحكمة، وصاحب السلطان، ومانح الأمان والضمان وحده. الإله الذى يقول فيه دانيال" أجاب دانيال وقال ليكن اسم الله مباركا من الأزل وإلى الأبد لأن له الحكمة

والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة يعزل ملوكا وينصب ملوكا يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهما. هو يكشف العمائق والأسرار يعلم ما هو في الظلمة وعنده يسكن النور".(دا ٢ : ٢٠ - ٢٢)

يقول الدكتور القس فايز فارس في كتابه " دعوة للتغيير " (صفحة ١٦) " الكنيسة تحيا في المجتمع كهيئة، وهي جزء من المجتمع، تتأثر بظروفه وضعفاته، وتستفيد أيضاً بإمكانياته ... ولا يعيب الكنيسة أن تستفيد من كل فكر بناء، تسخره لخدمة فاديها ولتحقيق رسالتها.

ولماذا نذهب بعيدا، والسيد المسيح نفسه قد قال، وهو أصدق القائلين، " إن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور في جيلهم " (لو ١٦ : ٨) وكأنه يوصينا أن نتعلم الحكمة من أبناء هذا الدهر، وإنما نستخدمها للخير والمنفعة ". يقول الحكيم في سفر الأمثال (أم ٢ : ١٠ ، ١١) " إذا دخلت الحكمة قلبك ولذت المعرفة لنفسك . فالعقل يحفظك والفهم ينصرك ".

ثانياً : مجالات اللذة ٢ : ١ - ١١

بعد أن تحدث الجامعة عن مؤهلاته وخبراته، ومحاولاته في الإطار العام في الأعداد (١ : ١٢ – ١٨) الإجابة على السؤال الكبير في (١ : ٣) عن طريق مصابيح الحكمة والمعرفة، ووصل إلى النتيجة التي أعلنها في المثل الأول (١ : ١٥) " الأعوج لا يمكن أن يقوَّم والنقص لا يمكن أن يُجبَر "، وفي المثل الثاني (١ : ١٨) " لأن في كثرة الحكمة كثرة الغمّ والذي يزيد علماً يزيد حزناً " . يأتي في هذه الأعداد (٢ : ١ – ١١) ليتحدث في إطار خاص وبشئ من التفصيلات، حول بعض مجالات اللذة التي اختبرها وعاشها في حياته، وانتهت به إلى النتيجة التي وصل إليها.

والجامعة في حديثه هذا يستخدم شكل المونولوج كما ذكرنا سابقاً، وهو يحاول أن يمتحن ويبحث " فائدة " هذه الملذات والمسرّات، أو بالأحرى يمتحن نفسه فيها . إنه يتحدث عن :

* المجالات في الأعداد ١ – ٨
* الإنجازات في العددين ٩ ، ١٠
* النتيجة في عدد ١١

أ - المجـــالات ١-٨ :

فـى هـذه الأعـداد يتحـدث عــن ثلاثـة مجـالات :

المجـــال الأول الأفـــراح والملـــذات ١ -٣ :

وهنـا يقـرر " قلـت أنـا فـى قلبـى هلـم أمتحنـك بـالفرح " (أنظـر ٧ : ٢٣)، محدثـا ومحرضـا نفسـه " هلـم " (عـدد ٢٢ : ٦ ، قـض ١٩ : ١١) علـى الإنغمـاس فـى اللـذة، فالعبـارة " هلـم أمتحنـك بـالفرح " جـاءت فـى ترجمـة أخـرى " أنـا سـأمتحنك بـاللذة ".

علـى أن الإنغمـاس فـى الملـذات هنـا ليـس إنغماسـا مباشـرا بسـيطا، بمعنـى أن اللـذة لم تكـن الهـدف والغايـة . لكنـه يـترك مجـال العقلانيـة أى الحكمـة والمعرفـة الإنسـانية البحتـة، بعـد أن فشـلت فـى أن تـروى نفسـه، ليختـبر نفسـه فـى مجـالات اللـذة علـه يكتشـف سـر الحيـاة . ولذلـك نـراه فـى إنغماسـه المـهدف يحـاول أن يراقـب نفسـه ويمتحـن هدفـه فيقـول " حتـى أرى مـا هـو الخـير لبنـى البشـر (فـى الأصـل لبنـى آدم) حتـى يفعلـوه تحـت السـموات مـدة أيـام حياتـهم" (٣) .

والأفـراح والملـذات يشـير إليـها فـى العدديـن (١ ، ٢) بـالفرح والضحـك . " الفـرح " هـو - كمـا يقـول مـايكل إيتـون -

السرور الواعى، الذى نشعر به فى الإحتفالات الدينية (عد ١٠ : ١٠ ، قض ١٦ : ٢٣)، والرضى بالخدمة (تث ٢٨ : ٤٧)، وإعلان تنصيب الملك (١ مل ١ : ٤٠).

" والضحك " هو السرور السطحى (أم ١٠ : ٢٣ ، جا ١٠ : ١٩ ، إر ٢٠ : ٧). وأصل الفعل " يضحك " فى العبرية يرتبط بفقدان الإتزان والتقدير (أيوب ١٢ : ١٧ ، جا ٧ : ٧)، والسلوك الطائش العابث . ولذلك يتساءل الجامعة " للضحك قلت مجنون وللفرح ماذا يفعل ؟ " (٢)، أى هل أحدث تغييرا جوهريا ؟ هل قدم الضحك أو الفرح، الخمر أو الحماقة، ما يسد أو يشبع جوع الإنسان وبحثه الدائم عن معنى الحياة " تحت السموات " أو تحت الشمس " ؟ إن الإجابة المتضمنة فى السؤال " ماذا يفعل " واضحة تماما، لقد فشلت الأفراح والملذات فى أن تضيئ الحياة بالمعنى، أو تضيف إليها شيئا جوهريا .

والجامعة يؤكد تناقص مذهب اللذة paradox of hedonism ، فكلما اغترفت الكثير كلما تبقى القليل، والنتيجة حالة من التشويش والإحباط وما حدث للجامعة، يقول كيدنر Kidner فى سياق تعليقه على هذه الأعداد، يحدث للعالم المعاصر الآن. إنه ينتقل

من العقلانية إلى اللاعقلانية في أشكالها وتجلياتها المختلفة. فيعيش حالة يسميها أخلاقيا " ما بعد المادية "، ويسميها معرفيا "ما بعد الحداثة "، وعمليا وواقعيا يعيش حالة من الفوضى والتحرر من القيم والإنغماس في ألوان من التحلل الغريب. حالة إنحدار من عصر الرومانسية إلى الإدمان والجنس والعنف، حالة من العدمية التي تنتج القبح والسخف والخلل في السلوك الإنساني. والعالم في تخبطه العنيف هذا يعبر عن إفتقاده للمعنى، والسلام الداخلي، والفرح الحقيقي، الذى لن يجده إلا في الإيمان بإله صالح جواد محب، يشبع جوعه الروحي الذى خلق به . وليس في " الجنون " و " الحماقة " اللذين يعبران في الكتاب المقدس عامة وفي سفر الجامعة عن الإنحراف الأخلاقي والشر (جا ٩ : ٣ ، ١٠ : ١٣ ، ١ صم ١٣ : ١٣ ، ٢٦ : ٢١ ، ٢ صم ٢٤ : ١٠).

المجال الثاني : المشروعات المتطورة ٤ – ٦ :

وفي هذا المجال يتحدث عن محاولاته الخلاقة في تطوير أعماله ومشروعاته، فيبدأ بعبارة عامة ثم يتواصل في عرض تفاصيل ذلك . العبارة العامة في أول العدد الرابع " فعظمت عملي " ثم يستمر بعد ذلك في توضيح كيف

عظم عمله . ومرات تترجم العبارة العامة " أنا أقمت أعمالا عظيمة "، ثم يوضح ما هي هذه الأعمال العظيمة، ويستحضر أعمال سليمان (١ مل ٤ : ٢١ - ٢٤، ١ مل ٧، ٩ : ١، ١٠ : ٢١، ٢ أخ ٨ : ٣ - ٦).

وفي سرده للأعمال يستخدم أفعالا مثل : بنيت، غرست، عملت، ويتحدث عن البيوت والكروم، الجنات والفراديس، الأشجار وبرك المياه والمغارس المنبتة الشجر . ونلاحظ أنه يقيم عالمه الخاص المتكامل، الذى يقيمه لنفسه، وهذا يبدو من تكرار كلمة " لنفسي " والتي تظهر دوافعه الداخلية.

ويعلق كايزر Kaiser على هذا الجزء قائلا، إنه ينفذ المشروع الزراعي الأصلي الذى أعطاه الله للإنسان في جنة عدن، عندما أوصاه أن " يعملها ويحفظها " (تك ٢ : ١٥)، وهو هنا يقيم جنته الخاصة ويطورها ويحفظها.

ويضيف جنزبيرج Ginsburg أن كلمة " كرمة " أو " كرم " Vineyard هي بالعبرية " Gan " وهي من الفعل "ganan" ويعني " يحفظ " أو "يحمي" . ونفس فكرة الحماية أو الحفظ موجودة أيضا في الكلمة الألمانية " Garten " والإنجليزية " garden " .

وهكذا يستمر في تطوير مشروعاته، ويبني لنفسه عالمه الخاص المتكامل، ويقيم جنته الحديثة ويضيف إليها وسائل الحفظ وطرق الحماية، ويستخدم كلمات يشبّه نفسه فيها كالله الذي يستطيع كل شئ ويملك كل شئ (أنظر أيضاً الأعداد التالية) .

المجال الثالث المقتنيات المتعددة ٧ ، ٨ :

في هذين العددين يتحدث بأكثر تفصيل عن ثروته ومقتنياته المتعددة، عن العبيد والجواري، عن البقر والغنم، عن الفضة والذهب، عن الفنانين والنساء . وهذا العرض يذكرنا بثروة سليمان (١ مل ١٠ : ١٤ -٢٩) وبنصيبه الوافر من الغنى والجاه، حتى أن الفضة والذهب كانا كالحجارة في أورشليم على أيامه (١ مل ١٠ : ٢٧ ، ٢ أخ ١ : ١٥ ، ٩ : ٢٧) . وعبارة "سيدة وسيدات " تترجم " محظيات " أو " خليلات "، وتذكرنا بنساء سليمان الكثيرات كما جاء في (١ مل ١١ : ١ -٣).

ب _ الإنجازات ٩ ، ١٠ :

هنـا ينتـهى إلى مـا حققـه مـن ملذاتـه ومشـروعاته ومقتنياتـه فيقـول :
" فعظمـتُ وإزددتُ أكـثر مـن جميـع الذيـن كـانوا قبلـى فـى أورشـليم " . وكلمـة " عظمـت " أى " صـرت عظيمـاً " تشيـر إلـى ثروتـه ذائعـة الصيـت (١ مـل ١٠ : ٢٣)، و " إزددت " تعنـى " تفوقـت علـى الجميـع " أمـا عبـارة "وبقيـت أيضـاً حكمتـى معـى " فتـذكرنا بقولـه فـى (٢ : ٣) " وقلبـى يلـهج بالحكمـة "، وهـى توضـح - كمـا يقـول جونـز Jonse - محاولـة احتفاظـه بموضوعيتـه وسـط ملذاتـه وتنعماتـه.

وفـى العـدد العاشـر يعطـى تلخيصـاً لحالتـه فيقـول " ومـهما اشتهتـه عينـاى لم أمسـكه عنـهما لم أمنـع قلبـى مـن كـل فـرح .... "، والعبـارة تعنـى امتلاكـه لكـل شـئ، وتمتعـه بكـل شـئ خارجـه أو فـى داخلـه. ثـم يضيـف " لأن قلبـى فـرح بكـل تعبـى ... " إنـه يؤكـد سروره وفرحـه. بمـا أنجـزه وبكـل مـا تمتـع بـه. والسـؤال الهـام هنـا هـل دام فرحـه وسـروره وأصبـح " حالـة " مسـتمرة ؟ أم أن هـذه المشـاعر رافقتـه أثنـاء العمـل وإقامـة المشـروعات والحفـلات والتنعمـات، ومـا أن تم الإنجـاز بـدأ الفـرح والسـرور فـى الذبـول ؟ هـذا مـا سـنراه فـى تفكـيره فـى كل مـا حققـه.

ج- النتيجة ١١ :

يقول الجامعة " ثم ألتفتّ أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى وإلى التعب الذى تعبته فى عمله " . " ألتفّت " تعنى " يحول كل انتباهه إلى "، والفعل العبرى يعنى " يتفحص " أو " يتفرس "، وقد جاء بنفس المعنى فى (أيوب ٦ : ٢٨) " تفرسوا فىّ "، ويفيد التأمل والتفكير بعمق بغرض مواجهة الحقيقة مستعيداً السؤال الرئيسى فى (١ : ٣).

والجامعة يريد أن يقول لقد عشت أيامى مستغرقاً فى العمل الشاق والنشاط والمشروعات، وقد جعلنى عملى مشغولاً ومسروراً، والآن أتساءل هل حققت لى كل هذه الأمور الشبع الحقيقى ؟ والفرح الدائم ؟ وهل حقق لى تعبى وعنائى هدف الوجود ومعنى الحياة ؟ وهنا يصل إلى نفس النتيجة التى انتهى إليها فى الحكم على الحكمة فى (١ : ١٧ ، ١٨)، مطبقاً إياه على مجالات اللذة المختلفة فيقول " فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس " . إنه يُصرِّح علانية بشعوره المؤلم بفشل المشروع الدنيوى، وبخيبة أمله فى مفاهيم وقيم وأسلوب الحياة المبهر والصارخ والفارغ لهذا المشروع.

وفي لحظة تحرر حقيقية من هذا الوهم يصدر حكمه " عناء وتعب "، "تفاهة وبطل "، " سعى وراء الريح "، " لا فائدة أو منفعة تحت الشمس".

والآن نريد أن نتوقف أما بعض التساؤلات التي يجب أن تشغل تفكيرنا من خلال هذا النص :

* هل نحتاج دائماً لامتحان النفس وفحص الذات لاكتشاف الحقيقة ؟ يقول المرنم " تفكّرت في طرقي ورددت قدميّ إلى شهادتك . أسرعتُ ولم أتوانَ لحفظ وصاياك " (مز ١١٩ : ٥٩ ، ٦٠) .
* ما هو الأسلوب المسيحي للاستثمار الأمثل لإمكانيات الحياة، التي يضعها الله بين أيدينا وكالة وأمانة غالية، بعيدا عن أسلوب الإبهار والابتذال الذي يسلكه البعض في المجتمع من حولنا ؟ . يقول الرسول " أوص الأغنياء في الدهر الحاضر أن لا يستكبروا ولا يلقوا رجاءهم على غير يقينية الغنى بل على الله الحي الذي يمنحنا كل شئ بغنى للتمتع وأن يصنعوا صلاحا وأن يكونوا أغنياء في أعمال صالحة وأن يكونوا أسخياء في العطاء كرماء في التوزيع مدخرين لأنفسهم

أساسا حسنا للمستقبل لكي يمسكوا بالحياة الأبدية " (١ تيمو ٦ : ١٧ -١٩).

* ما هو المفهوم الحقيقي للسعادة ؟ وكيف نحيا النجاح والطموح مع الرضى، رضى الله والنفس ؟ يقول المرنم " علمني يارب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية فهمني فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبي، دربني في سبيل وصاياك لأني به سررت أمل قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكسب حول عيني عن النظر إلى الباطل في طريقك أحيني ". (مز ١١٩ : ٣٣ - ٣٧).

القسم الثالث

فحص أهداف وغاية الحياة

(٢ : ١٢ - ٢٣)

" ثـم ألتفـت لأنظـر الحكمـة والحماقـة والجـهل. فمـا الإنسـان الـذى يـأتى وراء الملـك الـذى قـد نصبـوه منـذ زمـان. فرأيـت أن للحكمـة منفعـة أكـثر مـن الجـهل كمـا أن للنـور منفعـة أكـثر مـن الظلمـة الحكيـم عينـاه فـى رأسـه. أمـا الجـاهل فيسـلك فـى الظـلام. وعرفـت أنـا أيضـا أن حادثـة واحـدة تحـدث لكليـهما. فقلـت فـى قلبـى كمـا يحـدث للجـاهل كذلـك يحـدث أيضـا لى أنـا. وإذ ذاك فلمـاذا أنـا أوفـر حكمـة. فقلـت فـى قلبـى هـذا أيضـا بـاطل. لأنـه ليـس ذكـر للحكيـم ولا للجـاهل إلى الأبـد. كمـا منـذ زمـان كـذا الأيـام الآتيـة الكـل ينسـى. وكيـف يمـوت الحكيـم كالجـاهل. فكرهـت الحيـاة لأنـه ردئ عنـدى العمـل الـذى عمـل تحـت الشـمس لأن الكـل بـاطل وقبـض الريـح. فكرهـت كـل تعبـى الـذى تعبـت فيـه تحـت الشـمس حيـث أتركـه للإنسـان الـذى يكـون بعـدى ومـن يعلـم هـل يكـون حكيمـا أو جـاهلا ويسـتولى علـى كـل تعبـى الـذى تعبـت فيـه وأظـهرت فيـه حكمتـى تحـت الشـمس هـذا أيضـا بـاطل.

فتحولت لكي أجعل قلبي ييئس من كل التعب الذى تعبت فيه تحت الشمس. لأنه قد يكون إنسان تعبه بالحكمة والمعرفة وبالفلاح فيتركه نصيباً لإنسان لم يتعب فيه هذا أيضاً باطل وشر عظيم. لأنه ماذا للإنسان من كل تعبه ومن اجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس. لأن كل أيامه أحزان وعمله غم أيضاً بالليل لا يستريح قلبه هذا أيضاً باطل هو. "

يدعو المفكرون المتخصصون فى الدراسات المستقبلية، إلى الإهتمام ببعض الجوانب التى تمثل مفاتيح الدخول إلى القرن الحادى والعشرين. من بين هذه المفاتيح، مفتاح المعارف الإنسانية واللحاق بقطار الثورة العلمية والتكنولوجية بتجلياتها المختلفة، ومفتاح التقدم الاقتصادي والاجتماعي بتداعياته الهامة، فى كل دولة من دول العالم تطمح أن تشارك، وأن يكون لها مكان وموقع فى عالم الألفية الثالثة .

والجامعة يرمز إلى المفتاح الأول بالحكمة، وإلى المفتاح الثانى بالثروة، ويحاول فى هذه الأعداد أن يعطى تقييما للاثنين معاً.

وبعد أن قدّم الجامعة خبرة سليمان العملية فى الحياة، فى الحكمة وفى الثروة معاً، وكانت خلاصة تجربة الحكمة ما جاء فى (١ : ١٨) " لأن فى كثرة الحكمة كثرة الغم والذى يزيد علماً يزيد حزناً "، وخلاصة تجربة

الثروة ما جاء فى (٢ : ١١) " ثم ألتفت أنا إلى كل أعمالى التى عملتها يداى وإلى التعب الذى تعبته فى عمله فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس "، يتوقف الجامعة فى هذه الأعداد ليفحص ويراجع ويقيّم أهداف الحياة وغايتها النهائية.

وفى هذه المراجعة يعيد النظر فى خبراته السابقة، خبرة الحكمة والثروة، من منطلق قيمة وكرامة الإنسان عند الحديث عن الحكمة، ومن منطلق الهدف والغاية عند الحديث عن الثروة، وذلك فى ضوء حقيقة مؤكدة وهى حقيقة الموت . وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم النص إلى قسمين :

خبرة الحكمة والقيمة والكرامة ٢ : ١٢ – ١٧ .

خبرة الثروة والهدف والغاية ٢ : ١٨ –٢٣.

أولا : الحكمة والقيمة والكرامة ٢ : ١٢ – ١٧

فى هذا المجال يعود الجامعة إلى البدائل الكبيرة محاولا تقييمها، فيقول، مستخدما نفس الفعل الذى استخدمه فى عدد ١١ " التفت "، " ثم ألتفت لأنظر الحكمة والحماقة والجهل . فما الإنسان الذى يأتى وراء الملك الذى قد نصبوه منذ زمان " (١٢). والفعل "التفت " –كما عرفنا – يعنى " تحويل انتباه الشخص " أو " اتخاذ اتجاه جديد فى التفكير ". ويمكن ترجمة الآية حرفيا على هذا النحو " ثم التفت لأتأمل الحكمة والجنون

والحماقة، لأنه ما هو نوع شخصيـــة الإنسان الذى سيأتى بعد الملك فيما يختص بالأمور التى تم أداؤها فعلاً ".

والجامعة يريد أن يقول طالما أننا اكتشفنا فشل الحكمة واللـذة فى وضع حل نهائى لمشكلات الحياة، فهل هنـاك سبب يجعل الملك يفضل شخصاً على آخر ليأتى بعده ؟ وهناك صياغة أخرى للآية هى " كيف سيعالج ملوك المستقبل نفس المشكلات التى واجهتها؟ وما نـوع شخصية من سيخلفنى من حيث اتجاهه فى مواجهة المشاكل التى واجهتها ؟ "، وهى صياغة تبرز اهتمام الجامعة بالمستقبل كما فى (١ : ٩ -١١، ٢ : ١٨ و ١٩ و ٢١ ، ٣ : ٢٢، ٧ : ١٤).

والسؤال الأول الذى يريد الجامعة أن يسأله هـو، هـل للحكمـة والمعـارف الإنسانية قيمة فى الحياة، نختار على أساسها من يدير المستقبل ؟، وما هى هذه القيمة للحكمة، برغم أنها ليست حلاً نهائياً كاملاً لمشكلات الحياة ؟

فى العددين (١٣، ١٤) نجد إجابة على هذا التساؤل، والإجابة هى : نعم للحكمة قيمـة، وهـذه القيمـة تظهر بالمقارنـة بالجهل، صحيح أنها ليست المصدر النهائى والكامل للثقة والأمان والاعتماد، لكن تظل للحكمة قيمتها ونفعها فى الحياة . وفى عدد (١٣) يراها عطية من الله، وفى (١٤) يرى دورها ونفعها فى حياة الإنسان . كعطية هى " نور "، وكنفـع هـى " بصر " إذ يقـول " الحكيـم عينـاه فـى رأسـه " أى " يـرى أبعـد " مـن

الجاهـــل و " يرى أشمل " إذ يرى فى كل الاتجاهات . " أما الجاهل فيسلك فى الظلام " إنه يحب الظلام ولذلك يتخبط ويتعثر فى ظلام جهله، ويضيع منه الطريق (يو ٣ : ١٩ ، أف ٥ : ٨) .

والجامعة يتحدث كثيراً عن نور الحكمة الطبيعى الذى ينير طريق الإنسان أثناء سيره، وعن نفع الحكمة فى النجاح (١٠ : ١٠)، وفى حفظ الحياة وحمايتها (٧ : ١٢)، وفى إعطاء القوة (٧ : ١٩)، ومنح الفرح (٨ : ١)، وهى أفضل من القوة الغاشمة (٩ : ١٦)، والإنسان يسترشد بها (٢ : ٣)، ويعمل بواسطتها (٢ : ٢١)، وبها يزن الخبرات (٧ : ٢٣) وينقذ ويحرر المدينـــة (٩ : ١٥) . كل هذا يعنى أن الحكمة والمعارف قد تكون محدودة، ولا تقدم حلاً نهائياً كاملاً شافياً لمشكلات الحياة، ومع ذلك لا يمكن الاستغناء عنها لأنها " نور " من الله فى طريق الحياة .

لكن، وهنا يطرح الجامعة سؤاله الثانى، هل الحكمة والمعرفة دائمة ؟ بعبارة أخرى، هل تحمينا من الموت ؟ فى الأعداد (١٤ ج ، ١٥ -١٦) يجيب على هذا السؤال بتأكيد حقيقة الموت كإحدى الحقائق الثابتة للحياة " تحت الشمس " فيقول " وعرفت أنا أيضاً أن حادثة واحدة تحدث لكليهما " (١٤ ج) . ويؤكد الجامعة حقيقة الموت فى أكثر من مكان (١ : ٤ ، ٢ : ١٤ -١٧ ، ٣ : ١٨-٢٠ ، ٥ : ١٥ و ١٦ ، ٦ :٦ ، ٨ : ٨ ، ٩ : ٢ و ٣ و١٢ ، ١٢ : ٧ و ٨)، وأنـــه " حدث " يحدث للجميع، لكل الناس،

للحكيم وللجاهل، للصالح وللشرير، حدث يـأخذ البار مع الأثيـم " (تك : ١٨ : ٢٣).

إذن، إذا كان الموت هو نهاية الحكيم والجاهل (١٥)، وطي النسيان هـو المصير المحتوم لكليهما " فالكلُّ يُنسى " (١٦)، فما هو نفع الحكمـة ؟ أو بتعبير الجامعة " فلماذا أنا أوفر حكمة . فقلت في قلبي هذا أيضاً باطل ".

وهنا ينتهي إلى نتيجة صعبة، فإذا كان الموت هو نهاية الطريـق، والنسيان للكل هو النتيجة المترتبة على ذلك، إذن الحياة نوع من الوهم والخداع " فكرهـت الحياة . لأنه رديء عندى العمل الـذى عُمـل تحـت الشـمس لأن الكل باطل وقبـض الريـح " (١٧) وكلمـة " رديء " تعنـى " ثقيل، موجع، كريه، مسبب للكوارث "، وهـى نفس الكلمـة التـى جاءت في (١ : ١٣)، أما كلمة " عنـدى " فيمكن أن تكون صحيحـة، لكـن الأصـل العبرى يعنـى " علىّ "، أى ثقيـل علىّ أن يوقـف المـوت الحيـاة وينهى الحكمة وكل شئ، فالكل باطل وقبض الريح .

والسؤال ما الذى يريد الجامعة أن يقوله لنا الآن ؟ إنه يريد أن يقول :

- الحكمـة والمعارف لهـا قيمـة فـى حياة الإنسـان، لأنها مـن المنظـور الإيمانى عطية من الله، نور من الله.

- هذه الحكمة، برغم قيمتها، لاتقدم في حد ذاتها حلاً نهائياً لمشكلات الحياة وإشباعاً حقيقياً للإنسان، لأنها غير دائمة . فسوف تنتهى بالموت كما يذهب الإنسان إلى طى النسيان.
- لكن من موقع الإيمان، أين يجد الإنسان معنى لحياته ؟ وهل يُنسى الإنسان بموته ؟ وكيف نغلب الموت ؟ وهل نكره الحياة ؟ وهل الحياة ممتدة أم منتهية بإنتهائها على الأرض ؟ يجيب الجامعة على هذه التساؤلات بالآية المركزية فى (٣ : ١١) " صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله الله من البداية إلى النهاية "، إن الإيمان بالإله الصالح الذى جاء إلينا فى المسيح الذى غلب الموت، هو إيمان بالحياة هنا فنحياها لأنها من صنعه " صنع الكل حسنا "، وهو إيمان بالأبدية " التى بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله الله من البداية إلى النهاية "، فالمسيح " أنار لنا الحياة، والخلود بواسطة الإنجيل " لنرى هدف الحياة ومعناها الحقيقى، وخلودها الأبدى، وأن " الصديق يكون لذكر أبدى " (مزمور ١١٢ : ٦) ويقول الحكيم فى الأمثال " ذكر الصديق للبركة " (أم ١٠ : ٧).

فالجامعة يقول لو فكرنا فقط فى الموت كنهاية لكل شئ، بعيدا عن الإيمان برب الحياة لكرهنا الحياة من منظور " تحت الشمس " . كما أن تعبير " كرهت الحياة " يشير كما رأينا فى النص إلى صراع حب الحياة . يقول المفكر الفرنسى فولتير " أنا أكره الحياة لكنى أخاف الموت "،

وكثيرون فى الكتاب المقدس كتعبير عن الصراع طلبوا الموت، لكن لم يكن هذا موقفهم النهائى إذ غيروا فكرهم بعد ذلك، كما حدث مع أيوب (أى ٣ : ٢١ - ٧ : ١٥) وموسى (عدد ١١ : ١٥)، وإيليا (١ مل ١٩ : ٤)، ويونان (يون ٤ : ٣). وهكذا نرى أن للجامعة موقفاً آخر فى (٣ : ١٢و ١٣ ، ٥ : ١٨ و ١٩ ، ٩ : ٧-٩).

والمسيحى الحقيقى يحب الحياة كعطية ومسئولية من الله، يقول الرسول بولس فى (في ١ : ٢٠ - ٢٦) " حسب انتظاري ورجائى أنى لا أخزى في شيء بل بكل مجاهرة كما فى كل حين كذلك الآن يتعظم المسيح في جسدى سواء كان بحياة أم بموت. لأن لى الحياة هى المسيح والموت هو ربح. ولكن إن كانت الحياة فى الجسد هى لى ثمر عملى فماذا أختار لست أدرى. فإنى محصور من الاثنين. لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جدا. ولكن أن أبقى فى الجسد ألزم من أجلكم . فإذ أنا واثق بهذا أعلم أنى أمكث وأبقى مع جميعكم لأجل تقدمكم وفرحكم فى الإيمان لكى يزداد افتخاركم فى المسيح يسوع فى بواسطة حضورى أيضا عندكم " . ويقول الرسول بطرس مقتبساً من (مز ٣٤ : ١٢) هذه الكلمات " لأن من أراد أن يحب الحياة ويرى أياماً صالحة فليكفف لسانه عن الشر وشفتيه أن تتكلما بالمكر . ليُعرض عن الشر ويصنع الخير ليطلب السلام ويجدّ فى أثره " (١ بط ٣ : ١٠ ، ١١) . إن الله يدعونا أن نستثمر أيامنا بأفضل ما يكون لمجده، وأن ندرك أن كل ما فى الحياة، ومن فى الحياة حولنا أسرة وأصدقاء وكنيسة وعمل ومجتمع،

بركة منه لنستمتع بها ونصونها قبل أن يضيع العمر . وفى وسط كل الظروف قد لا نفهم كل شئ، لكننا نعيش بالإيمان بالوعد " أن تعبنا ليس باطلا فى الرب " (١ كو ١٥ : ٥٨)، وهكذا نجد قيمتنا وكرامتنا.

ثانيا : الثروة والهدف والغاية ٢ : ١٨ -٢٣

إذا كانت الحكمة والمعارف فى حد ذاتها لا تحقق القيمة والكرامة الكاملة كما رأينا، فهل تحقق الثروة هدف وغاية الحياة ؟

يقول الجامعة، وهو يستعرض خبرات سليمان، لا. بل أكثر من ذلك، فكما كره الحياة فى (عدد ١٧) كره التعب الذى تعبه فى عمله، وكره الثروة التى نتجت عن هذا التعب فيقول " فكرهت كل تعبى الذى تعبت فيه تحت الشمس حيث أتركه للإنسان الذى يكون بعدى" .

والسؤال هنا، لماذا يكره ثروته التى تعب فيها كل أيامه ؟ ويجيب Warren W. Wiersbe فى تعليقه على هذا الجزء بإجابة مثلثة :

١-لأننا لا نستطيع أن نحتفظ بها (١٨ ب) . سيأتى يوم نترك فيه العالم وكل ما فيه، ونترك الثروة وكل شىء. وربما تذكرنا هذه الكلمات بمثل الغنى الذى أصبحت الثروة كل هدفه فى الحياة، فقال له يسوع " الذى

أعددته لمن يكـون " (لـو ١٢ : ١٣ - ٢١) . كمـا تذكرنـا بكلمـات الرسـول بولس فى (١ تيمو ٦ : ٧ - ١٠) " لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما وأما الذيـن يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فـى تجربـة وفـخ وشـهوات كثيرة غبيـة ومضرة تُغرق الناس فى العطب والهلاك لأن محبة المال أصل لكـل الشـرور الذى إذا ابتغاه قـوم ضلـوا عـن الإيمـان وطعنـوا أنفسهم بأوجـاع كثيرة". هناك مثل يهودى معروف " الكفن ليس له جيوب ".

٢- لأننـا لا نستطيع أن نحميها بعدنـا (١٩ ، ٢٠) . فلـو تركنـا الثروة لمـن بعدنا، كالأولاد فى الحياة العادية، أو الذى يأتى بعده فى الملك فى حالة سليمان، فمن يضمن طريقة التصرف فى هذه الثروة ؟ هل يتصرف بحكمـة أم بجهل فيبدد كل شـئ ؟ وفـى حالـة سـليمان، حـدث هـذا فعـلاً علـى يـد رحُبعَام ابنه الذى بدَّد فى حماقة ما تعـب فيـه سـليمان (١ مـل ١١ : ٤١ - ١٢ : ٢٤) . وهنا شعر باليأس من كل تعبه تحت الشمس (عدد ٢٠).

٣-لأننا لا نستطيع أن نتمتع بها كما ينبغى (٢١ - ٢٣) فإذا كان كل همنا وهدفنا هو التعب والعناء لجمع الثروة، ثـم التمـزق قلقاً لمـا سـوف يحـدث لها، فبالتأكيد ستكون حياتنا بائسة ولا نستطيع أن نتمتـع بـها كمـا ينبغـى . إننا نتعب لنتـرك مـا تعبنـا فيـه لآخر لم يتعـب فيـه " هـذا أيضـاً بـاطل وشر عظيم " (٢١) .لم يجد الجامعة فى ذلك معنى، ولذلك يتساءل " لأنه ماذا

للإنسان من كل تعبه ومن إجتهاد قلبه الذى تعب فيه تحت الشمس " (٢٢) أى يعود إلى السؤال الرئيسى فى (١ : ٣) " ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس " . ماذا للإنسان ؟ ثم يضيف " لأن كل أيامه أحزان وعمله غم . أيضاً بالليل لا يستريح قلبه . هذا أيضاً باطل هو " (٢٣) (انظر ١ : ١٨).

إنه يريد أن يقول إن كل من يجعل الثروة هدفه وهمه كغاية فى الحياة، لن يحصد إلا العناء الذهنى والجسدى فى النهار، والقلق وعدم راحة البال المصاحب لذلك فى الليل . إنه يفتقد الفرح البسيط بالحياة وبالأشياء، الفرح الذى يغمرنا عندما نرى هذه الأشياء كوسيلة وبركة من يد إلهنا الصالح. ويفتقد راحة البال وهدوء النوم وسلامة الضمير، الذى يضعه الله داخل من يحيا فى دائرة مشيئته، مدركاً لهدف وغاية وجوده . لقد نام بطرس فى السجن (أع ١٢ : ٦)، ونام يسوع وسط العاصفة فى السفينة (مر ٤ : ٣٨)، ويقول المرنم " بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام لأنك أنت يارب منفرداً فى طمأنينة تسكننى " (مز ٤ : ٨) وفى موضع آخر " باطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام مؤخرين الجلوس آكلين خبز الأتعاب لكنه يعطى حبيبه نوماً " (مز ١٢٧ : ٢).

إنه يدعو إلى حقيقة هامة أن المال والإمكانيات ضرورة للحياة الكريمة التى هى حق لكل إنسان، لكنه لا يحقق للإنسان الغاية العظمى التى أرادها الله للإنسان على الأرض، وهى أن نعيش لله وأن نمجده فى

حياتنا. وفيه وحده نجد معنى الحياة وشبعها. وبالتالى هى دعوة لنا للاكتفاء والرضى، وأن نستخدم الإمكانيات التى لنا، والتى هى عطية من الله، لنفع الناس وامتداد الملكوت . إن مشكلة الفقر فى مجتمعنا مزعجة، فالإحصائيات تقول أن ٤٣ ٪ من الأسر التى تعولها سيدات و ٣٤٪ من الأسر التى يعولها رجال، تحت خط الفقر، وعواقب هذه المشكلة مدمرة للجميع، ولكل واحد أن يساهم قدر الطاقة فى تخفيف آلام الآخرين . كما أن امتداد ملكوت الفادى من خلال الكنيسة إلى مجالات وأماكن أوسع، يحتاج إلى مشاركتنا، ونحن معاً بمشاركتنا ورؤانا وخدمتنا نستطيع بنعمته أن نحقق الكثير.

عند هذه النقطة ينطلق الجامعة من المناقشة حول ما يحدث تحت الشمس، وما يحدث لنا إذا انحصرنا فقط فى هذا المجال، إلى خاتمة لهذه الأعداد وللقسم الأول كله من السفر الذى يشمل الإصحاحين الأول والثانى .

خـاتمـــــــة

عندما يدخل الله إلى المشهد الإنسانى

(٢ : ٢٤ –٢٦)

" ليس للإنسان خير من أن يأكل ويشرب ويرى نفسه خيراً فى تعبـه . رأيـت هذا أيضاً أنه من يد الله لأنه من يأكل ومن يلتذ غيرى لأنه يؤتـى الإنسان الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحاً أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويم ليعطى للصالح قدام الله هذا أيضاً باطل وقبض الريح".

فى هذه الخاتمة نجد تحولاً حقيقياً فى المناقشة، نجد " نقطة تحول " كما يسميها إيتون M.Eaton ونجد " الوجه الآخر " للقضية كما يقول كيدنر Derek Kidner . هذا التحّول، وهذا الوجه الآخر، يقدم نظرة جديدة للحياة تختلف عن " النظرة العدمية " Nihilism التى لا ترى معنى للوجود، وتتشكك فى القيم والمعتقدات والمجتمع .

هذه النظرة الجديدة تنطلق من مركزية الإيمان بالله الخالق والمصدر والضابط لهذه الحياة، بعد أن كشف عن إفلاس إدعاء الإنسان بالاستقلالية بعيداً عن الله، مهما تكن إمكانياته من صحة، وغنى، وممتلكات، ومركز، وسلطة، ومسرات . من هنا نجد دخول الله إلى المشهد فى هذه الأعداد،

بعد أن غاب في كل الأعداد السابقة في الإصحاحين الأول والثاني، ما عدا (١ : ١٣) والذي جاء فيه ذكر الله لا كحل لمشكلة الحياة، بل كسبب للعناء الرديئ فيها.

وعندما دخل الله والإيمان به إلى مشهد الحياة الإنسانية، تغيّر كل شئ، وجاء لنا الجامعة بنظرته الجديدة، التي لا ترى في العالم والحياة الضيق والألم والعناء والموت فقط، بل ترى فيه الجمال والعدالة والفرح والمعنى وتدبير العناية ومشيئة الله الصالحة . نظرة ترى بوضوح يد الله الفاعلة في شئون الناس ولخيرهم.

وعلى هذا الأساس يدعونا الجامعة أن نرى أن إمكانيات الحياة التي بين أيدينا، هي عطايا صالحة لنا من يد الله (عدد ٢٤) . وبالتالي يدعو إلى روح الرضى والشكر، بعيداً عن التذمر أو القلق من ناحية، أو التعالي والكبرياء من ناحية أخرى (١ تيمو ٦ : ٦ – ٨) " وأما التقوى مع القناعة فهي تجارة عظيمة لأننا لم ندخل العالم بشئ وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ فإن كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما " .

كما يدعونا الجامعة إلى التمتع بالحياة وإمكانياتها التي أعطاها لنا الله، في إطار حياة الإيمان . يقول في (عدد ٢٥) " لأنه من يأكل ومن يلتذ غيري "، والفعل " يلتذ " يعني يتمتع، و " غيري " أصلاً جاءت بمعنى " بعيدا عنه " . وفي كتاب الحياة جاءت الآية " إذ بمعزل عنه من

يستطيع أن يأكل ويستمتـــع " . ويقول الرسول بولس فى (١ تيمو ٤ : ٤) " لأن كـــل خليــقــة الله جيدة ولا يُرفـَض شئ إذا أخـــذ مع الشكر " (أنظر جامعة ٣ : ١٢ و٢٢ ، ٨ : ١٥) .

لقد خلق الله كل شئ صالحاً " ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً " (تك ١ : ٣١)، وفى (مزمور ١٠٤ : ٣١) يفرح الله بأعماله " يكون مجـد الرب إلى الدهـــر . يفرح الرب بأعماله "، وفى (أيوب ٣٨ : ٧) " ترنمت كواكب الصبح معاً وهتف جميع بنى الله ".

وكما يفرح الله بالخليقـة والحيـاة، وتـترنم وتـهتف الملائكـة، يدعونـــا الجامعة أن نتمتع بعطايـاه كبركـة منـه، وهكـذا نلقـى رجاءنـا، لا علـى الأشيـــــاء، بل " على الله الحى الذى يمنحنـــا كل شئ بغنى للتمتع " (١ تيمو ٦ : ١٧) .

فى (عدد ٢٤) دعانا الجامعة إلى الرضى والشكر، وفى (عـدد ٢٥) دعانا إلى التمتع بالحياة وإمكانياتها كعطية صالحة من يد إلهنا، لكـن السؤال : كيف يستطيع الإنسان أن يتعلم وأن يتدرب على التمتـع بالحيـاة ؟ . نحـن فعلاً كشعب لا نعرف كيف نتمتع بحياتنا إلى أن تتسرب الحيـاة مـن بين أيدينـا، نحـن نعيش فـى مجتمـع مـأزوم محـاصر بـهموم وضغـوط سياسـية واقتصادية واجتماعية عديدة، وننجرف مرات مع التيـار إلى أن نسقط مـن الإعياء تحت المشكلات أو جرياً وراء التوقعات، مع أن الحياة مليئة بالأمور

البسيطة والجميلة التى دعانا الله أن نتمتع بها، لكننا لا نملك مقومات هذه الطريقة من التفكير، ولا نعرف كيف نتمتع بأيامنا، وبأسرتنا، وبأصدقائنا، وبأعمالنا، وبدورنا، وبإمكانيات الحياة التى بين أيدينا .

هذه المقومات نجدها فى (عدد ٢٦)، مقومات يعطيها الله للإنسان الصالح الذى يعيش فى خوفه، ليفعل مشيئته، " الله يعطى الإنسان الصالح قدامه حكمة و معرفة وفرحاً .. ". هنا " الحكمة " التى يراها الجامعة ويقدرها كهبة من الله، و " المعرفة " هنا ليست فقط امتلاك المعارف والحقائق، بل خبرة الحياة أيضاً، و " الفرح " بالله وعطاياه، الذى هو نتيجة وثمرة للحكمة والمعرفة، وتعبير عن الرضى والشكر فى حياة الإنسان الصالح.

" أما الخاطئ فيعطيه شغل الجمع والتكويم ليعطى للصالح قدام الله . هذا أيضاً باطل وقبض الريح " . الخاطئ يشير إلى الشخص الذى لا يأخذ حياته من يد الله، وبالتالى فمجاله فقط " تحت الشمس "، وكل هدفه فى الحياة امتلاك الأشياء. فينغمس فى جمعها، ويقضى عمره مشغولاً ومهموماً بتكويمها، إلى أن ينتهى دون أن يتمتع بها، ويتركها لغيره الصالح فى حياته أو بعد موته " من يحب الفضة لا يشبع من الفضة ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل هذا أيضاً باطل إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها وأى منفعة لصاحبها إلا رؤيتها بعينيه " (٥ : ١٠ و ١١).

والجامعة يرى فى ذلك شراً وبطلاً ومصيبة رديئة فيقول فى (٦ : ١ و ٢) " يوجد شر قد رأيته تحت الشمس وهو كثير بين الناس رجل أعطاه الله غنى ومالاً وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله إنسان غريب هذا باطل ومصيبة رديئة هو " . أما كيف تنتقل الثروة للصالح، فالجامعة يضع المبدأ الذى نجده في أماكن أخرى، لكنه لا يذكر لنا كيف . ففى (أم ١٣ : ٢٢) " الصالح يورث بنى البنين وثروة الخاطئ تُذخر للصديق " (أنظر أمثال ٢٨ : ٨)، وفى العهد الجديد نرى نفس المبدأ والموقف فى (مت ٥ : ٥ ، لو ١٩ : ٢٤، ١ كور ٣ : ٢١ ، ٢ كور ٦ : ١٠) . وأمام حالة الخاطئ يقول الجامعة " هذا أيضاً باطل وقبض الريح .

هذه الخاتمة، التى تقدم وجهة نظر الجامعة، وتشكل نقلة جديدة كبيرة، تكشف للإنسان طريقين للحياة . الأول، الدائرة الشريرة التى لعالم بلا هدف، ملذات وقتية، عمل بلا ثمر، حكمة لا تقدم حلاً نهائياً، وسلاماً كاملاً، موت لا يمكن تجنبه . والطريق الثانى حياة مأخوذة يومياً من يد إله صالح، يدعونا أن نتمتع بها برضى وشكر، لنمجده فيها وننفع الناس بها، فى يقين إيمان بأننا به نحيا ونتحرك ونوجد، وأنه يضمن الحاضر والمستقبل، الحياة والأبدية . وهو يدعونا أن نختار بإرادة حرة طريق الإيمان والحياة الأفضل.

المناقشة الثانية

فهم خطة الله الشاملة

(٣ : ١ – ٥ : ٢٠)

" لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت. للولادة وقت وللموت وقت للغرس وقت ولقلع المغروس وقت. للقتل وقت و للشفاء وقت للهدم وقت وللبناء وقت .للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت. لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت. للكسب وقت وللخسارة وقت للصيانة وقت وللطرح وقت.للتمزيق وقت وللتخييط وقت للسكوت وقت وللتكلم وقت.للحب وقت وللبغضة وقت للحرب وقت وللصلح وقت.أي منفعة لمن يتعب مما يتعب به. قد رأيت الشغل الذي أعطاه الله بني البشر ليشتغلوا به. صنع الكل حسنا في وقته وأيضا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية .عرفت أنه ليس لهم خير إلا أن يفرحوا ويفعلوا خيرا في حياتهم. و أيضا أن يأكل كل إنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله.قد عرفت أن كل ما يعمله الله أنه يكون إلى الأبد لا شيء يزاد عليه و لا شيء ينقص منه وأن الله عمله حتى يخافوا امامه. ما كان فمن القدم هو و ما يكون فمن القدم قد كان والله يطلب ما قد مضى. وأيضا رأيت تحت الشمس موضع الحق

هناك الظلم و موضع العدل هناك الجور. فقلت في قلبي الله يدين الصديق والشرير لأن لكل أمر ولكل عمل وقتا هناك. قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر أن الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم . لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل . يذهب كلاهما إلى مكان واحد كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما.

من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض . فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده.

ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالميهم قهر أما هم فلا معز لهم. فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عائشون بعد. وخير من كليهما الذي لم يولد بعد الذي لم ير العمل الرديء الذي عمل تحت الشمس .ورأيت كل التعب وكل فلاح عمل أنه حسد الإنسان من قريبه وهذا أيضا باطل و قبض الريح . الكسلان يأكل لحمه و هو طاو يديه. حفنة راحة خير من حفنتي تعب و قبض الريح. ثم عدت ورأيت باطلا تحت الشمس.يوجد واحد و لا ثاني له و ليس له ابن و لا اخ و لا نهاية لكل تعبه و لا تشبع عينه من الغنى فلمن أتعب أنا وأحرم نفسي الخير

هذا أيضا باطل وأمر رديء هو. أثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة . لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقيمه . أيضا إن إضطجع اثنان يكون لهما دفء أما الواحد فكيف يدفأ. وإن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الإثنان و الخيط المثلوث لا ينقطع سريعا. ولد فقير وحكيم خير من ملك شيخ جاهل الذي لا يعرف أن يحذر بعد . لأنه من السجن خرج إلى الملك و المولود ملكا قد يفتقر . رأيت كل الأحياء السائرين تحت الشمس مع الولد الثاني الذي يقوم عوضا عنه. لا نهاية لكل الشعب لكل الذين كان أمامهم أيضا المتأخرون لا يفرحون به فهذا أيضا باطل وقبض الريح .

أحفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله فالإستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لا يبالون بفعل الشر. لا تستعجل فمك و لا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله لأن الله في السماوات و أنت على الأرض فلذلك لتكن كلماتك قليلة . لأن الحلم يأتي من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام. إذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به لأنه لا يسر بالجهال فأوف بما نذرته .أن لا تنذر خير من أن تنذر و لا تفي .لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ ولا تقل قدام الملاك أنه سهو لماذا يغضب الله على قولك و يفسد عمل يديك.لأن ذلك من كثرة الأحلام و الأباطيل وكثرة الكلام ولكن اخش الله .

إن رأيت ظلم الفقير و نزع الحق و العدل في البلاد فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالي عاليا يلاحظ و الأعلى فوقهما . ومنفعة الأرض للكل الملك مخدوم من الحقل. من يحب الفضة لا يشبع من الفضة و من يحب الثروة لا يشبع من دخل هذا أيضا باطل. إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها و أي منفعة لصاحبها إلا رؤيتها بعينيه. نوم المشتغل حلو إن أكل قليلا أو كثيراً ووفر الغني لا يريحه حتى ينام . يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس ثروة مصونة لصاحبها لضرره . فهلكت تلك الثروة بأمر سيء ثم ولد أبنا و ما بيده شيء. كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء و لا يأخذ شيئا من تعبه فيذهب به في يده . هذا أيضا مصيبة رديئة في كل شيء كما جاء هكذا يذهب فأية منفعة له للذي تعب للريح أيضاً يأكل كل أيامه في الظلام و يغتم كثيراً مع حزن وغيظ . .

هوذا الذي رأيته أنا خيراً الذي هو حسن أن يأكل الإنسان و يشرب و يرى خيراً من كل تعبه الذي يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاه الله أياها لأنه نصيبه .أيضا كل إنسان أعطاه الله غنى و مالا و سلطه عليه حتى يأكل منه و يأخذ نصيبه و يفرح بتعبه فهذا هو عطية الله .لانه لا يذكر أيام حياته كثيراً لأن الله ملهيه بفرح قلبه".

وضعت المناقشة التى تمت فى الأصحاحين السابقين حول حركة ودوران الطبيعة والتاريخ التى لا تهدأ من ناحية، ثم تقييم أو تقويم خبرات سليمان من الناحية الأخرى، أقول وضعت هذه المناقشة الأساس القوى للخاتمة

فى (٢ : ٢٤ – ٢٦)، والتى قدّم فيها الجامعة الحقيقة الواضحة، أن التمتع بالحياة والسعادة فيها، هما عطايا مباشرة من الله لشعبه وأولاده فى مجتمع الإيمان، أما الخاطىء، فقد تُرك لدور جشع هو " شغل الجمع والتكويم"، والإمكانيات قد تؤول لخير ونفع خائفى الله.

ابتداءً من الأصحاح الثالث يتجه الجامعة إلى المناقشة الثانية، من بين المناقشات الأربع الرئيسية فى سفره. فى هذه المناقشة يقدم الجامعة فكرته أن كل عمل للإنسان، لابد أن نراه من خلال خطة الله الشاملة لكل شيء " لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت" (٣ : ١). هذه الخطة الشاملة للتاريخ الإنسانى، وللأبدية اللانهائية، لا يستطيع الإنسان العادى وسط عوائق وعوالق الجسد والعالم الذى نعيش فيه أن يكتشفها. لكنه فى نفس الوقت مخلوق على صورة الله، وبالتالى فهو يمتلك الجوع والرغبة القلبية لمعرفة خطة الله لحياته. وهو لا يستطيع أن يعرفها، إلا إذا عرف الله الحى معرفة شخصية، وفى هذا المعنى يقول الجامعة " قد رأيت الشغل الذى أعطاه الله بنى البشر ليشتغلوا به. صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم التى بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذى يعمله الله من البداية إلى النهاية" (٣ : ١٠ و ١١). وعندما يعرف الله، ويعرف خطته لحياته، يجد المعنى والشبع، الفرح والتمتع بالحياة، القيمة والكرامة، الهدف والغاية، وكل ما كان يبحث عنه فى الأصحاحين السابقين.

ومثل المناقشة السابقة، تنقسم هذه المناقشة إلى ثلاثة أجزاء ثم خاتمة ينتهى بها على النحو التالى :

١- المبـــــدأ ٣ : ١ - ١٥ الإنسان وطغيان الوقت .

٢- الحقائـــق ٣ : ١٦ - ٤ : ١٦ حقائق الحياة الصعبة.

٣- التحديـرات ٥ : ١ - ١٧ تحذيـرات وتعـاليم حـول الموقـف الصحيح تجاه حقائق الحياة الصعبة.

خاتـــــمة ٥ : ١٨ - ٢٠ نظرة جديدة.

القســـم الأول

المبدأ

الإنسان وطغيان الوقت

(٣ : ١ – ١٥)

" لكل شيء زمان ولكل أمر تحت السماوات وقت. للولادة وقت وللموت وقت للغرس وقت ولقلع المغروس وقت. للقتل وقت و للشفاء وقت للهدم وقت وللبناء وقت . للبكاء وقت وللضحك وقت. للنوح وقت وللرقص وقت. لتفريق الحجارة وقت ولجمع الحجارة وقت للمعانقة وقت وللانفصال عن المعانقة وقت. للكسب وقت وللخسارة وقت للصيانة وقت وللطرح وقت. للتمزيق وقت وللتخييط وقت للسكوت وقت وللتكلم وقت. للحب وقت وللبغضة وقت للحرب وقت وللصلح وقت. فأي منفعة لمن يتعب مما يتعب به. قد رأيت الشغل الذي أعطاه الله بني البشر ليشتغلوا به. صنع الكل حسنا في وقته وأيضا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية.عرفت أنه ليس لهم خير إلا أن يفرحوا ويفعلوا خيرا في حياتهم. و أيضا أن يأكل كل إنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله . قد عرفت أن كل ما يعمله الله أنه يكون إلى الأبد لا شيء يزاد عليه و لا شيء ينقص منه وأن الله عمله حتى يخافوا امامه. ما كان فمن القدم هو و ما يكون فمن القدم قد كان والله يطلب ما قد مضى ".

يطرح هذا النص تساؤلات قديمة جديدة.. مثل :

* هل يعيش الإنسان فى ظل قدرية وجبرية مطلقة، وأن كل شىء مقّدر ومكتوب؟ .. أم أن الانسان يملك قراره ومصيره ؟ . .
* هل هناك مساحة بين قضاء الله وسلطانه، وبين حرية الإنسان ومسئوليته؟
* وما هو موقف الإنسان الصحيح من قوانين الطبيعة، وسلطان الزمن، وتتابع الأحداث، ولغز الحياة ؟
* وهل يوجد وسط هذه المعمعة معنى للحياة؟ ودور ورسالة للإنسان ؟
* وهل تقدم لنا هذه الأعداد إجابة شافية لمثل هذه التساؤلات ؟

فى هذا النص نرى :

المبـــدأ ٣ : ١ – ٨

السـؤال ٣ : ٩

الجواب ٣ : ١٠ – ١٥

أولا : المبدأ ٣ : ١ – ٨

هذه الأعداد استخدمها اسحق رابين رئيس وزراء اسرائيل السابق فى حفل توقيع اتفاقية غزة أريحا مع عرفات . هذه الأعداد فى العبرية عبارة عن قصيدة رائعة الجمال والشاعرية، العدد الأول منها يقدم الفكرة العامة، وفى الأعداد ٢ – ٨ نجد التفاصيل. الكلمة المفتاحية فى هذه القصيدة هى كلمة " وقت " أو " زمان "، وهى تتكرر حوالى ٢٨ مرة فى هذه

الأعداد. " زمان – وقت " كلمتان تشيران إلى فرصة، أوان، مناسبة، فصل، توقيت، " شيء – أمر " تشيران إلى شئون أو مقاصد الناس. والفكرة العامة أو المبدأ الذى يريد طرحه، هو ما جاء في العدد الأول، إن لكل شيء وشأن من شئون الناس زمان وتوقيت محدد، فى إطار عناية وخطة الله .

أما فى التفاصيل فى الأعداد ٢ – ٨ فأراد أن يوضح ويشرح هذا المبدأ من خلال عرض ١٤ ثنائية من متناقضات الحياة الانسانية، والأحداث المختلفة التى تحدث فى حياة كل فرد، والتى تصف طغيان الزمن بتنوعه فى الحركة وسرعة الإيقاع واختلاف المزاج... وهى كالتالى :

١-الولادة والموت : فالتواجد الانسانى بين الولادة والموت يأتى على رأس القائمة.

٢- الغرس والقلع : هنا ينتقل إلى عالم النبات من بذر وحصاد .

٣- القتل والشفاء : الحكم بالموت على القتلة، أو أوقات الشفاء، والفعل "يشفى" حرفيا يعنى " يحيك " أو " يضمد الجرح " .

٤- الهدم والبناء : هدم الجدران أو العلاقات أو مجازيا الأمم، ثم البناء لهذه الأمور (إر ٨ : ٧ – ٩) .

٥-البكاء والضحك : الأحزان والأفراح التى تصاحب الأحداث السابقة فى عددى ٢ و ٣ .

٦-النوح والرقص : الأحزان والأفراح التى تصاحب الأحداث السابقة فى عددى ٢ و ٣ .

٧- تفريق الحجارة وجمعها : أحجار تستبعد لأنها غير مناسبة للبناء، لكنها تستخدم في وقت وعمل آخر. أو أحجار تلقى أثناء هدم مبنى وأحجار تجمع للبناء. أو أن جمع الحجارة يشير إلى إعداد طريق لفاتح منتصر، وتفريق الحجارة يشير إلى عدوان حربي وإفساد حقول العدو (اش ٦٢ : ١٠).

٨-المعانقة والانفصال : اللقاء والاحتضان، والابتعاد.

٩- الكسب والخسارة : كما في عالم التجارة أوالممتلكات .

١٠- الصيانة والطرح : صيانة وعناية المقتنيات أو التخلص منها لعدم صلاحيتها.

١١- التمزيق والتخييط : للملابس والثياب وتمزيقها وقت الحزن ثم تخييطها بعد عبور المحنة (٢ صم ١٣ : ٣١).

١٢- السكوت والتكلم : مرات الصمت عند شدة الأزمة (٢ مل ٢ : ٣ و ٥) ومرات التكلم والصراخ مع الله ومع رفاقنا. أو اختيار الصمت أو الكلام حسب الموقف.

١٣- الحب والبغض : في مجال العلاقات الانسانية إيجاباً وسلباً.

١٤- الحرب والصلح : في قضايا الحرب و السلام بين الشعوب.

هذه القائمة تشير إلـــــى " التتـابع الزمنـى " للأحـداث فـى الفصـول والمواسم وكل شئ طبقاً للقوانين الطبيعية التى خلقها ووضعها الله، فى إطار عمله وخطته للبشر، مثل دورات الطبيعة وحركة التاريخ التـى رأيناها فى الإصحاح الأول.

ثانياً : السؤال ٣ : ٩ :

إذا كانت الأعداد السابقة تؤكد تدبيرات الله للأزمنة لكل شئ، فهل يوجد جهد إنسانى يستطيع أن يغير شيئاً ؟ . وإذا كان الإنسان لا يستطيع أن يغير الأوقات أو الظروف أو الأحداث " فأى منفعة لمن يتعب مما يتعب به " ؟ وهنا يعود الجامعة إلى (١ – ٣) " ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس " .

فهل الجامعة هنا يعلن قدرية وجبرية مطلقة ؟ أم أنه يحتج ويشكو لأنه يشعر أنه سجين ذلك التتابع الزمنى، وتأثيره المثبط على الحياة ؟ أم أنـه يؤكـد عدم الكفاية البشرية وحدها فى تحقيق تدبيرات الله لحياة الإنسان ؟

ثالثاً : الجواب ٣ : ١٠– ١٥ :

هنـا يبدأ الجامعة فـى التأمل والتفكير، ثم الإجابة علـى أسـاس النظـرة الجديدة للحياة، التى قدمها فـى نهاية الإصحاح الثانى (٢ : ٢٤ – ٢٦)،

والتى فيها يدخل الله بقوة إلى المشهد الإنسانى، ويؤمن الإنسان بعمق بهذا الإله العظيم الخالق والضابط والمانح لهذه الحياة.

وعلى أساس هذه النظرة الجديدة التى مركزها الله والإيمان به، قدّم لنا الجامعة إجابة مثلثة، تبدأ الأولى بالفعل " رأيت " (١٠)، والثانية والثالثة بالفعل " عرفت " (١٢ ، ١٤) .

١- الحياة والأبدية ١٠ ، ١١ :

" قد رأيت الشغل الذى أعطاه الله لبنى البشر .... صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم ... " . فى هذين العددين يقدم الجامعة حقيقة ذات وجهين، الأول أن الله "صنع" الخليقة والإنسان، الأحداث والظروف، المواسم والفصول والعلاقات، صنع الكل " حسناً " أى صالحاً " GOOD" وجميلاً " Beautiful " . وهذا ينسحب على كل ما جاء فى الأعداد ٢-٨ . قد لا تبدو بعض هذه الأمور صالحة أو جميلة فى حد ذاتها، لكننا يجب أن نراها معاً فى إطار عمل الله الكامل.

والوجه الثانى لهذه الحقيقة، أن الله " وضع " فى قلوب الناس الرغبة والجوع لمعرفة ليس فقط " جمال " ما صنع، ولكن لكى يلمسوا هذا الجمال فهم تواقون لمعرفة كيف تعمل معاً كل هذه التفاصيل فى تناغم خطة الله الشاملة من البداية إلى النهاية .

والكلمة المفتاحية هنا هى كلمة " الأبدية " (١١)، وهى نفـــس الكلمة التى جـاءت فى (عـدد ١٤) " إلى الأبـد " . والإنسان لأنه مخلـوق على صورة الله، لذلك يولد برغبـة وعطـش إلى الحقيقـة، حقيقة جمـال الكـون، وكنه ومعنـى العـالم، وهـدف ومصير الإنسان والكـون، وحـب وعبـادة الإلـه الحى، ونور العلوم الطبيعية والإجتماعية والإنسانيات . الإنسان مولود بهذه الرغبة فى المعرفة معرفة ما وراء الزمن، معرفة الكـل، وبالعجز عـن الإلمـام بها كلها . وفـى نفس الوقـت ممـزق بـين " بُطـل " إختيـار وجـه واحـد مـن وجوه عالم الله الجميل الصالح، وبين إستحالة معرفة كل الوجـوه، انتفلت منه البداية والنهاية فما الحل ؟ .

* الحل هو أن يعرف الإنسـان شـخصياً هـذا الإلـه العظيـم الخـالق والمدبـر لهـذا الكـون، الإلـه الأبـدى السرمدى، ويؤمـن بخطتـه وعملـه، ويجـد هـذا الإحساس الداخلى فينا الذى يتعالى ويسمو على الوضع الحالى " الأبديـة " مكانه فى الإتحاد بالإله الأبدى، فيمكننا بالإيمان أن نرى بعينـــــه أنـه " صنع الكل حسناً فى وقته "، ونحاول أن ندرك - فـى إطـار محدوديتنـا - العمل الذى يعمله الله، ونؤمن ونثق أنه أنار لنا الحياة والخلود.

٢- الفرح والعطية ١٢ ، ١٣ :

يقول الجامعة " وعرفت أن ليس لهم خير إلا أن يفرحـوا ويفعلـوا خـيراً فـى حياتهم (ويمتعوا أنفسهم فى حياتهم) و أيضا أن يأكل كل إنسـان و يشـرب ويرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله" . وفى هذه الكلمات يريد الجامعـة

أن يقول أنه برغم أن الإنسان مخلوق علـى صـورة الله، وأن الله وضـع فـى قلبه الأبدية، إلا أنه مازال محدوداً بمتطلبات الجسـد والعـالم . وبالتـالى لا يمكن حل التوتر بين الزمن والأبد فى حياة الإنسان حلاً شافياً . ومع ذلك يستطيع الإنسان أن يجد الأبد اليـوم ... كيف ؟ بأن يقبل حياتـه يوميـاً كعطية من الله. بروح الشكر، وأن يرى خيراً من كل تعبه فهو عطية الله .

هنا يؤكد الجامعة أنه يمكننا أن نصنع الخـير فى الحياة، وأن نستمتـــع به (٢ : ٢٤) . وهـذه النوعية مـن الحيـاة إمتيـاز للإنسـان، وعطيـة مـن الله، وبالتالى هى دعوة للتمتـــع والفرح بحياتنـا التـى مـن يـد إلهنـا . ويقـول المرنم فى (مز ٤ : ٦-٨) " كثيرون يقولون من يرينا خيراً . أرفع علينـا نـور وجهك يـا رب . جعلـت سـروراً فـى قلبـى أعظـم مـن سـرورهم إذ كـثرت حنطتهم وخمرهم. بسلامة أضطجع بل أيضاً أنام لأنك أنت يارب منفـرداً فـى طمأنينـة تسكننى " وفـى (مز ٥ : ١١ ، ١٢) يقـول " ويفـرح جميـع المتكلين عليك إلى الأبد يهتفون وتُظللهم ويبتهج بك محبو أسمك لأنك أنت تُبارك الصديق يارب كأنه بتُرس تحيطـه بالرضـا". إنهـا حكمـة الحيـاة، وحكمة الخليقة التى يعطيها الله للإنسان، الحكمة التى ترى أن العالم ملئ بالأشياء التى لنا من الله، والتى وجدت للتمتع .

٣- الأمان والمسئولية ١٤ ، ١٥ :

مرة أخرى يقول الجامعة " قد عرفت أن كل ما يعمله الله أنه يكون إلى الأبد . لاشئ يزاد عليه ولاشئ ينقص منه وأن الله عمله حتى يخافوا منه. فما كان فمن القدم هو . وما يكون فمن القدم قد كان . والله يطلبه ما قد مضى".

هنا يقول الجامعة، طالما أن الإنسان محدود كمخلوق، إذن هو لا يستطيع دائماً أن يرى الصورة الكاملة للأحداث والتناقضات، ولا أن يراها في عملها النهائي فيفرح ويتمتع بها، لأن هذا فقط المتاح للخالق وليس المخلوق. أما الإنسان فإنه أحياناً يرى الصورة الخلفية للوحة التى تطرز على القماش، يرى الخيوط المتداخلة والخطوط المشوهة، يرى معمعة الأحداث المتناقضة، والظروف الصعبة، ويسقط في حيرة مربكة، وتثور في داخله علامات الاستفهام التى تبحث عن إجابة.

وهنا ياتى دور الإيمان الذى يرى الله، الذى هو أبونا السماوى، الضابط كل الأشياء بكلمة قدرته. وهو ضابط إيقاع الحياة والزمن بتدبيرات عنايته وقصده الإلهى . وهنا الأمان الحقيقى، الذى يؤمن أن عمل الله في الكون والأحداث، في المواسم والفصول، يتميز بثلاث سمات:

* الأولى هو عمل دائم ما يعمله الله ... يكون إلى الأبد.
* الثانية هو عمل كامل وفعال، ولاشئ يُترك أو يهمل.

* الثالثة هو عمل مضمون، فلا يمكن تهديد أو إتلاف أى جزء فيه " لا شئ يزاد عليه ولاشئ ينقص منه" . والله ساهر عليه ويعتنى به كله فى كل لحظة بعناية فائقة " ما كان فمن القدم هو. وما يكون فمن القدم قد كان. والله يطلب ما قد مضى" . الله مصدر دورات الأزمنة التى وضعها الله فى سلطانه وهو يعرف الماضى ويرى المستقبل، وصخب الحياة الإنسانية مضمون وآمن لأن الله ساهر عليه. ونحن جزء هام من خطته الأبدية فى حياتنا على الأرض، وفى سياحتنا إلى البيت الأبدى. أما المسئولية ففى قوله " وإن الله عمله حتى يخافوا منه"، أى الحياة فى خوف الله، وطاعة وصاياه، وفهم حكمة أوقاته وأزمنته وعمله الدائم والكامل والمضمون . فمخافة الله رأس الحكمة، المخافة التى ترى الله سيد الكون، ورب التاريخ والأبدية، فنثق فيه وحده .

يقول الرسول بولس فى (رو ٩ : ١٦) " فإذاً ليس لمن يشاء ولا لمن يسعى بل لله الذى يرحم " (جا ٥ : ٧، ٧ : ١٨ ، ٨ : ١٢ ، ١٣). والحكمة النابعة من خوف الله وطاعته، والثقة والطمأنينة فيه، هى التى بنور منه تحاول دائماً قراءة علامات الأزمنة فى تتابعها وإختلافها، وهى التى تدرك أن كل وقت يمر علينا، يأتينا محملاً بتحدياته الخاصة وفرصه المتاحة " حافظ الوصية لا يشعر بأمر شاق وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم. لأن لكل أمر وقتاً وحكماً لأن شر الإنسان عظيم عليه"(جا ٨ : ٥ و ٦) .

أختتم هذا النص ببعض الأفكار:

١ – حقيقة قانون الزمن فى حركته وتغيره تؤكد لنا أنه لا يوجد شئ دائم، كل شئ وكل ظرف وكل فصل وموسم كما أن له بداية له نهاية. ونحن نحتاج أن نذكر هذه الحقيقة أمام ظروف الحياة الصعبة، والأوقات المظلمة. ونثق أن هذا الليل له نهاية، هى فجر جميل مشرق، فنمتلىء بالصبر والتسليم والرضى وإنتظار الرب. وتتكون عندنا القدرة على أن نعدد الجوانب المضيئة فى حياتنا، برغم هذه الظروف، فنرنم :

إذا بحر هذى الحياة إضطرب وقد ضقت ذرعاً وخفتُ الفشل
فعدّ المراحم تلق العجب ويدهشك ربى بما قد فعل

وإن أثقلتك هموم الحياة فأمسى صليبُك لا يُحتمل
فعد المراحم يلق النجاة وننشد نشيد الهنا والأمل

فلا يهن العزمَ منك ولا تخف، إن ربك فوق الجميع
وعد المراحمَ، جندُ العلي تحيطك دوماً بسور منيع

٢– نحن نستغرق حياتنا فى أنشطة تمتص أيامنا بحثاً عن الإشباع، لكننا لسنا أحراراً فى إختيار ظروفنا، ولا فى سرعة الإتجاه إلى عكسها، مثل تجاوبنا التلقائى مع الفصول، ومراحل العمر إلى آخره، هذه الأمور يمليها علينا عامل الزمن والتغيير الدائم . ومهما تكن مهاراتنا ومبادراتنا – كما

يقول كيدنر Kidner – فعامل الزمن له اليد العليا التى لا ترحم. فهل لنا يد واختيار فى ظروف نفرح بها وأخرى نبكى فيها ؟ أيام للنوح وأخرى للرقص؟ أو أمة محبة للسلام تجبرها الأحداث على الاستعداد للحرب ؟ أو أصدقاء يتحولون مع الأيام إلى جزء من الصراع المرير؟ إن كل شئ نفعله أو يحدث لنا نسبى وخاضع لظروف عديدة خارجة عنا.

إذن، ما هو الموقف الصحيح ؟ موقفنا يجب أن يكون البحث عن حقيقة غير قابلة للتغيّر والتحوّل، وغير خاضعة للظروف والعوامل الضاغطة . هذه الحقيقة هى الله وما صنعه لنا وفينا " صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم" (٣: ١١) .

هذه الحقيقة تجعلنا نرى التغيير الدائم للحياة، لا كشئ مربك ومحيّر وغير مستقر، بل كعلامة أن الحياة على الأرض نموذج لم يكتمل بعد بين يدى الله، وفى حالة صيرورة مستمرة بين أنامل الفخارى العظيم . وهنا تظهر مشكلتنا الحقيقية، وهى ليست أن الحياة ترفض أن تستقر، لكن المشكلة أننا نرى جزءً أو جانباً واحداً منها، ونرى الصورة الخلفية للوحة بخيوطها وخطوطها المتشابكة المتداخلة، ولا نستطيع أن نراها فى وجهها الكامل المطّرز على فضاء الزمن والأبدية.

* لكن عندما نمتلئ بالحقيقة الكاملة فى (٣ : ١١)، نستطيع أن نرى فى التغيير ديناميكية العمل الإلهى والغرض الإلهى لكل بداية ونهاية . وبدلاً

من جمود الكمال الوهمى علـى الأرض، هنـاك الحركة المتعددة للحياة وللزمن، وكل حركة وحدث وظرف وفصل وموسم بطابعه ووقته وبدايته وحصاده، " حسن في وقته "، ضمن إبداع وخطة الخالق العظيم.

ونحن نتوق أن نرى كل شئ فى اكتماله وكماله، لكننا نرى هنا قَبَساً من الأبدية، أما التصميم النهائى والنموذج الكامل من البداية إلى النهاية فيعرفه الخالق وحده، والإيمان بهذه الحقيقة يدعونا إلى الإتضاع قدام الله، ويدفعنا إلى الطاعة، ويملأنا بالثقة واليقين أن كل ما يحدث فى حياتنا يستخدمه الإله الصالح، ضمن برنامجه الإلهى لخيرنا ونضوجنا.

٣- هناك القوانين الطبيعية التى وضعها الله للكون، والمقاصد الإلهية التى وضعها الله للإنسان والحياة. هذه القوانين والمقاصد تشير من ناحية إلى سلطان الله وتدبيرات عنايته، ومن الناحية الأخرى تشير إلى مصداقية الإنسان ومسئوليته ودوره فى فهم القوانين التى وضعها الله، وفى فهم الأزمنة والأوقات والمراحل والعصور، وفى حرية التصرف السليم فى الوقت المناسب، وفى إستثمار القدرة التى أعطاها له الله والجوع إلى المعرفة، ليشارك الله فى صنع التاريخ من متناقضات الحياة المختلفة، وفى القدرة على التكييف والتوافق الإيجابى والصحى مع متغيرات العصر والأحداث، بغير جمود أو فشل . وهذا الموقف السليم يجيده الإنسان بقدر قربه من الله، ونموه ونضوجه فى فهم فكره وإرادته.

٤- قضية صراع الإنسان مع الزمن الذى وضعه الله بدقة تؤكد لنا أننا نملك في حياتنا وقتاً كافياً للإنجاز والإتقان فى أعمالنا ودورنا، بشرط أن تكون رؤيتنا واضحة، وأولوياتنا محددة، وإدارتنا لأوقاتنا منظمة بعيداً عن العشوائية والتخبط.

كما أن نفس القضية، قضية الصراع مع الزمن، تؤكد لنا أننا نملك وقتاً كافياً للإصلاح والبدء من جديد فى حياة أفضل. وهذا هو إيماننا ورجاؤنا أن الذى إبتدأ فينا عملاً صالحاً هو يكمل، ومن النهايات تتفجر بدايات جديدة.

القسم الثانى

الحقائق

حقائق الحياة الصعبة

(٣ : ١٦ - ٤ : ١٦)

" وأيضا رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم و موضع العدل هناك الجور.فقلت في قلبي الله يدين الصديق و الشرير لأن لكل أمر ولكل عمل وقتا هناك. قلت في قلبي من جهة أمور بني البشر أن الله يمتحنهم ليريهم أنه كما البهيمة هكذا هم. لأن ما يحدث لبني البشر يحدث للبهيمة وحادثة واحدة لهم موت هذا كموت ذاك ونسمة واحدة للكل فليس للإنسان مزية على البهيمة لأن كليهما باطل.يذهب كلاهما إلى مكان واحد كان كلاهما من التراب وإلى التراب يعود كلاهما.

من يعلم روح بني البشر هل هي تصعد إلى فوق وروح البهيمة هل هي تنزل إلى أسفل إلى الأرض . فرأيت أنه لا شيء خير من أن يفرح الإنسان بأعماله لأن ذلك نصيبه لأنه من يأتي به ليرى ما سيكون بعده.

ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجرى تحت الشمس فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالميهم قهر أما هم فلا معز لهم . فغبطت أنا الأموات الذين قد ماتوا منذ زمان أكثر من الأحياء الذين هم عائشون

بعد . وخير من كليهما الذي لم يولد بعد الذي لم ير العمل الرديء الذي عمل تحت الشمس . ورأيت كل التعب وكل فلاح عمل أنه حسد الإنسان من قريبه وهذا أيضا باطل و قبض الريح . الكسلان يأكل لحمه و هو طاو يديه. حفنة راحة خير من حفنتي تعب و قبض الريح.ثم عدت ورأيت باطلا تحت الشمس. يوجد واحد و لا ثاني له و ليس له ابن و لا أخ و لا نهاية لكل تعبه و لا تشبع عينه من الغنى فلمن أتعب أنا وأحرم نفسي الخير هذا أيضا باطل وأمر رديء هو. اثنان خير من واحد لأن لهما أجرة لتعبهما صالحة . لأنه إن وقع أحدهما يقيمه رفيقه وويل لمن هو وحده إن وقع إذ ليس ثان ليقيمه.أيضا إن إضطجع اثنان يكون لهما دفء أما الواحد فكيف يدفأ إن غلب أحد على الواحد يقف مقابله الإثنان والخيط المثلوث لا ينقطع سريعا. ولد فقير وحكيم خير من ملك شيخ جاهل الذي لا يعرف أن يحذر بعد . لأنه من السجن خرج إلى الملك والمولود ملكا قد يفتقر . رأيت كل الأحياء السائرين تحت الشمس مع الولد الثاني الذي يقوم عوضا عنه.لا نهاية لكل الشعب لكل الذين كان أمامهم أيضا المتأخرون لا يفرحون به فهذا أيضا باطل وقبض الريح".

في سياق حديثه عن فهم خطة الله التي تشمل كل إنسان وكل حدث في الحياة، كما رأينا في (٣ : ١ – ١٥)، يناقش الجامعة في هذا النص، بعض التناقضات الحادة في الحياة التي تهدد جمال خطة الله من هذه المتناقضات، من خلال تقديمه لبعض الحقائق الصعبة التالية:

* الظلم ٣ : ١٦ – ٢٢ لا منصف.

* القهر ٤ : ١ - ٣ لا معزٍ.
* التنافس ٤ : ٤ - ٦ لا راحة .
* العزلة والوحدة ٤ : ٧ - ١٢ لا رفيق.
* الشعبية الزائفة ٤ : ١٣ - ١٦ لا دوام.

أولا - الظلم ٣ : ١٦ - ٢٢ : لا منصف

مازال الجامعة يذكرنا بوجود خطة عليا إلهية للحياة التى نحياها، تحكمها توقيتات واضحة، فيقول فى (عدد ١٧) " لأن لكل أمرٍ ولكل عمل وقتاً هناك " . لكن تناقضات الحياة الصعبة تفرض نفسها على المناقشة، وعلى رأس هذه التناقضات نجد مشكلة الظلم أو غياب العدالة. وهذه المشكلة يعود الجامعة إلى مناقشتها فى الإصحاح الرابع، وفى أماكن أخرى فى الأصحاحات التالية (٥ : ٨ ، ٨ : ١٠ - ١٥ ، ٩ : ١٣ - ١٦ ، ١٠ : ٥ - ٧ ، ١٠ : ١٦). كما أن هذه المشكلة، مشكلة الظلم، تبدو واضحة من خلال الحديث عن التناقضات والمتغيرات السريعة والمفاجئة للحياة، والتى رأيناها فى الجزء السابق من الأصحاح الثالث.

وفى هذا النص يطرح الجامعة القضية (عدد ١٦) وتبدأ بعبارة " وأيضا رأيت "، ثم يقدم التعليق (أعداد ١٧- ٢١) فى فكرتين تبدأ الأولى بكلمة " فقلت " (عدد ١٧) وتبدأ الثانية بكلمة " قلت " (أعداد ١٨ - ٢١)، وأخيرا ينتهى باستنتاج فى (عدد ٢٢). وهذا الشكل فى الكتابة

(رأيت - قلت) يتكـــرر كثـــيراً فـــى الجامعـــة مثـــل (٢ : ١٣ - ٢٥، ٣ : ١٦ - ٢٢ ، ٧ : ٢٥ - ٢٧ ، ٨ : ١٤ و ١٥).

أ- القضية ١٦ :

أنه رأى فى الحياة تحت الشمس" موضع الحق هناك الظلم وموضع العدل هناك الجور "، وهى قضية مؤلمة طالما حيرت كثيرين فى التاريخ الكتابى والإنسانى معاً، هى صرخة أيوب وآساف وكل الأنبياء، كيف يكون كل هذا الشر والظلم فى عالم يحكمه الله؟ وكم هو مؤلم أن نرى نجاح الشرير الذى يعيش فى الخطية، بينما نرى معاناة إنسان صالح يصارع ليعيش حياة الطاعة؟ . وكم يكون قاسياً أن نلاقى الشر والظلم فى أماكن القضاء ومن المسئولين عن اجراء العدل وحماية سيادة القانون ؟ . إنها مشكلة فى غاية الخطورة أن يشعر الإنسان انه لا يوجد منصف يجرى العدل، وانه لا أمل فى شعاع من نور، لأن الظلم من الظلمة. لقد حذر يهوشافاط قديماً من هذه المشكلة، عندما ردّ الشعب إلى الرب، أقام قضاة فى كل مدينة وقال لهم " وقال للقضاة انظروا ما أنتم فاعلون لأنكم لا تقضون للإنسان بل للرب وهو معكم فى أمر القضاء. والآن لتكن هيبة الرب عليكم إحذروا وافعلوا لأنه ليس عند الرب إلهنا ظلم ولا محاباة ولا ارتشاء" (٢ أخ ١٩ : ٦و٧).

قال الشاعر :

أواه إذا أخـــطـــأ الأنـــبـــيـــاء،

وآه إذا أسـود وجـه السمـاء،
وخـاط الملائـك ثـوب الريـاء
رجال القضاء .. حماة العدالة والأبرياء،
بكـم اشـترى العـدل من سوقكـم،
أم العـدل منكـم بـراء

ب- التعليق ١٧ - ٢١ : وفى تعليقه يقدم فكرتين :

الفكرة الأولى: (عدد ١٧) يقول فيها الجامعة أن الجانب المشجع أن أوقات الظلم والشر المؤلمة لها نهاية، أن الله يدين الجميع، لأن لكل أمرٍ ولكل عمل وقتاً. فهناك نهاية محتومة لشتاء الشر الطويل، وأن الله له التوقيت المناسب الذى وضعه لكل شيء ولكل ظرف .

والفعل " يدين " لا يعنى فقط إصدار الحكم، ولكنه يعنى أيضا تنفيذ الحكم. وكلمة " هناك " في نهاية العدد قد تعنى (فى التخطيط الإلهى) أو (وقتاً قد عينه) أو (فيما يتعلق بهذه الأحداث). والمعنى العام للفكرة كما يقول Eaton هى " فى وسط أعمال الناس الشريرة وغير العادلة، فإن قضاء الله ودينونة لازالت فعالة مؤثرة " (فى جا ٥ : ٨) " إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل فى البلاد فلا ترتع من الأمر . لأن فوق العالى عاليا يلاحظ والأعلى فوقهما ". ويقول المرنم " انقذني يا رب من أهل الشر من رجل الظلم احفظني. رجل لسان لا يثبت في الأرض رجل

الظلم يصيده الشر إلى هلاكه. قد علمت أن الرب يجري حكما للمساكين وحقا للبائسين. انما الصديقون يحمدون اسمك المستقيمون يجلسون في حضرتك". (مز ١٤٠: ١ و ١١ – ١٣).

الفكرة الثانية : (١٨ – ٢١) فى هذه الأعداد (يريد الجامعة أن يقول : شىء طيب أن دينونة الله حتمية، لكن لماذا تتأخر ؟ ولماذا لا يكون الحاضر والآن هو التوقيت المناسب لدينونة الله العادلة العامة ؟. على هذا السؤال الغير مباشر، تأتى الإجابة فى (عدد ١٨) أن دورنا ليس أن نُعلم الله عمله بل أن ندرك حقيقة نفوسنا. هذه الحقيقة التى نتباطأ جداً فى قبولها، ولذلك قد نصدم عندما يقول الجامعة " قلت فى قلبى من جهة أمور بنى البشر إن الله يمتحنهم ليريهم أن كما البهيمة هكذا هم" .

الفعل " يمتحن " هنا يعنى " يكشف أو يظهر " حقيقة الإنسان الهشة والضعيفة، حتى يتحرك الإنسان بحثاً عن الله، وأن يدرك أن كل امكانيات حياته من يدى الإله الصالح، وأنه وحده القادر أن يهبه القدرة للتمتع بهذه العطايا، والقدرة على تقدير نعمه وشكره على خطة عنايته.

الجامعة يريد أن يقول إن الله يستخدم كل شىء حتى أعمال الناس الشريرة فى إتمام مقاصده. وهكذا يستخدم الله هذه الأوقات الصعبة لأنها

تكشف حقيقة الإنسان الساقط. فالإنسان الذى يبتعد عن الله، يصبح كالبهيمة فى حياته وفى موته (مز ٣٢ : ٩ ، أم ٧ ، ٢ بط: ١٩ و ٢٠) .

وفى (العددين ١٩ و ٢٠) يوضح الجامعة المقصود بالتشابه بين الانسان وبين البهيمة. فكلاهما يواجه نفس النهاية الموت (١٩)، والاثنان من أصل مشترك واحد هو التراب (٢٠) (أنظر تك ٢ : ٧ و ٨ ، ٣ : ١٩). وكلمة " نسمة " فى (١٩) تشير إلى عنصر الحياة فى الاثنين كما فى (مز ١٠٤ : ٢٩) .

وفى (عدد ٢١) نجد دراسات وآراء كثيرة حول صياغة الآية التى تبدأ بالقول " مَن يعلم ". فالبعض يقول إن الآية جاءت فى صيغة السؤال، لكن البعض الآخر ومنهم Leupold يؤكد أن العبارة " مَن يعلم " جاءت ٩ مرات فى العبرية فى العهد القديم، ثلاث مرات فقط جاءت فى صيغة السؤال (أستير ٤ : ١٤ ، جا ٢ : ١٩ ، ٦ : ١٢)، ثلاث مرات أخرى جاءت فى صيغة التقرير المباشر (مز ٩٠ : ١١ ، جا ٣ : ٢١ ، ٨ : ١)، والثلاث مرات الأخيرة أحياناً تأتى مرتبطة بفعل الشرط أو صيغ أخرى مثل " لعلّ " perhaps (أم ٢٤ : ٢٤ ، يوئيل ٢ : ٤ ، يونان ٣ : ٩).

على هذا الأساس لا تكون آيتنا هنا (٢١) فى صيغة السؤال، بل فى صيغة التقرير المباشر الذى يقرر حقيقة. وبالتالى تكون الترجمة الأفضل - كما يؤكد Kinder، Eaton ،

Kaiser كالتـالى " مـن يعـرف روح الانسـان التـى تحلـق عاليـاً، وروح الحيوان التى تهبط إلى أسفل إلى الأرض ".

والفكرة هنا تقدم حقيقة من وجهين، الأول أن هناك اختلافاً بـين الإنسان والحيوان فيما بعد الموت. والثانى أن عموم النـاس لا يمكنـهم أن يقـدروا الفرق فى المصير النهائى ويعيشون كما لو لم يكن هناك أية فروق .

والفقرة كلها تـردد صدى (مز ٤٩) حيـث يتشـابه الإنسان والحيـوان فـى الموت (مز ٤٩ : ١ – ١٢) خاصة (عدد ١٢) " والانسان فى كرامة لا يبيت (ولا يفهم فى عـدد ٢٠) يشبه البهائم التـى تبـاد " ولكنـهما متميزان فـى المصير النـهائى فيمـا وراء القـبر (مـز ٤٩ : ١٣ – ٢٠) . وتذكرنـا بمـا قالـه المرنم فى (مز ٧٣ : ٢٢) حيث وصف حالته قبل أن يدخل مقادس العلـى وينتبـه إلى آخـرة الأشرار والظـالمين بـالقول " وأنـا بليـد ولا أعـرف صـرت كبهيم عندك " .

والجامعـة يؤكـد الاختـلاف فـى المصير النهائى بين الانسان والحيـوان . فيتحدث عن الأبدية التي فى قلب الانسان فـى (٣ : ١١)، وعـن الدينونـة الأخيرة فى (٣ : ١٧)، وفـى صيغة واضحة قاطعة فى (١٢ : ٧ و ١٤). وهـو يدعو الإنسان الضائع فـى صخـب الحيـاة وزحـام الأحـداث أن ينشغل بمـا يميزه عن الحيوانات، أن ينشغل بمصيره الأبدى فيعيش حياتـه علـى ضـوء الأبدية، وأن يدرك أنه سيقف أمام الرب الديان العادل وسيقدم حساباً عن

كل ما يفعل، وأن يحيا أميناً فى خوف الله، وأن يناصر – مع شعب الرب – قضايا العدل والبر فى المجتمع.

ج- الاستنتاج (٢٢) :

فى هذا الاستنتاج ينتهى الجامعة إلى القول، طالما أن الله صاحب السيادة المطلقة، وهو الذى يحكم التاريخ والأحداث (٣ : ١ – ١٥)، وله مقاصده التى يتممها برغم وجود المظالم الإنسانية (٣ : ١٦ – ٢٠)، ويمسك فى يديه بمصيرنا النهائى الأبدى (٣ : ٢١)، فالاتجاه الحكيم للإنسان هو أن يفرح بأعماله ومسئولياته، وأن يتمتع بحياته وأيامه كعطية صالحة من الله، قبل أن تنتهى الحياة حيث لا يستطيع أن يعيدها أو يستعيدها ثانية.

هنا دعوة أن يجد الانسان فرحه وشبعه، فى الدور والمسئوليات التى قاده إليها الله فى الحياة، وفى العمل الذى دعاه ليعمله فى مهنته فى كفاءة وأمانة. فالعمل عطية الخالق العظيم لنا، دعانا أن نستمتع ونفرح به وأن نمجده من خلاله (انظر ٣ : ١٣). وفى هذا المجال أرجو أن نحترس من تصورين خاطئين :

الأول : التصور الخاطىء أن العمل والنجاح والتميز والتفوق فيه أقل روحانية من التعبد أو الخدمة!!. إن الروحانية الكتابية الواعية فى كل

كلمة الله تؤكد لنا أن الانسان المرتبط بعمق إيمان بالله، يتعبد فى الكنيسة ويتعبد بالعمل . فالعمل والاتقان والأمانة فيه مذبح مرفوع دائم، وإنجيل ورسالة معروفة مقروءة من جميع الناس. يقول الرسول بولس عن العمل فى (كو ٣ : ٢٣ – ٢٤) " وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث. لأنكم تخدمون الرب المسيح " . إنه يدعونا أن نتذكر أننا نخدم الله بأعمالنا، فنعمل أعمالنا من القلب كما للرب ليس للناس، وأن نتيقن أننا من الرب سنأخذ جزاء الميراث. وفى تسالونيكى أمتنع البعض عن العمل، فى زعم أن المسيح سيأتى ثانية فى أيامهم، والأفضل أن يتفرغوا للعبادة فقط . وهنا واجههم الرسول وصحح أفكارهم (٢ تس ٣ : ٦ – ١٢) .

الثانى : التصور الخاطىء أيضاً أن العمل هو كل شيء فى الحياة، وأنه الأولوية الأولى والأخيرة . فالعمل مجال فى غاية الأهمية كما رأينا، لكن من المهم أن لا يطغى على الأولويات الأخرى فيختل توازن الحياة. فمن المهم أن لا يكون العمل على حساب الصحة، أو الأسرة، أو المشاركة الفعالة فى الخدمة بالكنيسة حسب الوقت والموهبة التى أعطانا الله إياها، أو وقت للنمو الفكرى .

قال جورج سوروس المليونير اليهودى الأمريكى من أصل مجرى والذى عاش فى انجلترا ثم انتقل إلى أمريكا (١٨ مليار دولار). قال مستعد أن

أعطى كل ثروتى لمن يجعل منى مفكراً أو يجعلنى أعيش فى أسرة سعيدة.

ثانياً : القهر ٤ : ١-٣ : لا مُعّزٍ

المشكلة الثانية من مشكلات وحقائق الحياة الصعبة، والناتجة من مشكلة الظلم، هى القهر . والقهر هو الأذى النفسى والمعنوى والبدنى الذى يصيب الإنسان سواء فى شخصه أو أسرته أو ممتلكاته أو سمعته، نتيجة لسوء استخدام السلطة من قبل الحكام أو أصحاب الأعمال أو الآباء أو الأزواج، أو من قبل أى شخص فى موقع المسئولية (أم ٢٨ : ١٦ ، تث ٢٤ : ١٤ ، عا ٤ : ١ ، جا ٥ : ٨) .

وتزداد المشكلة صعوبة فى حالة غياب المعّزى، فيصبح المقهورون بلا أى سند أو معونة فهوذا دموع المظلومين ولا معز لهم، ومن يد ظالميهم قهر . أما هم فلا معزٍ لهم " (عدد ١) . وحياة معرضة للقهر والعجز، محرومة من مصادر المساندة والتشجيع، حياة أسوأ من الموت نفسه (عدد ٢) ولذلك صرخ يونان (يونان ٤ : ٣) وإيليا (١ مل ١٩ : ٤) " فالآن يارب خذ نفسى لأن موتى خير من حياتى ". والجامعة يؤكد مع أيوب أن عدم الوجود أصلاً، أفضل من الحياة فى حالة قهر (عدد ٣) (أنظر أيوب ٣ : ٣-١٠) فالعدل = الحياة، والقهر = الموت .

والجامعة هنا شاهـد عيان فى هذه المشكلة وفى غيرها، لأنه يبدأ بالقول " رأيت " . وهو لا يقصد حدثاً معيناً، أو تاريخاً محدداً، فالمظالم ظاهرة تشمل الحياة ككل . ونحن نستطيع فى حياتنا المعاصرة أن نرى الظلم والقهر الذى يتعرض له الفقراء، أو العمال، أو الأطفال، أو النساء، أو الشعوب ككل أحياناً كما يحدث للشعب الفلسطينى على يد الإسرائيليين، أو ما يحدث للشعب العراقى على يد حكامهم وبسبب الحصار المفروض عليهم، أو ما يحدث للشعب الجزائرى نتيجة الإرهاب، أو ما يحدث فى السودان بسبب الحرب الأهلية بين النظام العسكرى هناك وفصائل المعارضة..... إلى آخره. ومن هنا نشأت فكرة النقابات التى تدافع عن تابعيها، كما نشأت منظمات حقوق الإنسان والمنظمات الدولية التى تدافع عن حقوق وكرامة الشعوب والإنسان الذى خلقه الله على صورته.

وكلمة الله تدعونا أولاً أن نشجع كل من هم فى أزمة أو ضيقة أو ظلم أو قهر، أن يجدوا فى الايمان بالله والاحتماء به وبعدله، المعزى القريب والرافع والصانع بعدل، وهنا يمكنهم الحصول على قوة التحمل وعبور الأزمة، بعيداً عن روح اليأس أو الفشل والانهيار. يقول المرنم فى (مز ١٤٠ : ١١ – ١٣) " رجل لسان لا يثبت فى الأرض. رجل الظلم يصيده الشر إلى هلاكه. قد علمت أن الرب يجرى حكماً للمساكين وحقاً للبائسين . إنما الصديقون يحمدون اسمك . المستقيمون يجلسون فى حضرتك ". وعندما يدخل كل متألم إلى مقادس العلى (مز ٧٣ : ١٧، جا ٥ : ١ – ٧) يستطيع أن يرى بوضوح كل شىء.

وكلمة الله تدعونا ثانياً : أن نـرى الكنيسة الناهضة التى تمارس المفهوم الكتابى الصحيح للإيمان والروحانيـة المسيحية، هـى التـى تـأخذ دور المعزى لهؤلاء، فتقف بجوار المحتـاجين والمقهورين، تجـول تصنـع خيراً وشفاء ورحمة كما فعـل الرب يسـوع، وتساند قيم العـدل والحـق والحريـة وحقوق الإنسان فى المجتمع. يقول الرب يسوع فى (مت ٢٥ : ٣١ – ٤٦) أن هـذا الـدور هـو الـذى سيفصل ويميز بـين الخـراف والجـداء ، ويحـدد المصير الأبدى لكل منهما عند مجيئه ثانية.

ثالثاً : التنافس ٤ : ٤-٦ : لا راحة

فـى هـذه الأعـداد يعرض الجامعـة المشكلة، ثـم يخشـى التطـرف فيعطـى تحذيراً على هيئة استدراك، وينتهى بتقديم البديل والعلاج.

أ- المشكلة ٤ : " ورأيت كل التعب وكل فلاح عمـل أنـه حسـد الإنسان من قريبه وهذا أيضا باطل وقبض الريـح. الكسلان يـأكل لحمـه وهـو طـاو يديه حفنة راحة خير من حفنتـى تعب وقبض الريح " هنـا نـرى الإنسـان الذى يتصرف بدون أى إحساس بالإنسانية، وبدون أى واعز من مبـادئ أو أخـلاق، وبالتـالى يتسم سـلوكه بالقسـوة والعنـف مـع الآخريـن، فـى مجـال منافسة لا ضرورة لها، كما كان يتصرف فى مجال الظلم والقهر.

وفى مجال الأعمال عموماً، وفى قطاع الأعمال الخاصة والحرة فى عصر العولمة خصوصاً، نجد أن قاعدة التنافس هى التى تحكم كل شئ. وفى التنافس الشره الغير منضبط، يمكن للقوى أن يأكل الضعيف ويختل التوازن فى المجتمع.

ومن جانب آخر، يرتبط أى نجاح أو فلاح بالحسد من الآخرين، بدلاً من الفرح بنجاح الناس. والحسد هنا هو نظرة وموقف النفوس المريضة من نجاح الآخرين (عدد ٤) .

ومن بدء الخليقة نجد هذا الموقف المريض فى حياة قايين الذى إغتاظ جداً وسقط وجهه، لأن الرب نظر إلى هابيل وقربانه، ولم ينظر إليه وإلى قربانه، فقام على أخيه وقتله (تك ٤ : ٤ – ٨). كل هذا يؤكد أن التنافس المادى الشره لا يستند إلى قيم أو أخلاق، ويصبح مدمراً لكل شيء.

والجامعة هنا يعلق بقوله " هذا أيضاً باطل وقبض الريح، أى لماذا إذن يكد الإنسان لينجح فى حياته، ثم تكون النتيجة هذا الموقف السلبى.

ب- الاستدراك ٥ : على أننا نرى الجامعة يستدرك ويحذر من أن يكون هذا الموقف مدعاة للكسل، واقتبس مثلاً ضد الإنسان الكسول الذى

لا يريد أن يفكر أو يعمل" الكسلان يأكل لحمـــــه وهو طـاو يديـه " . فالجامعة كما يحذر الانسان مـن التنـافس الشره، يحذره أيضا مـن الكسل المهلك، ومن عدم الاجتهاد والكفاح. يقول الحكيم فى (أم ٦ : ٦ –١١) " أذهب إلي النملة أيها الكسلان تأمل طرقها وكن حكيما. التـى ليس لها قائد أو عريـف أو متسلط . وتعد فـى الصيف طعامها وتجمـع فـى الحصاد أكلها. إلي متى تنام أيها الكسلان متى تنـهض من نومك. قليـل نـوم بعد قليل نعاس وطى اليدين قليلا للرقود . فيأتى فقرك كساع وعـوزك كغـاز". وفـى (أم ٢٤ : ٣٠ – ٣٣) " عـبرت بحقـل الكسلان وبكـرم الرجـل النـاقص الفـهم فـإذا هـو قـد عـلاه كله القريـص وقـد غطـى العوسـج وجهـه وجـدار حجارته انهدم. ثم نظرت ووجهت قلبـى رأيـت وقبلـت تعليمـاً. نـوم قليل بعد نعاس قليل وطى اليدين قليلا للرقود فيأتى فقرك كعداء وعوزك كغاز".

ج– البديـل ٦ : هنـا يقـدم الجامعـة بديـلاً بـين المنافسة والكسـل وهـو التوازن بين العمل الخلاّق الناجح، وروح الإكتفاء والقناعة التى هـى ثمـر لحياة التقوى الحقيقية" وأما التقـــوى مع القناعـة فهى تجارة عظيمـة " (١ تيمـو ٦ : ٦) . يقـول الحكيـم فـــى (أم ١٥ : ١٦) " القليـل مـع مخافـة الرب خير من كنـزٍ عظيـم مـع هـــم " وفـى (أم ١٦ : ٨) " القليـــل مع العدل خير من دخلٍ جزيل بغير حق ".

وهذا التوازن والاعتدال الجميل للبديل الذى أعلنه الجامعة وتقدمه كلمة الله فى شمولها،هو الطريق الحقيقى للراحة، راحة الجسد وسلام القلب والضمير. وهو الطريق الوسط المطلوب لإنسان العصر. والطريق الوسط بين التمسك الصاخب، ورغبة التفوق الطبقى التى لا تهدأ، والتسابق نحو الثروة والمكانة والقوة، وموقف الحسد المريض والهدام الذى يشعل الانسان بالغضب والقسوة (أم ٦ : ٣٤) ويحطم الإنسان تماماً (أم ١٤ : ٣٠). أقول هو الطريق الوسط بين هذا التمسك والاندفاع فى (عدد ٤) وبين التهرب من الواقع وعدم تحمل المسئولية فى (عدد ٥). الطريق الوسط بين " حفنة " راحة مع العمل الجاد المنظم، وبين " حفنتى " تعب بلا طائل (قبض الريح) لأنها صورة من يدين مبسوطتين لأخذ أكبر قدر ممكن من التعب.

هذه الحياة المتوازنة هى قلب سفر الجامعة، وهى فى نظره " عطية " من يد الله (٢ : ٢٤، ٥ : ١٩ ، ٩ : ٧ – ١٠، ١١ : ١ – ١٠). الحياة التى يجسدها لنا فى العهد الجديد شخصى الرب يسوع، الذى ينصرف من أمام مضايقات حفنتى المشاكل (مت ١٢ : ١٤ و ١٥)، وفى نفس الوقت يتمتع بحفنة من السلام (مت ١٢ : ١٩ و٢٠).

- نحن بحاجة إذن أن نجد فى المسيح النموذج الذى نتعلم منه، والسند الذى نستمد منه الراحة (مت ١١ : ٢٨ – ٣١) .

- كما أن حاجتنا لهذا التوازن والاعتدال، أكثر إلحاحاً الآن من أى وقت مضى.
- وأن نتعلم من منهج الجامعة فى طرح البدائل والقيم الجديدة التى تستند على كلمة الله من ناحية، وتواجه احتياج الناس فى الموقف الراهن من الناحية الأخرى .

رابعاً : العزلة ٤ : ٧ – ١٢ : لا رفيق

١- احساس الوحدة ٧و٨ : غريب أ، العالم يزداد ازدحاما والإنسان يزداد شعوراً بالوحدة والعزلة والتهميش. هنا يناقش الجامعة مشكلة العزلة والإحساس بالوحدة فى الحياة، فيطرح المشكلة فى مرارتها وقسوتها وشدتها فى (الأعداد ٧، ٨)، ويتساءل فى حزن " لمن أتعب أنا وأحرم نفسى الخير هذا أيضاً باطل وأمر ردئ هو " . أى أن كل الإنجازات التى بسببها يتنافس الناس، ويظلم الواحد الآخر، لا تشبع بدون الصديق والرفيق.

عبر الشاعر الكبير أحمد زكى أبو شادى عن احساسه بالوحدة والغربة وهو بعيد عن وطنه وأصدقائه فى ديوانه " النيروز الحر " فقال:

بكى الربيع طروبـــاً فى مباهجــه
وقد بكيــت أنا حبـــى وأوطانـــى
أنا الغريب وروحـــى شاركت بدنى
هذا العذاب بأشواقـــى وأحزانـى
فيـــم العــزاء، ولا قلـــب ألوذ بــه
ولا حنـــان يناجينـى كتحنانـــى ؟

٢- نعمـة الرفقـة ٩-١٢ : يتحـدث عـن قيمـة وفـائدة ونعمـة العلاقــات الإجتماعيـة فـى المجتمــع وبركــة الصداقــة فــى الحيـاة ودفء الروابـط الحميمة والرفقـة فـى الأسـرة. ونذكـر العديـد مـن الأمثـال التـى يعبّر من خلالها عن هذه القيمة والفائدة والنعمة، نعمة الرفقة فى الحياة.

أ. القيمــة :

والكلمة المفتاحية هى " خير " والتى بها يعبّر عــن الأفضليـــة فى (٤ : ٩ و١٣، ٥ : ١ " أقرب أى خير "، ٥ : ٥)، أفضلية العمل معـاً (٩)، والسير معاً فى رحلة الحياة (١٠) والدفُ معاً فى ليل الأيام الباردة (١١)، والحراسة معاً لنستمد الأمان والطمأنينة (١٢).

ب. النعمة :

والجامعة بهذه الكلمات يرسم صورة جميلة لقيمة الصداقة، ونعمة العائلة المترابطة. حيث يجد الإنسان المعونة وأجرة التعب (٩)، وإمكانية المساندة (١٠)، ودفء الرفقة (١١)، ويقين الحماية (١٢) . وربما أخذ الجامعة هذه الصورة من مخاطر السفر فى تلك الأيام فى الطرق غير الممهدة المليئة بالحفر (١٠) والليالى الباردة (١١)، وقطاع الطرق (١٢).

وفى تعبيره عن هذه الصورة الجميلة، يستخدم المتتاليات العددية (واحد، إثنان، ثلاثة) الشائعة فى العهد القديم (جا ١١ : ٢ ، عا ١ : ٣) . ويترك لنا بعض الدروس الهامة مثل :

١-هل الأهم فى الحياة الأشياء أم الأشخاص ؟ المشاركة أم العزلة ؟

٢- وهل النجاح وتفعيل وتعظيم الإنجاز يأتى فى الأسرة والعمل والخدمة عن طريق الاستقلالية أم التعاون ؟ عن طريق الصراع أم المساندة ؟

٣- هل نشعر بقيمة الصداقة المخلصة ؟ ونعمة ودفء الأسرة ؟ وبركة وامتياز الشركة التى تجمعنا فى الكنيسة كجسد واحد ؟ وهل نشكر الله من أجل هذه البركات والعطايا ؟

٤- هل ندرك الحقيقة الكبرى التى يقدمها لنا الجامعة ؟ وهى أن الحياة لا تكون ولا تحلو إلا بالآخر وبرفقته ؟ وأن القيم الجديدة - فى الفقرة السابقة تحتاج إلى علاقات جديدة ؟ وأن القيم والعلاقات تشكل

الموقف الجديد من الحياة ؟ وأن دور الكنيسة الحقيقى هو إرساء قيم وبناء علاقات وتشكيل موقف.

٥- هل نختبر - كما يقول أمبروز وجيروم - رفقة المسيح، الصديق الألزق من الأخ، ومعيته ومعونته لنا فى رحلة الحياة، فتمتلئ قلوبنا وتفيض ألسنتنا بالشكر والحمد له؟ هل نردد مع المرنم فى (مز ٤ : ٨) " بسلامة اضطجع بل أيضا أنام لأنك أنت يا رب منفردا في طمأنينة تسكنني " وفى (مز ٢٣) " الرب راعي فلا يعوزني شيء. في مراع خضر يربضني إلى مياه الراحة يوردني. يرد نفسي يهديني إلى سبل البر من أجل اسمه. أيضا إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شرا لأنك أنت معي عصاك وعكازك هما يعزيانني. ترتب قدامي مائدة تجاه مضايقي مسحت بالدهن رأسي كأسي ريا. إنما خير ورحمة يتبعانني كل أيام حياتي واسكن في بيت الرب إلى مدى الأيام ".

خامساً : الشعبية ٤ : ١٣ - ١٦: لا دوام

هذه الأعداد، برغم غموضها، ترسم لنا صورة معروفة متكررة فى الحياة العامة، هى صورة الشعبية الزائلة والزائفة لأى إنسان مهما كان عظيماً. فما الذى يحدث إذا ارتفع شأن إنسان حتى أصبح ملكاً، يمتلك السلطة والنفوذ والجاه والعظمة؟

من ناحية، فهذا الملك عندما يتقدم فى الأيام، يصبح أحمقاً غير قابل للمشورة تحيط به بطانة من الطفيلين المتسلقين الذين يعزلوه عن الناس وعن الحقيقة،ويصبح أيضاً وغير حساس للزمن، غير مدرك أن أيام ملكه فى طريق النهاية. وهذا يحدث عادة للحكام والقادة في مرحلة الضعف، حيث ينصب إهتمامهم على الإحتفاظ بالكرسى وليس لصالح شعوبهم، وخير دليل على هؤلاء يلستين روسيا وصدام العراق.

ومن الناحية الأخرى، ربما يأتى شاب فقير وحكيم، وتدفع به الظروف من السجن إلى العرش كما حدث مع يوسف، وكما يحدث عادة فى حركة الأيام صعوداً وهبوطاً. فبالرغم من أن الجماهير استقبلت الملك الشاب بالهتاف والتأييد في البداية (١٥)، لكنه بكل تأكيد سوف يواجه يوماً ما مصير سابقه " أيضاً المتأخرون لا يفرحون به...... " (١٦).

هناك إتجاه عند بعض المفسرين مثل Kinder يقول إن الذى اختبر السجن فى (عدد ١٤) هو الملك الشيخ، لكن الغالبية تؤيد أنه الشاب .كما أن كلمة " الثانى " فى (١٥) يقول البعض أنها تشير إلى شاب آخر جاء بعد أن تقدم الشاب الأول فى الأيام، وحدث له مثل ما حدث مع الملك الشيخ. لكن الإتجاه الغالب يؤيد أن كل النص محصور بين اثنين، الملك الشيخ والملك الشاب، كرمز لحركة الأيام عموماً.

والجامعة يريد أن يترك لنا عدة حقائق :

* الثروة والمركز والسلطة لا تضمن النجاح، كما أن الفقر والظروف الصعبة ليست عائقاً أمام الإنجاز، والمفتاح للنجاح والطريق للملك هو الحكمة التى هى أهم من المنصب، والحكمة تأتى من خوف الله.

* الشعبية زائلة، وسيكولوجية الجماهير متقلبة. قال أوليفر كرومويل Oliver Cromwell الذى أخذ العرش البريطانى من تشارلس الأول، وأسس الكومنولث، قال لصديق له : لا تثق فى هتاف الجماهير، لأن نفس الجماهير ستهتف أكثر ونحن فى طريقنا للمقصلة. ألم تهتف الجماهير لرب المجد يسوع " أوصنا ... أوصنا "، ثم علت حناجر نفس الجماهير " أصلبه .... أصلبه " ؟! فلا نضع قلوبنا على أصوات الناس ورضاهم وهتافهم (جا ٧ : ٢١).

* فرصة الحياة لاتدوم على حال، وسرعة المتغيرات فى الزمن تفاجئنا دائماً، المهم أن نستثمر الفرصة المتاحة للحياة لنقوم فيها بدورنا ورسالتنا بأفضل ما يكون، وبكل أمانة وصدق واخلاص وعلى أساس من المبادىء التى تحكم حياتنا فى نور كلمة الله ونبض الضمير المستنير، وهذه هى دعوتنا، وهذا هو الذى يدوم وينفع.

القسم الثالث

التحذيرات

تحذيرات وتعاليم حول الموقف الصحيح

تجاه حقائق الحياة الصعبة

(٥ : ١ - ١٧)

" أحفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله فالإستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لا يبالون بفعل الشر.لا تستعجل فمك و لا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله لأن الله في السماوات و أنت على الأرض فلذلك لتكن كلماتك قليلة. لأن الحلم يأتي من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام. إذا نذرت نذراً لله فلا تتأخر عن الوفاء به لأنه لا يسر بالجهال فأوف بما نذرته. أن لا تنذر خير من أن تنذر و لا تفي.لا تدع فمك يجعل جسدك يخطئ ولا تقل قدام الملاك أنه سهو لماذا يغضب الله على قولك ويفسد عمل يديك. لأن ذلك من كثرة الأحلام و الأباطيل و كثرة الكلام ولكن اخش الله .

إن رأيت ظلم الفقير و نزع الحق و العدل في البلاد فلا ترتع من الأمر لأن فوق العالي عاليا يلاحظ و الأعلى فوقهما .ومنفعة الأرض للكل الملك

مخدوم من الحقل. من يحب الفضة لا يشبع من الفضة و من يحب الثروة لا يشبع من دخل هذا أيضا باطل. إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها و أي منفعة لصاحبها إلا رؤيتها بعينيه. نوم المشتغل حلو إن أكل قليلا أو كثيراً ووفر الغني لا يريحه حتى ينام. يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس ثروة مصونة لصاحبها لضرره. فهلكت تلك الثروة بأمر سيء ثم ولد أبنا و ما بيده شيء. كما خرج من بطن أمه عريانا يرجع ذاهبا كما جاء و لا يأخذ شيئا من تعبه فيذهب به في يده. هذا أيضا مصيبة رديئة في كل شيء كما جاء هكذا يذهب فأية منفعة له للذي تعب للريح أيضاً يأكل كل أيامه في الظلام و يغتم كثيراً مع حزن و غيظ."

أمام حقائق الحياة الصعبة التى وقفنا قدامها فى (٣ : ١٦ – ٤ : ١٦)، أمام المظالم والقهر والتنافس والاحساس المؤلم بالعزلة وبوحشة الحياة، قد يندفع البعض إلى الشك فى حقيقة سلطان الله على الأحداث، وعنايته بالبشر. وفى هذا النص (٥ : ١ – ١٧) يحذر الجامعة من هذا الاندفاع، ويقدم لنا من خلال تحذيراته وتعاليمه، الموقف الصحيح الذى يجب أن نتخذه ونحن نواجه حقائق الحياة الصعبة. وقدّم هذا الموقف فى ثلاث مجالات :

- العبادة فى بيت الله ٥ : ١ – ٧
- غياب العدالة فى المجتمع ٥ : ٨ و ٩
- المال والثروة فى الحياة ٥ : ١٠ – ١٧

أولا : العبادة فى بيت الله ٥ : ١ – ٧

ينبهنا الجامعة أنه فى الوقت الذى فيه نواجه متناقضات وحقائق الحياة الصعبة، ونشعر بالوحدة والعزلة بأشكالها المختلفة، تظهر الحاجة الماسة إلى الرفيق والصديق الأكبر والأعظم، إلى الله ولذلك يقول هيا أذهب إلى بيت الله . ولكن، هل يمكن الاقتراب إلى الله ؟ . وكيف نقترب منه الاقتراب الصحيح؟ وما هى بعض الأمور التى يحذرنا منها الجامعة ونحن نقترب إلى الله ونتعبد له؟ وما هو المفهوم الصحيح والممارسة الفعّالة المغيرة للعبادة المقبولة من الرب والمغيرة لنا ؟.

فالله ليس فقط الرفيق والصديق، بل هو السيد والحاكم للكون والتاريخ (٣ : ١ – ١٥)، وهو القاضى والديان للبشر (٣ : ١٦ – ٤ : ٣)، لذلك يجب أن نتعلم ونفهم من كلمة الله فى هذه الأعداد كيفية التعبد والاقتراب إليه. كما أن العبادة هى أسمى وأمجد خدمة للكنيسة، لذا يجب أن نتوقف أما هذه الأعداد، لنرى الأبعاد الصحيحة التى يقدمها الجامعة للعبادة، ولنتجنب الأخطاء التى يحذرنا منها.

والفكرة الرئيسية والحاكمة لفكر الجامعة عموماً، ولهذا النص خاصة، هى خوف الله. والتركيز فى فكرة خوف الله فى العبادة، على الإدراك الكامل لشخص الله الذى نتعبد له، ولذلك نجد لفظ الجلالة " الله " يتكرر ست مرات على الأقل. وهو يريد أن يقول أن العبادة الصحيحة هى التى:

- ترى الله فى مكانه الصحيح Let God Be God.
- وتقترب إليه فى إدراك ووعى للمفهوم الصحيح والممارسة الصحيحة.
- وتستبعد الجهل والجهالة قولاً وفعلاً .. ولذلك يحذر من ذبيحة الجهال (عدد ١) ومن قول الجهل (عدد ٣) ولا يسر بالجهال (عدد ٤) .

على هذا الأساس، يقول الجامعة أن العبادة المقبولة والمسئولة يجب أن تشتمل على أربعة أبعاد :

البعد الأول : الاستعداد والاستماع (١) :

يقول الجامعة " احفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال ... " وعبارة " احفظ قدمك أو " لاحظ خطواتك " تشير إلى الاستعداد الروحى للعبادة سلوكاً وفكراً وروحاً، بتصحيح المسار، وتنقية العلاقات، وتهيئة القلب والذهن لعبادة الرب. يقول الرب يسوع فى الموعظة على الجبل " فإن قدمت قربانك إلى المذبح وهناك تذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك . فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك . وحينئذ تعالَ وقدم قربانك " (مت ٥ : ٢٣ و ٢٤) . وسوف نرى العلاقة بين الجامعة والموعظة على الجبل، فى أكثر من إشارة حول العبادة .

والطاعة فى الاستعـــداد للعبادة، تؤدى إلى الطاعة فى الاستمـــاع أثناء العـــبادة فيقـــــول " فالاستماع أقرب من تقديـم ذبيحـة الجـهال " . والاستماع هنا يعنى الفهم والطاعة فى تطبيق صـوت الله . والجامعة يريد أن يقـول، أمـام حقـائق الحياة الصعبة، الموقـف الصحيح ليس أن نلقـى دروسـاً علـى الله لنقـول لـه مـا يجب أن يعملـه، بـل أن نذهـب نحـن إلى مقادسه وبيته فى استعداد واستماع، فى فهم وطاعة لفكره ومشيئته. وهذه هى العبادة والذبيحـة الأقرب إلى الله والمقبولة منه والمغيرة لنا (هو ١٤ : ٢ ، عب ١٣ : ١٥) (عا٥ ، أش ١ : ١٠ – ٢٠).

ثم يضيف الجامعة محذراً، أن العبادة التى لا تقدم باستعداد واستماع هى " ذبيحة جهال ". والله لا يقبـل عبـادة الجهّال، الذيـن يتقدمـون إلى الله باستخفاف واستهانة ولامبالاة، فلا يدركون من هو، ولا يستعدون للاقتراب إليه، فيتعبـدون وهـم فـى نفس الوقـت " لا يبـالون بفعـل الشـر" . يقـول صموئيل لشاول الذى لم يطـع صوت الله فـى تحريـم عمـاليق، وفـى نفس الوقت يريـد أن يقترب إلى الله بالذبـائح التـى استبقاها هـو " هـل مسرة الـرب بالمحرقـات كمـا باستماع صوت الـرب هـوذا الاستماع أفضـل مـن الذبيحة والاصغاء أفضل من شحم الكباش. لأن التمرد كخطيـة العرافـــة والعنـــاد كالوثن والترافيم. لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك ". (١صم ١٥ : ٢٢ و ٢٣) (انظر تـث ٥ : ٢٧ ، ٢ مـل ١٧ : ٣٣ ، أم ١٥ : ٨ ، أع ١٠ : ٣٣ ، ١ تس ٢ : ١٣ ، مت ٧ : ٢٤ – ٢٧).

البعد الثاني : الوعى المسئول (٢، ٣) :

والاستعداد والاستماع يعبر عن الوعى والإدراك والإحساس بالمسئولية للمتعبد قدام الله، ولذلك يقول الجامعة " لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله ... فلذلك لتكن كلماتك قليلة ....." فإن كنا ندرك أننا قدام الله، هذا الإله العظيم الذى فى السموات، ونحن على الأرض . أى إن كنا ندرك ضآلة الإنسان أمام عظمة الله، كما نصلى فى الصلاة الربانية الآن " أبانا الذى فى السموات "، إذن لتكن كلماتنا مدروسة وواعية ومسئولة عندما نتعبد خاصة عندما نصلى.

يقول الرب يسوع " لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم " (مت ٦ : ٧)، لأن نوعية الكلام تعبير عن نوعية حياة المصلّى الداخلية، " فإنه من فضله القلب يتكلم الفم " (مت ١٢ : ٣٤).

وعندما يذكر المرنم هذه الحقيقة الهامة، يرفع قلبه إلى الله فى صلاة قائلاً : " يارب إليك صرخت أسرع إلىّ أصغ إلى صوتى عندما أصرخ إليك لتستقم صلاتى كالبخور قدامك ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية إجعل يارب حارساً لفمى إحفظ باب شفتىّ " (مز ١٤١ : ١-٣) . ويقول كاتب " سياحة المسيحى " يوحنا بنيان : فى الصلاة، من الأفضل أن يكون لنا قلب مرفوع إلى الله بدون كلمات، من أن نصلّى بكلمات بدون قلب.

والجامعة يطلب أن تكون كلماتنا فى الصلاة فى العبادة واعية ومسئولة، حتى تكون العبادة مغيّرة فينا. ولذلك يطلب أن لا نتعجّل أو نتسّرع فى كلام لا نعنيه، مجرد كلام، لا يعبّر إلاّ عن السطحية، أو المظهرية والرياء. ولذلك يفسر ما يقصده بقوله فى العدد الثالث " لأن الحلم يأتى من كثرة الشغل وقول الجهل من كثرة الكلام" . أى لاتكونوا فى صلاتكم وعبادتكم كمن يشتغل كثيراً فى يومه، ومن فرط تعبه تتوالى فى نومه الأحلام، فى حركة اللاشعور دون وعى. فتصبح الصلوات والترانيم " قول جهل " و " كثرة كلام " ونوع من الهديان الذى لا معنى ولا أثر له، والتشويش الذى بلا انضباط أو وعى.

البعد الثالث : الصدق المخلص (٤ – ٥) :

فى هذين العددين يتعرض الجامعة إلى النذور التى كانت تقدم فى الهيكل . والنذر عبارة عن وعد يقدمه المتعبد إلى الله . وكان يمارس فى حياة الشعب القديم، إما فى صلاة لأجل البركة (عدد ٢١ : ٢) أو تعبير عن شكر (يونان ٢ : ٩) أو وعد بالولاء (تك ٢٨ : ٢٠ – ٢٢) أو تقدمة إختيارية (لا ٢٢ : ١٨) أو فى تكريس طفل كنذير لله (١ صم ١ : ١١).

والنذور الآن هى العهود التى نقدمها لله ونقطعها على نفوسنا، سواء التى تختص بحياتنا وخدمتنا وولائنا للرب وللكنيسة ولعائلاتنا، أو التى تختص بعطايانا كتعبير عن هذا الولاء.

والجامعة كما يطلب أن لا نتسرع في الكلام (انظر أم ٢٠ : ٢٥) يطلب أن نكون صادقين مخلصين فـي عهودنا وتعهداتنا، فلا نتأخر في الوفاء بما قطعناه على أنفسنا قدام الله. والصدق المخلص نتيجة للوعـي المسئول، ولذلك يضيف قائلاً " لأنه لا يسرُ بالجهال فأوفِ بما نذرته "، ويؤكد " أن لا تنذر خير من أن تنذر ولا تفى" وفـي سفر التثنية نجد نفس المعنى " إذا نذرت نذراً للرب إلهك فلا تؤخر وفاءه لأن الرب إلهك يطلبه منك فتكـون عليك خطية ولكن إذا امتنعت أن تنذر لا تكون عليك خطية ما خرج من شفتيك احفظ واعمل كما نـذرت للرب إلهك تبرعاً كما تكلـم فمـك " (تث ٢٣ : ٢١ - ٢٣).

والجامعة يحذر من العهود التى نقدمـها ولانعنـى تنفيذها والوفاء بها، إما لمجرد الكلام الباطـل، أو للريـاء وأخـذ إعتبـار ومجـد النـاس كما حدث مع حنانيا وسفيرة فى (أع ٥ : ١-١١). لقد أرادوا أخذ اعتبار الناس فى الكنيسة الأولى، أكثر من الأمانة والصدق فـى العلاقة مع الله. كذلك، عندما أراد المرنم أن يعبر عن عرفانـه وامتنانه لله قـال " ماذا أرد للرب من أجل كل حسناته لى. كأس الخلاص أتناول وباسم الـرب أدعـو. أوفى نذورى للـرب مقابـل كـل شعبـه " (مز ١١٦ : ١٢ - ١٤). وفـى (مـز ٦٦ : ١٣-١٤) يقـول " أدخـل إلى بيتـك بمحرقـات أوفيـك نـذورى التى نطقـت بها شفتـاى وتكلـم بهـا فـمى فى ضيقى". (مز ٥٠ : ١ - ١٥).

البعد الرابع : الخوف النقى (٦ - ٧) :

هنا يقدم الجامعة تطبيقاً عملياً، ينسحب ويرتبط بالحديث السابق عن النذر، أو بالحديث عن العبادة ككل، فيقول " لاتدع فمك يجعل جسدك يخطئ ... " . وكلمة "جسدك " تشير إلى كيان الإنسان كله، ولذلك يكون القصد " لا تدع فمك يقودك إلى الخطية "، لأن الله لا يتساهل أمام عهود أو صلوات لا نعنيها. ثم يضيف " ولا تقل قدّام الملاك أنه سهو " . البعض قال " الملاك " القصد منها ملاك الرب، أو نبى (حجى ١ : ١٣ ، ملا ٣ : ١)، لكن البعض الآخر مثل Michael , Walter Kaiser Eaton، وترجمة Moffatt ، قالوا أن كلمة " ملاك " هنا تعنى خادم أو كاهن، ملاك الكنيسة، أو رسول منه، الذى عندما يتابع ويسأل المتعبد عن جادية نذره وعهوده وصلاته، تكون الإجابة " أنه سهو ". نلاحظ فى (٢) " قدام الله وفى (٦) " قدام الملاك " الذى يتكلم بكلام الله، والذى هو " رمز " للكنيسة يجب أن نكون فى خوف الله النقى ونحن نجيب عليه أو أن نتحدث معه . وتحت عنوان (تقاليد ثابتة ومستقرة) كتب القس ألياس مقار " الراعى رمز وهو مع المسئولين واجهة يجب الحرص عليها لوحدة وسلام الكنيسة، والبعد عن المجادلات والمتاهات ".

وهنا يعود الجامعة مرة أخرى إلى فكرة الأحلام والأباطيل والكلمات والصلوات، التى نطلقها فى تأثر عاطفى فقط قدام الله فى العبادة، ثم ننساها تماماً بعد ذلك، ويقدم تحذيراً وعلاجاً. التحذير " لماذا يغضب الله

على قولك ويُفسد عَملَ يديكَ"، ويُعبر Eaton عـن هـذا التحذير بقوله : الناس معرضـون لأن يحملـوا معـهم تصوراتـهم وأوهامـهم أثنـاء العبـادة، ويتكلمـون بـدون تفكـير أو تـروٍ، وهنـا يسـير العـابد علـى أرض مملـوءة بالأخطار . أى نحن بذلك نتعرض لغضب الله.

أما العلاج والطريق للتمتع بعبادة صحيحة، واعية، مقبولة من الله، ومغيرة لحياتنا، فهو خوف الله. ولذلك يختـم هـذا النص بـالقول " ولكـــن اخـش الله "، وهى فى العبرية " الله اخـش ". وخـوف الله وتقـواه الحقيقيـة، هـى الفكرة الحاكمة كما قلنا فى مقدمة هذا النص. وهى تعنى أن نرى الله فى مكانه الصحيح، ونـرى نفوسـنا بحجمـها الصحيـح، فنعبـده بـالروح والحـق، ونتقدم إليه فى إدراك ووعى فى القول والفعـل، ونحيـا فـى خوفـه ورضـاه. وهو ذات المعنى الذى ختم به الجامعة سفره بقوله " فلنسـمع ختـام الأمـر كله أتق الله واحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كلـه لأن الله يُحضـر كـل عمــــل إلى الدينونـــة على كل خفـى إن كـان خـيراً أو شراً." (جا ١٢ : ١٣ ، ١٤).

ثانياً : غياب العدالة فى المجتمع ٥ : ٨ – ٩

فـى إطـار الفكـرة الحاكمـة وهـى " خـوف الله "، يعـود الجامعـة فـى هـذه الأعداد، والأعداد التى تليـها فـى هـذا الإصحـاح، إلى موضوعـات وقضايـا سبق وتعرض لها. ويستكمل هنا الحديث بشأنها، مثل غيـاب العدالـة فـى

المجتمع الإنساني وظلم الفقير، ومساوئ ومنافع بيروقراطية النظام الحاكم (٣ : ١٦ – ٤ : ٣) .

فيقول في (عدد ٨) " إن رأيت ظلم الفقير ونزع الحق والعدل في البلاد فلا ترتع من الأمر . لأن فوق العالي عالياً يلاحظ الأعلى فوقهما " . البعض يرى أن الجامعة يريد أن يقول أنه برغم أن حق الفقير معرض للضياع، بسبب التسويف والتعطيل لأن كل موظف يراعي من هو أعلى منه، لكن " لا ترتع من الأمر " أي لا تخف، لأن هناك " الأعلى " وهو الله فوق الجميع وسيدين الكل. والبعض الآخر يركّز على فساد وظلم البيروقراطية في كل درجات موظفيها، ولذلك " لا ترتع " أي لا تندهش إذا رأيت ظلم الفقير، ونزع الحق والعدل في البلاد. ولا مانع في النهاية من الأخذ بالرأيين معاً، كما تؤكد قرينة السفر.

وبالتالي فإن (عدد ٩)، برغم غموض صياغته واختلاف المفسرين حوله، يعني أمرين.

- الأول : منافع النظام للمجتمع، فقد يكون هناك دائماً ضحايا ظلم الطبيعة البشرية والأنظمة البشرية، ولكن النظام نافع للمجتمع كله، ولذلك يقول " ومنفعة الأرض للكل. الملك مخدوم من الحقل " .
- الثاني : أن ظلم البيروقراطية، لا يعني أن الحل البديل هو اللانظام أو الفوضى من ناحية أو العنف من الناحية الأخرى. بل

الحل البديل هو العمل والإصلاح، والإدراك أن منفعة الأرض وزراعة الحقول للكل، للفقير وللموظفين وللرؤساء وللملك الحاكم. فهى دعوة للإصلاح عن طريق العمل والإنتاج.

وهنا نرى الجامعة - كما تعود دائما - يربط بين الإيمان والعبادة وخوف الله، وبين العدل الإجتماعى الذى يتوقف أمام ظلم الفقير، ونزع الحق والعدل فى البلاد. وأن الإصلاح الروحى لابد أن يرتبط بإصلاح إدارى (فساد الموظفين والرؤساء) وبإصلاح سياسى (الملك والنظام الحاكم)، وإصلاح اقتصادى (منفعة الأرض للكل) . بعبارة أخرى، يربط بين "خلاص الفرد " وبين " خلاص المجتمع والأمة "، وفى حقيقة واحدة هى خوف الله.

وهذه الإستنارة، وهذا الإتساع لمفهوم الدين والإيمان، الذى يشمل العلاقة الرأسية مع الله، ويعبر عنها فى العلاقة الأفقية فى السلوك مع الآخرين وفى المجتمع، نجده بكل الوضوح فى روح ومضمون كلمة الله فى أجزاء كثيرة من الكتاب المقدس. وهنا تصبح الحياة ككل عبادة لله، وسلوك أمامه وفى خوفه. فى جزء منها نكون فى بيت الله لنتعلم ونتقوى، وفى الجزء الآخر الأكبر نكون فى الحياة نعيش ونطبق ونسلك بما تعلمناه.

ثالثاً : فى المال والثروة فى الحياة ٥ : ١٠-١٧

فى هذه الأعداد يطرح الجامعة قضية أخرى سبق طرحها، وهى قضية المال والثروة . وهو يركز على أن للثروة والمال " منفعة " (عدد ٩)، لكنها بطبيعتها لا تقدم شبعاً كاملاً وسعادة حقيقية للقلب (٣ : ١١) .

حول هذه القضية يقدم الجامعة مبدأين ومثلين :

أ : المبدآن (١٠ -١١) :

المبدأ الأول (١٠) : أن النهم المادى الشره لا حدود لأطماعه.. فمن يحب الفضة لا يشبع منها، ومن يحب الثروة لا يشبع من دخل أو " كسب ". وإذا كانت " الفضة " تشير إلى النقود، فكلمة " الثروة " تشير إلى الممتلكات والسلع، لأنها فى الأصل مرتبطة بالزراعة والمحاصيل. وهذا المبدأ يعنى أنه إذا كان للفقر مشاكله بالقطع، فحب المال والتكالب الشره عليه ليس هو البديل المناسب والصحيح.

فى كلمات قوية تؤكد هذا المبدأ يقول المرنم فى (مز ٣٧ : ١٦ - ٢٦) " القليل الذى للصديق خير من ثروة أشرار كثيرين. لأن سواعد الأشرار تنكسر وعاضد الصديقين الرب . الرب عارف أيام الكملة وميراثهم إلى الأبد يكون .لا يخزون فى زمن السؤ وفى أيام الجوع يشبعون. لأن الأشرار يهلكون وأعداء الرب كبهاء المراعى . فنوا كالدخان، فنوا . الشرير

يستقرض ولا يفى أما الصديق فيترأف ويعطى . لأن المباركين منه يرثون الأرض والملعونين منه يقطعون.
من قبل الرب تتثبت خطوات الإنسان وفى طريقه يُسر . إذا سقط لا ينطرح لأن الرب مسند يده أيضاً كنت فتى وقد شخت ولم أر صديقاً تخلى عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً اليوم كله يترأف ويقرض ونسله للبركة " .

يقول الرسول بولس فى (١ تيمو ٦ : ٩ – ١٠) " وأما الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك لأن محبة المال أصل لكل الشرور الذى إذا ابتغاه قوم ضلوا عن الإيمان وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة" .

المبدأ الثانى (١١) : إن زيادة الثروة تتبعها زيادة الذين حولها، المستفيدين منها، والطامعين فيها ... حتى أن الجامعة يقول " إذا كثرت الخيرات كثر الذين يأكلونها وأى منفعة لصاحبها إلا رؤيتها بعينيه " . وهو يريد أن يقول إن بعض الناس يفكرون أن المال هو الكلمة السحرية التى تحل كل المشكلات، لكن فى الحقيقة والواقع، أن زيادة المال تنتج تلقائياً زيادة مشكلات لم تكن موجودة من قبل، مشكلات مثل زيادة أعداد المنتفعين والمتسلقين، زيادة الضرائب، زيادة الاستهلاك.

ب : المثلان (١٢ – ١٧) :

المثل الأول (١٢) وفيه يقارن بين أثنين من الناس، الأول غنى لكنه يعانى من التوتر المستمر لدرجة عدم القدرة على النوم، إما بسبب كثرة أعماله واهتماماته، أو بسبب اعتلال صحته نتيجة لذلك . والثانى عامل أو موظف فقير نسبياً بالنسبة للأول، لكنه يعيش حياة كريمة وبسيطة، ويجد فى عمله وفى تحرره من الاهتمامات العديدة والضغوط الكثيرة، ما يمكنه من النوم بعمق. مع أسرته التى يسعد بها ومعها.

هنا يقول الجامعة، أى الحالتين أفضل ؟ .. وهو يستخدم فى حالة الشخص الأول عبـــــارة " ووفر الغنى لا يريحه حتى ينام ". والمعنى " التخمة " أو المعدة الممتلئة " كإشارة إلى الثروة . فى " كتاب الحياة " جاءت الترجمة بهذه الصياغة " نوم العامل هنيئٌ سواء أكثر من الطعام أو أقلّ، أما الغنى فوفرة غناه تجعله قلقاً أرقاً ".

الفكرة هنا أن كثرة الثروة، لا تنتج دائماً كما يتصور الناس سلاماً داخلياً أو سعادة حقيقية بل العكس. ومن ناحية أخرى فقناعة المؤمن تحميه من أضـــرار كثيـــرة، يقول الـــمرنم فى (مزمور ١٢٧ : ١-٣) " إن لم يبن الرب البيت فباطلاً يتعب البناءون، إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس، باطل هو لكم أن تبكروا إلى القيام مؤخرين الجلوس آكلين خبز الأتعاب، لكنه يعطى حبيبه نومـــاً " . ويقول الحكيم فى (أمثال ١٧ : ١)

" لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام". والسلام والسلامة من " الملء بالله وبمن نحب حولنا فى الحياة عامة وفى الأسرة خاصة. وعدم السلام من " الفراغ " الروحى والفكرى والعاطفى. أما القناعة فهى ليست فقط تمنح السلام، بل تدفع إلى العطاء.

ولنتعلم من رجال أعمال أدركوا مشكلات وأضرار تضخم المال، فحاولوا التخفف من ذلك قدر الامكان، وانغمسوا فى أعمال خيرية إنسانية لخدمة الآخرين ولنهضة مجتمعاتهم .

ونحن نعرف رجلاً مثل "روكفلر" فى الولايات المتحدة، الذى كان فى سن الثالثة والخمسين البليونير رقم واحد، وكان يكسب مرات مليون دولار فى الأسبوع . لكنه من فرط القلق وعدم النوم أصابته الأمراض، فكان يعيش فقط على اللبن مع أشياء محدودة جداً أخرى . وعندما أدرك السبب، قرر أن يتخفف من ذلك، وبدأ يعطى بسخاء للمشروعات الخيرية، وتحسنت صحته حتى احتفل بعيد ميلاده الثامن والتسعين، وقال عبارته المشهورة " من مات غنياً مات ملعوناً " و" تيد " الرجل الذى يملك CNN، تبرع بمليار دولار للأمم المتحدة، كجزء من مبلغ يتكرر ثلاث سنوات . و"بيل جيتس" الذى يدير أضخم شركة software، أقام مؤسسات خيرية وتعليمية، وتبرع خلال الأسبوع الماضى بما يقرب من ثلاثة مليارات دولار لهذه الأعمال.

المثل الثانى (١٣ – ١٧) فى هذا المثل يبدأ الجامعة بالقول " يوجد شر خبيث رأيته تحت الشمس "، كلمة " خبيث " جاءت فى كتاب الحياة " مقيت "، فى مكان آخر جاءت بمعنى " محزن " فى العبرية " يمرض أى يسبب المرض " . وفى المثل نرى الآتى :

- ثروة تكونت (١٣) ولم يقل لنا كيفية تكوين الثروة، لكنه يذكر الثمن المدفوع فيقول " لضرره " . قد يكون الضرر هنا ضرراً أدبياً وأخلاقياً، نتيجة لطرق غير مشروعة استُخدمت فى تكوين الثروة. وقد يكون الضرر جسدياً وصحياً نتيجة الهم والأرق فى جمعها ومحاولة صونها.
- ثروة تبددت (١٤ ، ١٥) كيف يقول " بأمر سئ "، فى كتاب الحياة " ثروة تلفت فى مشروع خاسر "، ويقول Eaton " فى مقامرة حمقاء أو ظروف معاكسة مفاجئة " . وفى نفس الوقت، يضاف إلى المأساة عنصر جديد بولادة ابن لصاحب الثروة التى تبددت، فيصبح عاجزاً عن تقديم أى شئ له . وبالتالى لا يستطيع أن يأخذ شيئاً من تعبه فيذهب به فى يده".
- النتيجة (١٦ ، ١٧) تتركز فى عبارة " فأية منفعة " لهذا الانسان من تكويمه للثروة، ثم يضيف الجامعة " كما جاء هكذا يذهب ". إنها نهاية مأساوية، ليس فقط فى ذهابه كما جاء، بل أيضا فى حياته فى " ظلام " وبؤس " ويغتم كثيراً مع حزن وغيظ ". هى عبارة

تشيـر إلى ضغـوط وتوتـر واعتلال الجسـد، وإلى إحباطـات تمـزق الذهـن والقلـب (انظر ٢ : ١٣و١٤ مع عا ٧ : ١٢).

وفكرة المثل أن الثروة المتكـاثرة، لا تسـتطيع أن تمنـح السـلام الداخلـي كمـا رأينـا فـي المثـل الأول، ولا تسـتطيع أن تمنــح الإحساس بالأمان والضمان كما رأينا هنا.

- فالأمـان احتيـاج داخلـي لا تحققـه أو تصنعـه الثـروة، بـل الحــب .. والحـب يولّـد الثقـة والأمـان. يقـول الرسـول يوحنـا " لا خـوف فـي المحبة بل المحبة الكاملة تطرح الخـوف إلى خـارج ". والمحبـة لا تسقط أبداً.
- ما الذى نتركه لأولادنا لنحقق لهم الأمان؟.

يقــول المرنم " إنما باطلاً يضجون يدخر ذخائر ولا يدرى من يضمها " (مز ٣٩ : ٦) . ويضيف فى (مز ٤٩ : ١٦و١٧) " لا تخشى إذا استغنى إنسان إذا زاد مجد بيته. لأنه عند موته كله لا يأخذ. لا ينزل وراءه مجده".

الخاتمة

نظرة جديدة للحياة

(٥ : ١٨ – ٢٠)

"هوذا الذى رأيته أنا خيراً الذى هو حسن. أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذى يتعب فيه تحت الشمس مدة أيام حياته التى أعطاها الله إياها لأنه نصيبه. أيضا كل إنسان أعطاه الله غنى ومالاً وسلطة عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله . لأنه لا يذكر أيام حياته كثيراً لأن الله ملهيه بفرح قلبه".

يختم الجامعة هذه المناقشة الثانية، كما ختم المناقشة الأولى فى (٢ : ٢٤ – ٢٦)، بتقديم نظرته الجديدة للحياة كالآتى :

١– النظرة الجديدة (١٨) :

يقول الجامعة " هوذا الذى رأيته أنا أخيراً الذى هو حسن ... "، أى أنا أرى نظرة أخرى للحياة، مختلفة عن تلك التى عُرضت من قبل، وانتهت باليأس والظلام والغم والحزن والغيظ (٥ : ١٦ و ١٧). نظرة جديدة ترتكز على دخول الله مشهد وقلب حياة الانسان، بعد أن كان غائباً عنها كما لاحظنا فى الأعداد (٥ : ١٣ – ١٧). وهذه النظرة الجديدة ترى أن " الخير الذى هو حسن " وكلمة " حسن " تعنى " مناسب " أو

" جميل " أو " لا ئق " أو " الأفضل "، هو الانفتاح على شخص الله، واختبار رفقته في الحياة، والاستعداد للقبول والرضى بنوعية وأسلوب حياتنا بما فيها من تعب أو ثروة، لأن حياتنا بكل ما فيها عطية منه. هذه النظرة ترى أن حياة الايمان، هي الحياة الراضية الشاكرة السعيدة (٣ : ١٢ و ١٣ و ٢٢)، ولذلك يسميها كيدنر Kidner " الطريق الأفضل " A more excellent way .

٢- السر والوسيلة (١٩ و ٢٠) :

يقول الجامعة أن السر في هذه النوعية الجديدة للحياة، والوسيلة للوصول إليها، هو الإدراك (١٩) والاستغراق (٢٠) .

الوسيلة الأولى : الإدراك (١٩) :

- الإدراك بأن القضية ليست أبداً " كم " ما نملك، بل " القدرة " على التمتع بما نملك، كان قليلاً أو كثيراً. وكما أن ما نملكه هو نصيبناً من الله وعطيه منه، فالقدرة على التمتع هي أيضاً عطية منه. كيف؟ " لأنه يؤتي الانسان الصالح قدامه حكمة ومعرفة وفرحاً. أما الخاطيء فيعطيه شغل الجمع والتكويم.." (٢ : ٢٦). وهنا في (١٩) " أيضا كل انسان أعطاه الله غنى ومالاً وسلّطه عليه حتى يأكل منه ويأخذ نصيبه ويفرح بتعبه فهذا هو عطية الله ".

- هــذا يعنى أن القدرة على التمتع، هى عطية الله التى تتمثل فـى " الحكمة والمعرفـة والفـرح" (٢ : ٢٦)، وهــى نابعـة مـن إدراك الإنسان المؤمن، لمركـزه الـذى أعطـاه لـه الله كسيد علـى الأشياء والممتلكات وليس العكس" وسلّطه عليـه حتـى يأكل منـه .. ويفـرح بتعبه .. ". هـذا الادراك يجعـل الانسـان قـادراً علـى التمتـع بحياتـه بحكمه ومعرفة وفرح. يقول الرسول بولس فـى (في ٤ : ١٢ و ١٣) " أعـرف أن أتضـع وأعـرف أيضـا أن أستفضل فـى كـل شـىء وفــى جميع الأشياء قـد تدربـت أن أشبع وأن أجـوع وأن أسـتفضل وأن أنقص. أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى ". إننا نحتـاج أن نتدرب عمليا وبعمق، أن نستقبل أيامنا وحياتنا ونصيبنـا مـن الله برضى وشكر، وأن نأخذ من يده حكمة وقدرة التمتع والفرح بما لنا ومن لنا، وأن ندرك أننا نملك الأشياء ونسود عليها.

الوسيلة الثانية: الاستغراق (٢٠) :

والسر والوسيلة للوصول إلى هذه النوعية الجدية من الحياة، لا تكون فقط فى الإدراك، بـل أيضـا فـى الاسـتغراق كمـا نـرى فـى (عـدد ٢٠) " لأنـه لا يذكر أيام حياته كثيراً لأن الله ملهيه بفرح قلبه". فالانسان الذى يـرى الله مركـزاً لحياتـه ومانحـاً لهـا، ويستمد منـه القـدرة علـى التمتـع بـهـذه الحيــاة بحكمة ومعرفة وفرح، هذا الانسان يعيش حياة ممتلئة مشبعة، تستغرقه كليةً فـى أولويـات واضحـة، وأعمـال نافعـة ناجحـة وخدمـة مثمـرة، وحيـاة غنيـة فرحة. لا مكان فيها للضجر أو الملل، أو القلق من التقدم فى الأيام " لأنـه

لا يذكر أيام حياته كثيراً"، لأنه يتمتع فى كل مرحلة، بعطايا الله له، وبحكمة استثمار الأيام لمجد الهه، وامتداد ملكوته، ونفع الآخرين من حوله. يصلي موسى رجل الله في (مز ٩٠: ١٢) فيقول بنفس المعنى " إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة".

المناقشة الثالثة

تفسير وتطبيق خطة الله

(٦ : ١ –٨ : ١٥)

تحتل هذه المناقشة مركز سفر الجامعة، وفيها يحاول الجامعة أن يطبق ما توصل إليه في خاتمتي المناقشتين السابقتين (٢ : ٢٤ – ٢٦ ، ٥ : ١٨ – ٢٠)، عن عطايا الله وخطته لحياة البشر، أقول: يحاول أن يطبق هذا المضمون على ما يحدث في الحياة من تباين وتناقض وتفاوت ظاهر في عناية الله، ويطرح بعض الأمور التي تساعد في تفسير هذا التباين والتفاوت الظاهر.

وينقسم هذا النص إلى ثلاثة أقسام، وينتهي بخاتمة على الوجه التالي:

- التقييم المناسب للظروف ٦ : ١ – ٧ : ١٥.
- التقييم المناسب لشخصية الإنسان ٧ : ١٦ – ٢٩.
- دور الحكومة العادلة ٨ : ١ – ١٤.
- خاتمة ٨ : ١٥ .

القسم الأول

التقييم المناسب للظروف

(٦ : ١ – ٧ : ١٥)

" يوجد شر قد رأيته تحت الشمس وهو كثير بين الناس. رجل أعطاه الله غنى ومالاً وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله إنسان غريب. هذا باطل ومصيبة رديئة هو.

إن ولد إنسان مائة وعاش سنين كثيرة حتى تصير أيام سنيه كثيرة ولم تشبع نفسه من الخير وليس له أيضا دفن فأقول إن السقط خير منه. لأنه فى الباطل يجىء وفى الظلام يذهب واسمه يغطى بالظلام. وأيضا لم ير الشمس ولم يعلم. فهذا له راحة أكثر من ذاك. وإن عاش ألف سنة مضاعفة ولم ير خيراً أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع. كل تعب الإنسان لفمه ومع ذلك فالنفس لا تمتلىء. لأنه ماذا يبقى للحكيم أكثر من الجاهل. ماذا للفقير العارف السلوك أمام الأحياء.

رؤية العيون خير من شهوة النفس. هذا أيضا باطل وقبض الريح. الذى كان فقد دعى باسم منذ زمان وهو معروف أنه إنسان ولا يستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه. لأنه توجد أمور كثيرة تزيد الباطل. فأى

فضل للإنسان . لأنه من يعرف ما هو خير للإنسان فى حياته الباطلة التى يقضيها كالظل لأنه من يخبر الإنسان بما يكون بعده تحت الشمس.

الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة. الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة لأن ذاك نهاية كل إنسان والحى يضعه فى قلبه. الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب. قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال فى بيت الفرح. سمع الانتهار من الحكيم خير للإنسان من سمع غناء الجهال. لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال. هذا أيضا باطل. لأن الظلم يحمق الحكيم والعطية تفسد القلب.

نهاية أمر خير من بدايته. طول الروح خير من تكبر الروح. لا تسرع بروحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر فى حضن الجهال. لا تقل لماذا كانت الأيام الأولى خيراً من هذه. لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا. الحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل لناظرى الشمس. لأن الذى فى ظل الحكمة هو فى ظل الفضة وفضل المعرفة هو إن الحكمة تحى أصحابها. انظر عمل الله لأنه من يقدر على تقويم ما قد عوجه. فى يوم الخير كن بخير وفى يوم الشر اعتبر. إن الله جعل هذا مع ذاك لكيلا يجد الإنسان شيئا بعده. قد رأيت الكل فى أيام بطلى قد يكون بار يبيد فى بره وقد يكون شرير يطول فى شره".

يقول الجامعة إن التقييم المناسب والموضوعي للظروف المحيطة بالإنسان، يساعد في تفسير واستيعاب التباين والتفاوت، الذي يبدو ظاهراً للإنسان في عناية الله بالبشر. فمرات عديدة تبدو الحياة كأنها طريق مسدود dead - end street ، كما يسميها Warren W. Wiersbe في تعليقه على هذا النص، وهي نفس العبارة التي وضعها عنواناً للأصحاح السادس من السفر.

وفعلاً تبدو الحياة كذلك أمام عيوننا، خاصة عندما لا نستطيع تحقيق أهدافنا في الحياة، أو عندما لا نشعر بالشبع في الإنجاز برغم تحقيق الأهداف. وفي الكتاب المقدس نجد أكثر من شخص عاني من نفس الإحساس، بالإحباط والفشل وأن الحياة طريق مسدود، ممتلىء بالألغاز والأسرار الغير مفهومة، أنها بلا معني. من بين هؤلاء نجد موسى (عدد ١١ : ١٥)، إيليا (١ مل ١٩ : ٤)، أيوب (٣ : ٢١، ٧ : ١٥)، إرميا (٨ : ٣ ، ١٥ : ١٠)، يونان (٤ : ٣)، حتى الرسول بولس عاني من هذا الإحساس في وقت من الأوقات (٢ كو ١ : ٨ –١١).

وفي هذا القسم الأول من المناقشة الثالثة، يطرح الجامعة فكرة التقييم المناسب للظروف المحيطة، حتى نتمكن من محاولة فهم ما نراه من ألغاز، وما تثيره قدامنا من وجود تباين وتفاوت في عناية الله بنا، وبالتالي نتغلب على مشاعر الإحباط والفشل، ومعاناة الإحساس بأن

الحياة طريق مسدود، ونستعيد إيماننا الثابت بخطة الله الصالحة والعادلة برغم ظروف الحياة. وفى طرحه لفكره للتقييم المناسب والموضوعى للظروف المحيطة، يدعو أن نتوقف أمام السطح والعمق على أساس أمرين أو مبدأين:

الأول : النجاح ليس دائماً خيراً (٦ : ١ – ١٢)

والثانى : المعاناة ليست دائماً شراً (٧ : ١ – ١٥) والسؤال الطبيعى .. كيف ؟ . ومن هنا تبدأ المناقشة .

أولا : النجاح ليس دائماً خيراً

(٦ : ١ – ١٢)

يريد الجامعة فى تقديمه لهذا المبدأ، أن ليس كل نجاح خيراً، أن يفتح عيوننا على التقييم المناسب للظروف المحيطة بالإنسان، وأن نرى الأمور من الداخل والعمق، بدلاً من أن نتوقف فقط أمام الشكل والسطح والمظاهر الخارجية لهذه الظروف. وهنا يقدم مجموعة صور من الحياة للتأمل والتقييم، وضعها Wiersbe فى ثلاث صور لثلاث مجموعات من الناس ترى الحياة كطريق مسدود، ويدعونا الجامعة أن نتعلم درساً نافعاً منها.

الصورة الأولى : أغنياء بدون تمتع (٦ : ١ – ٦)

هناك مثل قديم يقتبسه والتر كايزر Kaiser فى تعليقه على هذه الصورة " لا تحكم على كتاب من عنوانه أو غلافه " وفى الأنجليزية " Never judge a book by its cover" والمثل يعنى أن لا نُخَدع بالظروف الخارجية أو المظهر الخارجى للآخرين.

وهذه الصورة تقدم لنا شخصاً يمتلك كل مصادر الحياة الرغدة، ويعيش حياة طويلة وسط عائلة كبيرة، لكنه يعيش بقلب مكسور، بعيداً عن الشبع أو

السعادة. وهى صورة تجسد مأساة كثيراً ما تتكرر فى الحياة (عدد ١)، ويراها الجامعة شراً (عدد ١) وباطلاً ومصيبة رديئة (عدد ٢).

فى (عدد ٢) يذكر مصادر الحياة الغنية التى يملكها هذا الشخص " رجل أعطاه الله غنى ومالاً وكرامة وليس لنفسه عوز من كل ما يشتهيه " ثم يضيف " ولم يعطه الله استطاعة على أن يأكل منه بل يأكله إنسان غريب ". فى (أعداد ٣ - ٦) يذكر العائلة الكبيرة (عدد ٣) والحياة الطويلة (أعداد ٣ و ٦) لكن العائلة الكبيرة خالية من الحب " ليس له أيضاً دفن " (عدد ٣) أى أن العائلة لم تهتم برثائه ولم تحزن لفقده، وتباطأت فى دفنه برغم أن دفن الميت فى الشرق واجب دينى وتكريم للميت، وهذا لأن العائلة انشغلت بتقسيم ثروته. والحياة الطويلة لاقيمة لها، طالما أن نفسه لم تشبع من الخير برغم غناه الواسع إذنً فالسقط خير منه " لأنه لم ير هذه النوعية من الحياة أصلاً، وأن موضعاً واحداً سيذهب إليه الجميع أى الموت.

ربما تكون هذه الصورة حالة افتراضية يقدمها الجامعة، وربما تكون فى ذهنه بعض النماذج مثل سليمان (٢ أخ ١ : ١١)، أو رحبعام (٢ أخ ١١ : ٢١) الذى كان له ١٨ زوجة، ٦٠ سُرية، ٢٨ ابناً، ٦٠ ابنة. وسواء هذه أو تلك، فالجامعة يريد أن يقدم لنا من خلال هذه الصورة تعليماً ورسالة واضحة فى أكثر من فكرة، حول أن النجاح وحده ليس هو الخير للإنسان.

<u>الفكرة الأولى :</u> أن ليس المهم مقدار ما نملك، بل القدرة على التمتع به. والقدرة على التمتع عطية من الله (جا ٥ : ١٩ ، ٣ : ١٣)، وبالتالى لا نستطيع أن نتمتع بعطايا الله بعيداً عن الله نفسه. والتمتع البعيد عن الله مجرد ترفيه entertainment مؤقت غير مشبع، لكن التمتع مع الله إثراء enrichment يقود إلى الفرح والشبع الحقيقى الدائم.

<u>الفكرة الثانية :</u> أن الرجل الغنى هنا هو حقيقة رجل فقير وبائس جداً. فهو يملك كل مصادر التنعم، لكنه لا يستطيع أن يأكل منه، ولا يشبع من الخير ربما لمرض فى جسده حرمه نعمة التمتع. وهو يملك أسرة كبيرة، لكنها خالية من الحب . إذن الغنى والخير فى هذه الحالة يكمن فى القدرة على التمتع وليس فى كم ما نملك، ونجده فى الحب والمساندة فى الأسرة، وليس فى حجم الأسرة أو مظهرها الخارجى.

<u>الفكرة الثالثة :</u> أن القدرة على التمتع بالحياة، تأتى من داخل الإنسان وليس من خارجه، من شخصيته وليس من الظروف. يقول الرسول بولس فى (فى ٤ : ١١) " تعلمت أن أكون مكتفياً بما أنا فيه " والكلمة اليونانية " مكتفياً " تحمل فكرة الإمداد الذاتى، الذى لا يحتاج إلى شىء من الخارج. فالرسول يحمل فى داخله مصنعاً فيه كل المصادر التى يحتاج إليها، لمواجهة حياته بكل ما فيها. ومصنع الإمداد هو المسيح ولذلك يقول " أستطيع كل شىء فى المسيح الذى يقوينى " (فى ٤ : ١٣)، أى

المسيح فينا قوة للحاضر، والمسيح فينا ضمان للمستقبل يقول الرسول " المسيح فيكم رجاء المجد " (كو ١ : ٢٧) .

<u>الفكرة الرابعة :</u> أننا أمام حقيقة وحتمية الموت، الموضع الذى يذهب إليه الجميع، يدعونا الجامعة أن نتمتع ببركات الله فى حياتنا " الآن "، وأن نعيش بروح الشكر لله من أجل كل عطاياه. لنكن مكتفين بكل ما أعطانا، ولنستخدم الكل لمجده، ولنتمتع بحياتنا وعائلاتنا وأصدقائنا وخدمتنا قبل فوات الأوان.

الصورة الثانية : تعب أو تطلع ظامىء بدون شبع

(٦ : ٧ – ٩)

إن كانت الصورة الأولى تتحدث عن الرجل الغنى، فهذه الصورة تناقش الرجل الفقير. والفقير مثله مثل الغنى وكل إنسان يتعب ويكدّ ليعيش، وهذا واضح فى العدد السابع " كل تعب الإنسان لفمه ... ". لكن، هل يُشبع الخبز كل احتياجات الإنسان؟ هل يشبع نفسه أى احتياجاته الداخلية النفسية والروحية والمعنوية؟ ، يجيب الجامعة بالنفى " ومع ذلك فالنفس لا تمتلىء " " لأنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان". ولماذا " يأكل " الإنسان ؟ هل لمجرد أن يضيف بضع سنين إلى حياته؟ وما الفائدة إذا لم يضف حياة إلى سنينه؟. فنحن لا نعيش لنأكل، بل نأكل لنعيش لأهداف أسمى وأبقى.

في العدد الثامن يسأل الجامعة سؤالين فيقول ما تفسيره: ان كان الطعام لا يشبع النفس الظامئة - المتطلعة إلى احتياجات وشهوات أخرى لا تنتهى، وأن النفس تظل تشعر بالفراغ والخواء، فهل هناك ميزة للحكيم عن الجاهل في هذه الحياة؟، وهل هناك فائدة للفقير من محاولته المستمرة للتعلم ولتحسين مستواه حتى يسلك بطريقة أفضل مرضية للآخرين؟.
والإجابة المفترضة التى ينطوى عليها السؤالان هى بالنفى.

ثم يصل فى العدد التاسع إلى وضوح أكثر فيقول ما معناه: أنا لا أقول إن الحكمة خطأ، أو التعليم ومحاولة تحسين الإنسان لقدراته خطأ. ولكن ما أريد قوله هو :

١- ليس بالخبز أو الماديات وحدها يحيا الإنسان، لأن النفس باحتياجاتها ونزعاتها ورغباتها وتطلعاتها لا تمتلىء بالخبز فقط. كذلك إذا ظلت هذه الرغبات والشهوات والتطلعات بدون استقرار وقناعة وضبط نفس، سيظل الحكيم أو الفقير الذى يحاول التعلم والتطور، بدون إحساس حقيقى بالرضى والشبع. الحل إذن أن هناك الكثير من حولنا فى الحياة الذى دعانا الله أن نراه بعيوننا، ونتدرب ونتعلم أن نرضى ونسعد به. لكن الشهوة الحائرة الثائرة فى أعماق الانسان تحرمه من هذا الشعور. وهنا يقول الجامعة " رؤية العيون خير من شهوة النفس هذا أيضا باطل وقبض الريح " (عدد ٩).

٢- من الأفضل أن نملك القليل، ونملك معه القدرة على التمتع بـه، مـن أن نحلم الأحلام الكبـيرة ولا نحقـق ذلـك أو نتمتـع بـه. وهـو بـالقطع ليس ضد الأحلام العظيمة التـى تضيـف شيئاً نافعاً للحيـاة، لكنـه يركّـز علـى الدوافـع التـى خلـف هـذه الأحـلام. وهـل تحقـق إرادة الله ولمجده وخير ونفع الناس أم لا . فإن كانت أحلامنا وإنجازاتنا تحقـق فعلا مجد الله ونفع الآخرين، هنا نشعر حتماً بالشبع والرضى الداخلى. يقول يسوع " طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله" (يـو ٤ : ٣٤). ويقول المرنم " تعرفنـى سبيل الحيـاة . أمـامك شـبع سـرور. فى يمينك نعم إلى الأبد" (مز ١٦ : ١١) .

الصورة الثالثة : أسئلة بدون إجابات (٦ : ١٠ - ١٢)

قدم الجامعة كما رأينا فى إطار تقييمه للظروف مـن حولنـا، أنـه لابـد أن لا نتوقف أمام السطح والظاهر منها فقط، بل لابـد أن نـرى الداخـل والعمـق أيضاً، لندرك أن ما يبدو لنا نجاحاً ليس دائماً خيراً. أقول قدّم لنا صورتين، الأولى لأغنياء ولكن بدون تمتع، والثانيـة لتعـابى متطلعين ظـامئين ولكـن بدون شبع. وهـو يريـد أن يقـول إن التمتـع أو الشـبع، وبعبـارة أخـرى السعادة الحقيقية ليست نتيجة حتمية تلقائيـة لحيـاة طيبـة، بـل هـى نتيجـة طبيعية للحياة فى إطار إرادة الله.

فى هذه الأعداد يقدم الجامعة الصورة الثالثة، وهى لمجموعة أخرى من الناس ترى الحياة أنها طريق مسدود. وهم الأشخاص الذين يريدون الحصول على إجابات لكل أسئلة الحياة. والجامعة لا ينكر على أى إنسان حق التساؤل والتفكير والبحث الأمين، وهو بنفسه يبحث فى سفره هذا عن معنى الحياة. ولكن الخبرة الرعوية تؤكد لنا أن معظم تحليلاتنا وتشخيصنا لا تحل مشكلات الناس،خاصة الشخصية منها فهى كالأشعة x - ray بالنسبة للمريض، خطوة هامة لكنها لا تقدم الشفاء فى حد ذاتها.

ولقد صارع أيوب طويلاً مع الله محاولاً الوصول إلى إجابات لتساؤلاته، ولم يقدم له الله أية إجابات، لأن المعرفة فى العقل لا تضمن شفاء القلب والنفس فى الداخل.

وهنا نجد بعض الأسئلة منها الضمنى ومنها المباشر والواضح :

- السؤال الأول (١٠ أ) " الذى كان فقد دُعى باسم منذ زمان وهو معروف أنه إنسان ". وإعطاء الشيء إسماً يعنى تحديد سماته الأساسية وشخصيته. والله وضع الصفات الأساسية للكون والعالم، والصفات الأساسية المستقرة للإنسان. والجامعة يؤكد عدم تغيّر الصفات الأساسية للحياة من جانب، ومحدوية الإنسان التى لا تمكنه من معالجة مشاكل الحياة والعالم تماماً من الناحية الأخرى (أنظر ١ : ١٥ ، ٣ : ١٥).

- والسؤال الكامن هنا، إن كان الأمر كذلك فما المعنى أن أفكر وأن أقرر؟ هل يضيف ذلك شيئاً ؟.
- السؤال الثانى (١٠ ب) " ولا يستطيع أن يخاصم من هو أقوى منه " وبصياغــة أخـرى " هـل اسـتطيع أن أجـادل وأحـاجج وأنـاقش الله وهو الفائق العظمة والجلال؟ ".
- السؤال الثالث (١١) " لأنه توجد أمـور كثيرة تزيـد البـاطل فـأى فضـل للإنسـان " . وكلمـة " الأمـور " تعـود إلى السـؤال الثـانى أى المجادلة مــع الله. وهنــا يكــون السـؤال " هــل الكــلام يحــل المشكلات أم يزيد الأمور بُطــلاً فأى فضل للإنسان ؟ فــى ترجمــة (NIV) جاءت كالآتي:

" The more the words, the less the meaning " أى أن كثرة الكلام لا تعطى معنى للأحداث والمشكلات. والكلمـات لا يمكن أن تغير العالم، بل تزيد عقمه وبطله.

- السؤال الرابع (١٢ أ) " لأنـه مـن يعـرف مـا هـو خـير للإنسـان فـى الحياة مدة أيام حيـاة باطلـة التـى يقضيها كـالظل ؟ " . أى – كمـا يقول Eaton فى تفسيره – مـن يعرف الشـىء الـذى يكفـى بحـق ليكون أساساً للحياة، أساساً كافياً ومناسباً ودائماً كل الحياة، وليس مجـرد شـىء عـابر؟ ويمكنـه أن يتعـامل بقــدرة مـع البُطـل والعقـم المتأصل فى العالم الأرضى (حياة باطــلة) ومع قصر عمر الإنسـان (كالظل كما فى ٨ : ١٣) ؟

السؤال الخامس (١٢ ب) " لأنه من يخبر الإنسان بما يكون بعده تحت الشمس؟ ". عادة عندما يأتى السؤال " من يعرف " ؟ يلحق به السؤال " من يخبر الإنسان ..." ؟ (انظر ٣ : ٢١ و٢٢). وهنا نجد المشكلة مزدوجة، فلا توجد عند أغلب الناس معرفة أو حكمة فى نفوسهم عن " الخير " للإنسان، أو كما يقول Kidner معرفة " بالقيم " المطلقة التى يعيشون لأجلها، ولا يملكون مساعدة من الآخرين عن " ماذا سيكون " كأشياء مؤكدة عمليا يخططون حياتهم فى ضوئها.

بالقطع لا يريد الجامعة هنا أن يقدم صورة سلبية من خلال هذه التساؤلات عن الله وعمله وإرادته، فالله يدعو الإنسان أن يعمل معه فى إطار قبوله وخضوعه له ولعمله. وإرادة الله صالحة ومرضية وكاملة، أما من يطلب الحرية من إرادة الله ومن لا يخضع لعمله، فهذه هى العبودية بعينها لأنها تدفع بنا إلى عالم من الوهم والبطل. والله يريدنا أن نتناقش وأن نعبر له عن تساؤلاتنا وحيرتنا، طالما أننا نحب مخلصين أن نرضيه وأن نعمل مسرته ومشيئته.

لكن الجامعة يريد أن يقول إن من يعيش فى هذه التساؤلات فقط بعيداً عن الله، سوف يرى الحياة عبارة عن طريق مسدود. فهناك أشياء وأحداث ومواقف عديدة فى الحياة من حولنا لن نصل فيها إلى إجابات شافية عن طريق التساؤلات والكلمات. والحل - كما يقول

Eaton– أن الجامعة مثله مثل الناموس، أغلــق كـل بـاب فيما عدا باب الإيمان (غلا ٣ : ٢٢). الإيمـان بـالله الخـالق والفـادى، السـيد والملـك وحـده علـى العالم وفـى الحيـاة. الإيمـان بحكمتـه وكلمتـه ووعـوده مهما كـانت الظـروف، ومـهما أرتسـمت علامـات الاستفهام. الإيمان بعظمته وجلاله، والإيمان بمحدوديتنا وعجزنا وضعفنا، والتسليم المطيع الخاضع لإرادته.

وإذا عدنـا إلى قصــة أيوب نجد أنه تســاءل وناقش وصارع الله كثيراً (انظـر ٢٣ : ١ – ٥، ٢٦ : ١ – ٤ ، ٢٨ : ٢٠و ٢١). ولـم يقــدم الله لــه إجـابـات محــددة علـــى أسئلته، لكـن أخـذه معه فـى سياحة حـول عظمة عمله فى الكـون مثل (٣٨ : ١ – ٧)، ودخـل معه فــى حـــوار كمـــا فـى (٤٠ : ١ – ٩)، فكـــانت النتيجـة التـى تعـبر عـن نضـوج الإيمان فى (٤٢ : ١ – ٦).

هذا هو باب الإيمان الذى تجسد فى شخص يسوع المسيح، حكمة الله وكلمة الله ووعده، الإيمان الذى يرى مَن لا يُرى، ويرى الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة، الإيمان الذى أقام يسوع من الأموات ويقيم كل منا من موت خطاياه وظروفه ومعاناته.. الإيمان بالمسيـح الـــذى هـــو " الباب " الـذى به نخلص وندخـل ونخرج ونجـد مرعـى .. فيه كانت الحياة والحيـاة كـانت نـور الناس.. بهذا الإيمـان نحيـا ونتحـرك ونوجد ونواجه وننجـز ونجـد معنـى لحياتنـا فـوق كـل ضعـف وخـوف ..

لأننا ندرك أن الحياة عطية من الله، ويجب أن نقبل عطية الله ونتمتع بها قدر ما نستطيع (٣ : ١٢ - ١٥ ، ٥ : ١٨ - ٢٠).

ثانيا : المعاناة ليست دائما شرا

(٧ : ١ – ١٥)

" الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة. الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة لأن ذاك نهاية كل إنسان والحي يضعه في قلبه الحزن خير من الضحك لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب. قلب الحكماء في بيت النوح وقلب الجهال في بيت الفرح. سمع الانتهار من الحكيم خير للانسان من سمع غناء الجهال. لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحك الجهال هذا أيضا باطل. لأن الظلم يحمق الحكيم والعطية تفسد القلب. نهاية أمر خير من بدايته طول الروح خير من تكبر الروح. لا تسرع روحك إلى الغضب لأن الغضب يستقر في حضن الجهال. لا تقل لماذا كانت الأيام الأولى خيرا من هذه لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا. الحكمة صالحة مثل الميراث بل أفضل لناظري الشمس. لأن الذي في ظل الحكمة هو في ظل الفضة وفضل المعرفة هو أن الحكمة تحيي أصحابها. أنظر عمل الله لأنه من يقدر على تقويم ما قد عوجه. في يوم الخير كن بخير وفي يوم الشر اعتبر ان الله جعل هذا مع ذاك لكيلا يجد الانسان شيئا بعده.

قد رأيت الكلِ في أيام بطلي قد يكون بار يبيد في بره وقد يكون شرير يطول في شره".

ناقش الجامعة فى الأصحاح السادس فى إطار تقييمه للظروف المختلفة فى الحياة، أن النجاح ليس دائما خيرا. وهنا فى هذه الأعداد يناقش الوجه الآخر للحقيقة، أو كما يسميه Kaiser " الحق المرافق " والمصاحب للوجه الأول، وهو أن المعاناة فى الحياة ليست دائما شرا. بل قد يكون فيها الخير الكثير، والأكبر فى التأثير، من ظروف النجاح.

ولقد انتهى الأصحاح السادس بسؤال هام " من يعرف ما هو خير ؟ " (٦ : ١٢) . وعلى هذا السؤال يقدم الجامعة مجموعة من الأمثال تدور حول عبارة " خير من "، والتى تبرهن على الأمور الأفضل والأكثر خيرا ونفعا " better " أو " good " فى الحياة، نذكر بعضا منها على سبيل المثال :

- الصيت خير من الدهن ..
- يوم الممات خير من يوم الولادة ..
- الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة ..
- الحزن خير من الضحك ..
- سمع الانتهار من الحكيم خير للإنسان من سمع غناء الجهال ..
- نهاية أمر خير من بدايته .

ويبدو أن هذه النماذج من أمثال " خير من "، كما يقول Eaton، جزء من مجموعة أكبر، لأن الجامعة كان شغوفا بجمع الأمثال كما في (١٢ : ٩) إذ " أتقن أمثالا كثيرة ".

في هذه الأعداد يوقفنا الجامعة أمام:

- مشاهد الحزن وفوائد الألم ١-٦.
- اخطار وتحذيرات ٧-١٠.
- نعمة الحكمة ١١-١٥.

١- مشاهد الحزن وفوائد الألم (٧ : ١ - ٦)

استخدم الجامعة في هذه الأمثال نوعا من الصور البلاغية في اللغة العبرية Figures of speech نسميه " الجناس " (Paronomasia)، والجناس يعني استخدام الألفاظ والكلمات المتشابهة إلى حد ما في النطق لكنها مختلفة في المعنى، مثل ما جاء في العدد الأول والخامس والسادس.

ففي العدد الأول كلمة " صيت " أو " اسم " name في العبرية shem وكلمة " دهن طيب " perfume في العبرية shemen . وفي العددين الخامس والسادس كلمة " غناء " song في العبرية shir،

وكلمة " قدر " pot بالعبرية sir، وكلمة " شوك " thorns بالعبرية sirim.

والجامعة يريد كما ذكرنا أن يعلن من خلال هذه الأمثال، أن مشاهد الحزن والألم والمعاناة التى نمر بها فى هذه الحياة، لو استطعنا أن نتوقف أمامها بعمق، وأن نفكر فيها بإيجابية، وأن نرى فيها الحكمة التى يريد الله أن يعلمها لنا، لكانت أكثر فائدة ونفعا وخيرا من الأوقات الأخرى السطحية والعابرة. لماذا ؟ لأنها، مع الظروف الأخرى، تأتى بنا فى النهاية إلى حياة النضوج والتوازن الداخلى فى شخصية الانسان وفى نظرته إلى الحياة. ولكن كيف ؟ هذا ما سنراه فى المشاهد التالية.

المشهد الأول : حديث الموت (٧ : ١) :

فى هذا العدد نستمع إلى حديث الموت .. يقول الجامعة " الصيت خير من الدهن الطيب ويوم الممات خير من يوم الولادة " . ترجم Eaton هذا العدد بوضوح أكثر فقال " كما أن الصيت خير من الدهن، كذلك يوم الممات خير من يوم الولادة ". والصيت أو الاسم يعنى صفات الشخصية الداخلية للإنسان، وقيمه التى تحكم سلوكه، والتى تكون السمعة الطيبة عنه. والسمعة الطيبة للإنسان لها تأثير ورائحة أبقى وأطول من رائحة الدهن الطيب الخارجى، لأنها تبقى بعده. وعلى هذا الأساس يكون يوم الممات خيرا من يوم الولادة .

والجامعة هنا لا يقارن " الميلاد " بـ " الموت "، ولا يقصد أن يقول إن الأفضل للإنسان أن يموت عن أن يولد، لأنه ببساطة لكى يموت لابد أن يولد. إنه يقارن يومين متميزين في التجربة الانسانية كما يقول W. W. Wiersbe اليوم الذى فيه تبدأ الحياة، واليوم الذى فيه تنتهى. واليوم الثانى " يوم الممات " هو الذى يكشف ماذا فعلنا فى حياتنا بين الميلاد والموت، فإذا كنا قد استثمرنا أيامنا في نور حكمة الله ونعمته وخوفه، وتاجرنا بها وربحنا خيرا ونفعا لنا وللناس من حولنا، هنا يكون يوم الممات يوم السمعة الطيبة التى هى أبقى من الحياة نفسها. وفى هذا يقول الحكيم فى (أم ١٠ : ٧) " ذكر الصديق للبركة واسم الأشرار ينخر". وفى (أم ٢٢ : ١) " الصيت أفضل من الغنى العظيم والنعمة الصالحة أفضل من الفضة والذهب". وفى (مز ١١٢ : ٦) " الصديق يكون لذكر أبدى ".

ولقد أشار الرب يسوع إلى هذا المعنى عندما قال عن المرأة التى سكبت الطيب على رأسه " الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضا بما فعلته هذه تذكرا لها " (مر ١٤ : ٩) . أما يهوذا فقد بدأ حياته باسم جميل يعنى " الحمد "، وهو ينتمى إلى السبط الملكى فى اسرائيل، لكنه أنهى حياته بخيانة وعار عندما باع سيده بثمن بخس.

المشهد الثاني : حقيقة الموت وحكمة الموت (٧ : ٢ – ٤) :

في هذه الأعداد يركز الجامعة على أمرين.

الأمر الأول: هو حقيقة الموت ..

فيقـــول فـي آخر العدد الثاني، موضحـا، المثـل الـذى جـاء فـى النصف الأول من نفس العدد، يقول " لأن ذاك نهايــة كل إنسان والحى يضعه فى قلبه " (٢) .

والنـاس عـادة تريـد أن تتجنـب الحديـث عـن المـوت والتفكـير فيـه، كأنـه وحش نائم علينـا أن نمشـى علـى أطـراف أصابعنـا حتـى لا نوقظـه. وهـذه نظرة لا ترى معنى للموت سوى أنه ينهي كفاح وجهـود الانسـان وأمانيـه، حتى أن العالم ينشغل برغبة جامحة فى تـأجيل المـوت، ويحلـم بـالتخلص منه. لكن الجهود العلمية فى العالم بثوراتها المختلفة لا تفكـر فـى تـأجيل أو إلغاء الموت، بل تأجيل الشيخوخة وتحسين نوعية حياة الإنسان.

أمـا المـوت فالجامعـة يعلـن أن مـن أراد أن يعيـش بحكمـة عليـه أن يضـع الموت نصب عينيه، ويدمجه فى نظرته عن الحياة، ويواجهه بـدون خـوف، ولا يراه كأمر سلبى بل كأفق ممتد يعبر بنا إلى حياة أبدية لا تنتهى. يقـول الأديب الكبير نجيب محفوظ : " أنا أحب الحياة ولكن لا أخاف الموت".

الأمر الثانى : هو حكمة الموت ..

فالموت لا يشير فقط إلى حياة ممتدة قادمة، بل يجعلنا نتوقف لنفكر فى حياتنا بعمق وجادية " والحى يضعه فى قلبه " أى أن الحى فعلاً والحكيم هو الذى يتوقف ليفكر ويهتم ويصحح المسار، وهنا " يُصلَح القلب " وتُصلح الحياة ككل (٣). وهذا ما قاله موسى فى صلاته فى (مز ٩٠ : ١٢) " إحصاء أيامنا هكذا علمنا فنؤتى قلب حكمة ". وهذا أيضاً ما قاله الجامعة فى (عدد ٤) " قلب الحكماء فى بيت النوح وقلب الجهّال فى بيت الفرح ". أى أن الموت - كما يقول Eaton - هو موضوع تأملات الرجل الحكيم، أما الجاهل الأحمق فهو فى لهوه وحفلاته الصاخبة، مشغول عن التفكير فى حقائق الحياة، عاجز فى عماه ومجنونه عن رؤية نفسه وواقعه (أنظر يو١٦ : ٢٠ ، ٢ كو ٤ : ١٧). ويؤكد هذه الحقيقة Kidner عندما يقول إن الموت يجعل الحكيم مُعَداً للتفكير، ويجعل الحقائق واضحة جداً.

المشهد الثالث : حكمة الإصغاء (٧ : ٥ - ٦) :

فى العددين ٥ و ٦ ينتقل الجامعة من حكمة الموت إلى وجه من وجوه حكمة الحياة، وهو حكمة الاصغاء والتعلم من إنتهار الحكيم والتدرب على قبول ذلك رغم ألمه. فيقول " سمعُ الانتهار من الحكيم خيرٌ للإنسان من سمعُ غناء الجهال. لأنه كصوت الشوك تحت القدر هكذا ضحكُ الجهال. هذا أيضا باطل ".

بعض المفسرين يرى أن كلمة " غناء " المنسوبة للجّهال، تعنى غناء بالمعنى الحرفى، خاصة أنها مرتبطة فى القرينة بعبارة " بيت الفرح" فى (عدد ٤)، ولذلك تكون الإشارة فى رأى Eaton إلى أغانى الجهال فى الحفلات والأفراح. وفى العهد القديم نجد فى (٢ صم ١٢ : ١ –١٥) نموذجاً لإنتهار الحكيم، فى انتهار ناثان النبى لداود نتيجة خطيته، ونموذجاً لحكمة الإصغاء والاتضاع والتجاوب عندما قال داود لناثان " قد أخطأت إلى الرب"، فقال له ناثان " الرب أيضاً قد نقل عنك خطيتك لا تموت " . كما نرى أيضا نموذجا لغناء الأحمق فى (عا ٦ : ٥ و ٦) " الهاذرون مع صوت الرباب المخترعون لأنفسهم آلات الغناء كداود . الشاربون من كؤوس الخمر والذين يدهنون بأفضل الأدهان ولا يغتمون على انسحاق يوسف ".

على أن معظم المفسرين يرون أيضا أن " غناء الجهال " (٥) و " ضحك الجهال " (٦) يشير إلى سطحية وتفاهة وانعدام الأثر لمديح الجهال، بالمقارنة بانتهار الحكيم . واستخدام الجناس فى الكلمات العبرية فى هذين العددين كما أشرنا سابقا يؤكد هذا المعنى. فغناء وضحك أو مديح الجهال سريع الاشتعال، مرتفع الصوت، سريع الخمود، " كصوت الشوك تحت القدر " . " هذا أيضا باطل " أى أن سطحية الجاهل جزء من بطل الحياة وتفاهتها. أما انتهار الحكيم ففيه التوجيه المخلص والإصلاح الأمين لكل من له أذن للسمع. يقول داود فى (مز ١٤١ : ٥)

" ليضربنى الصديق فرحمة وليوبخنى فزيت للرأس .." . والحكيم فى سفر الأمثال أبرز هذه الحقيقة عدة مرات، ففى (أم ١٠ : ١٧) " حافظ التعليم هو فى طريق الحياة ورافض التأديب ضال " . وفى (أم ١٢ : ١) " من يحب التأديب يحب المعرفة ومن يبغض التوبيخ فهو بليد".وفى (أم ١٧ : ١٠) " الانتهار يؤثر فى الحكيم أكثر من مائة جلدة فى الجاهل ". (أنظر أيضا أم ١٥ : ٥ ، ٢٥ : ١٢ ، ٢٧ : ٥ و ١٧ ، ٢٩ : ١ و ١٥).
ترى هل نعيش هذا المفهوم فى مجال الأسرة، الكنيسة، المجتمع ؟!!.

والدرس الكبير الذى يريد أن ننتهى إليه من هذه الأعداد ككل (١ – ٦) هو أننا لو استقبلنا أوقات الألم والمعاناة، سواء فى مواجهة الموت أو فى رحلة الحياة، الاستقبال الصحيح لخرجنا بفوائد وبركات ونضوج أكبر وأعمق .. ففى الألم نرى الله ونسمعه بصورة أوضح، ونرى المسيح المثال " رجل أوجاع ومختبر الحزن "، وبالألم نتطور ونتطهر ونتضح ونكبر، وندخل إلى آفاق جديدة، ويقذف بنا منبطحين على ركبنا قدام إلهنا منتظرين برجاء كفاية نعمته وقوة عمله فى ضعفنا.

٢- أخطار وتحذيرات (٧ : ٧ - ١٠)

فى هذه الأعداد يقدم الجامعة تحذيرات من بعض الأخطار التى تواجه الانسان فى حياته، ومن خلال ذلك يترك لنا الموقف الصحيح الذى يجب أن نتخذه من هذه الأخطار والظروف. وهو يقدم لنا على الأقل ثلاثة أخطار :

الخطر الأول : ضغط البيئة المحيطة (عدد ٧) .. وهذا الضغط يتمثل فى الظلم والفساد الاجتماعى. يقول عن الظلم " لأن الظلم يحمق الحكيم ". وكلمة " لأن " تعنى " قطعا " أو "بالتأكيد " (أنظر أيوب ٥ : ٢ ، ٢٨ : ١ ، أم ٣٠ : ٢ ، عا ٣ : ٧) . والقصد هنا أن الظلم يجعل الانسان الحكيم يفقد اتزانه، وسلوكه العاقل، وتفكيره السليم، ونظرته الإيجابية.

وبنفس الطريقة تكون " العطية " أى " الرشوة " للحاكم او القاضى، إنها " تفسد القلب " أو كما يشرحها Kaiser " تحطم القلب ". لأنها تفسد الفهم الصحيح، وتعمى حس القاضى أو الحاكم بالعدالة وبالقيم، وتخدر ضميره، وتذهب برأسه فيعوج الحكم والقضاء.

والجامعة هنا يحذر من الأخطار المحيطة بنا، ومن تأثير شرور المجتمع حولنا الذى يضغط لتشكيلنا. والرسول بولس فى(رو ١٢ : ٢) " ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد اذهانكم لتختبروا ما

هي ارادة الله الصالحة المرضية الكاملة". ولقد شهدت بلادنا – كما في مناطق عديدة في العالم – في السنوات الأخيرة تغييرات كثيرة مثل الاتجاه للاقتصاد الحر والخصخصة، و الانفتاح التدريجي الاعلامي والثقافي .. الخ. ونتيجة لذلك حدث حراك اجتماعي بين الجماعات والطبقات . أدى كل ذلك إلى تخلخل القيم المتعارف عليها، وتغييرت سلوكيات عديدة، للأفراد، للشباب، داخل الأسرة، في العمل،في المجتمع...هذه السلوكيات تؤثر فينا وتضغط علينا من إنحراف وظلم وفساد اجتماعي وأخلاقي. وهنا الجامعة يحذر من هذا الخطر.

الخطر الثاني : القلق وعدم الصبر وضبط النفس (الأعداد ٨ و ٩) .. هنا ينتقل من ضغط البيئة إلى ضغط الزمن. إن القلق الزائد والغير ضروري أو غير الناضج، يدفع بالإنسان إلى طرق غير مدروسة وحمقاء في التعامل مع المشكلات. وهنا يدعونا الجامعة إلى فضيلة الصبر وضبط النفس حتى نستطيع أن نرى في روح الرجاء " النهاية " أي المحصلة والنتيجة النهائية للظروف الصعبة . أما إذا سمحنا للقلق الزائد ونفاذ الصبر أن يسيطر علينا، فالنتيجة أن مشاعر الغضب والسخط الدائم والاستياء، تتغلغل لتصبح مكونا من مكونات شخصية الانسان الأحمق (أم ١٤ : ١٧ ، ١٦ : ٣٢ ، يع ١ : ١٩).

إن الصبر يقود الحكيم المؤمن بأن " كل الأشياء تعمل معا للخير للذين يحبون الله "، إلى التواضع والالتجاء إلى الله ورؤية الأمور بصورة أعمق

وأبعد. إنه يبدأ البدايات السليمة حتى يرى النهايات السليمة. أما عدم الصبر فيقود الجاهل إلى " تكبر الروح " وتشامخ القلب.

يقول الرسول بولس في (رو ٥ : ٣ - ٥) " وليس ذلك فقط بل نفتخر ايضا في الضيقات عالمين ان الضيق ينشئ صبرا. والصبر تزكية والتزكية رجاء. والرجاء لا يخزي لان محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا ". ويقول الرسول يعقوب فى (يع ١ : ٢ - ٤) " احسبوه كل فرح يا اخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة. عالمين ان امتحان ايمانكم ينشئ صبرا واما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء".

إذن " نهاية أمر خير من بدايته .."، لقد بدأ يوسف كعبد وانتهى حاكما والرجل الثانى فى المملكة، ونيلسون مانديلا قضى جزءا كبيرا من حياته فى السجن (٢٧ عاما) وانتهى أول رئيس لجنوب افريقيا بعد سقوط التمييز العنصرى. إن الله يبقى أحيانا فى قيادته للظروف الخمر الجيدة إلى النهاية، وهذا يحتاج إلى الصبر الناتج عن الايمان والرجاء، كما نرى فى حياة داود ونحميا ودانيال إلى آخره. إنها دعوة لانتظار الرب فى توقيتاته الخاصة " فى وقته يسرع به ".

الخطر الثالث : الهروب من الحاضر إلى الماضى السعيد (عدد ١٠) : وهذا الخطر مهم جدا لنا كشرقيين وكعرب بالذات أن نتحذر منه. لأننا

نميل كثيراً إلى " يوتوبيا " الماضى الجميل لنسكن فيه هروباً من الحاضر، أو أن نواجه الحاضر بنفس أدوات وتفكير الماضى، أما المستقبل فهو غائب من حسابنا تماماً، مرات لسطوة الماضى، ومرات لعشوائية الحاضر " أحينى النهاردة وموتنى بكره".

قال أحدهم إن الماضى الجميل هو خليط من ذاكرة سيئة وخيال واسع. فالماضى مضى، نحن لا نستطيع أن نغيره لكننا نستطيع أن نتعلم منه، ولا نستطيع أن نعيش كل طريقة تفكيره فى مواجهة الحاضر، لأن المشكلات مختلفة والعالم والحياة متغيرة جداً. فلكل عصر فرصه وصعوباته الخاصة به.

ولذلك يقول Eaton قد يكون ضرورياً أن نقيمّ الأزمنة، أما أن نطلب بصفة خاصة أياماً ولت فهذا خطأ وحماقة. فالإنسان لا يمكنه مواجهة متاعب عصر بتعليق الآمال على آخر.

أرجع " Ginsburg " هذه الفكرة إلى حنين الاسرائيليين إلى الماضى فى مصر (خر ١٦ : ٣ ، عدد ١١ : ٥ و ٦ ، ١٤ : ١ – ٤). كما أرجع " رايت " Wright هذه الفكرة إلى اكتئاب الأجيال المتقدمة فى السن وقت بناء الهيكل الثانى (عزرا ٣ : ١٢ و ١٣).

إنها دعوة أن نتعلم من الماضى، وأن نستعد للمستقبل، ولكن عن طريق المواجهة الأمينة والحكيمة للحاضر فى نور إرشاد الله وإرادته. لذلك يقول الجامعة " لا تقل لماذا كانت الأيام الأولى خيراً من هذه. لأنه ليس عن حكمة تسأل عن هذا ". إنها مشكلة جد خطيرة، فالبلاد التى لها تاريخ طويل مثلنا، بدلاً من أن يكون التاريخ قوة دافعة للأمام، نجعل منه قيداً وثقلاً وسجناً يقيد حركتنا وانطلاقتنا. ويستسلم الأحياء لحكم الأموات واجتهادات مفكرين من عقود وقرون مضت. إنه سلطان الماضى فى حياتنا على الحاضر والمستقبل.

أما البلاد التى تربت على الحرية، والعقل الناقد للذات قبل الآخرين، والقدرة على التحليل الموضوعى للظواهر والمشكلات، وعدم الاستسلام لسلطان الماضى، فمهما تتعرض من متاعب ومتغيرات فهى قادرة على اجتيازها وتصحيح مسيرتها، لقدرتها على التجدد المستمر.

٣- نعمة الحكمة (٧ : ١١ - ١٥)

ينتهـي الجـزء السابـق بعبـارة " لأنه ليس عن حكمة تسأل عـن هذا " (٧ : ١٠)، ليذكرنا بأن كـل الأعداد السابقة تنبِّر وتركّز على الحاجة إلى الحكمة. وفى هذه الأعداد يتحدث عن نعـمة الحكمة من خلال ما تفعله فى حياة الانسان والجماعات. وهنا يذكر ثلاثة أدوار للحكمة :

الأول : الوقاية والحماية (أعـداد ١١ و ١٢).. يقـول الجامعـة " الحكمـة صالحـة مثـل الميراث بـل أفضـل لنـاظرى الشـمس. لأن الـذى فـى ظـل الحكمة هو فى ظل الفضة وفضل المعرفة هو إن الحكمة تحيى أصحابها". والأصل العبرى يمكن ترجمته بصياغتين :

أ- " الحكمة صالحة (طيبة) مع الميراث بـل أفضـل .." والمعنـى أن الميراث وإمكانيات العائلة بركة، ولكن إن لم تصاحبها حكمة من الله تجعل الانسان يرى الأمور بطريقة أفضل، فهذه الإمكانيات ستتبدد وتصبح بلا نفع.

ب- " الحكمة صالحة مثل الميراث ..". والمعنى أن الأثنين عطية من الله، وملكية خاصة لشعبه.

وسـواء كانـت " مع الميـراث " أو " مثل الميراث "، فالـذى يهـم الجامعة أن يعلنه هـو " لأن الذى فى ظل الحكمة هـو فى ظل الفضـة وفضل المعرفة هو ان الحكمة تحى أصحابها" (١٢). والإشارة هنا إلى دور

الوقاية والحماية الذى تقوم به الحكمة لأصحابها، ولكن بطريقة أعمق من الفضة والثروة إذ " تحى أصحابها ".

يقول الحكيم فى (أم ٨ : ٣٥ و ٣٦) عن دور الحكمة فى الوقاية والحماية " لأن من يجدنى يجد الحياة وينال رضى من الرب. ومن يخطىء عنى يضر نفسه. كل مبغضيى يحبون الموت". وفى (أم ١ : ٧ ، ٩ : ١٠) " مخافة الرب رأس المعرفة أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب " أيضاً (أنظر أيوب ٢٨ : ٢٨). فالحكمة التى من الله، والتى هى شخص الله فى المسيح، " الذى صار لنا حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء " (١ كو ١: ٣٠)، والحكمة التى هى فكر الله فى الكلمة (مز ١٩ : ٧) " ناموس الرب كامل يرد النفس شهادات الرب صادقة تصير الجاهل حكيما "، هى التى تبعث فينا الحياة، وهى التى تحفظ وتحمى هذه الحياة فى طريق النمو والاكتمال والنضوج، وحسن التفكير والاختيار والقرار.

الثانى : التوازن والإيمان (اعداد ١٣ و ١٤) .. هنا يقول الجامعة إن العالم بكل ما فيه من مصادر وأسباب فرح أو معاناة، بركات أو شرور وانحرافات، كلها من طبيعة هذا العالم، وكلها ليست بعيدة عن الله الذى هو سيد هذا العالم (انظر رو ٨ : ٢٠). ولذلك من الحكمة أن لا تصارع حقائق الحياة والطبيعة التى وضعها الله " لأنه من يقدر على تقويم ما قد عوجه " (١٣) (انظر ١٠ : ١٥)، لأننا لا نستطيع أن نغير التركيب الأساسى لهذه الأمور، ولأننا لا نستطيع أن نفهم كل أعمال الله" انظر عمل الله ". وفى (جا ١١ : ٥) " كما أنك لست تعلم ما هى طريق الريح ولا كيف العظام

فى بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الذى يصنع الجميع". وإن كان العلم الحديث استطاع أن يفك رموز هذه الأمور إلا أن ما يجهلـه الإنسان أكبر بكثير مما يعلمه، ولكننا نعلم أن الله " صنع الكل حسنا في وقته وأيضا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الانسان العمل الذي يعمله الله من البداية الى النهاية." (٣ : ١١).

وعلى هذا الأساس يدعونا الجامعة إلى حياة الإيمان والثقة بعناية الله، فيقول " في يوم الخير كن بخير" افرح به وأشكر الله عليه " وفى يوم الشر اعتبر " تعلم من الظروف أو تحذر وانتظر الرب وثق به وتأمل فى رحمته ووعـــوده وقم بما يجب عليك القيام به. فهذه هى طبيعة الحياة والأشياء " إن الله جعل هذا مع ذاك لكيلا يجد الانسان شيئا بعده".

وهنا دعوة إلى حياة التوازن المبنى على الايمان ودور الحكمة التى من الله أنها تحفظنا فى الظروف الصعبة من الإحباط واليأس، وفى الظروف الطيبة من الغرور والكبرياء والضياع. إنها تحدث فى داخلنا بواسطة الظروف المختلفة التى يسمح بها الله لنا، قدراً من التوازن الناضج الذى يدعو إليه كل سفر الجامعة. فالبركات تجعلنا سعداء فرحين، والضغوط تحفظنا ودعاء متضعين. وهذا التوازن بين " هذا " و " ذاك " يجعلنا مثبتين أنظارنا على شخص الله وحده الذى بيده كل أمرنا " لكيلا يجد الانسان شيئاً بعده " أى بعد الله.

الثالث : التكيف والتعايش (عدد ١٥) :

" قد رأيت الكل فى أيام بُطلى. قد يكون بار يبيد فى بره وقد يكون شرير يطول فى شره". وفى هذه الكلمات يقول الجامعة إنه قد رأى فى " أيام بُطله " أو فى " حياته الباطلة " تحت الشمس، كل متناقضات الحياة وشذوذها، لأنها خاضعة للبُطل. ولقد حيرت هذه المتناقضات كثيرين من رجال الكتاب المقدس مثل أيوب، داود (مزمور ٣٧)، آساف (مزمور ٧٣)، حبقوق (١ : ١٣ – ١٧). وأثارت العديد من الأسئلة حول عدل الله وكلمة الله ووعوده. ومازالت هذه المتناقضات تحير وتثير علامات استفهام. لكن الرب يسوع لم يعدنا بحياة خالية من المعاناة، وفى عظته على الجبل بدأها بالقول " طوبى للمساكين بالروح طوبى للحزانى... " (مت ٥: ٣و٤) . حتى أن عالماً مثل فرنسيس بيكون (١٥٦١– ١٦٢٦) كتب يقول " النجاح هو بركة العهد القديم، والمعاناة هى بركة بركة العهد الجديد".

على أن الجامعة لم يقصد أن يمحو أو حتى يفسر أو يعلل شذوذ الحياة هنا ومتناقضاتها، بل يقصد ببساطة أو يواجه المؤمن الحياة فى هذا العالم كما هى فى حقيقتها، وأن يتكيف ويتعايش معها. والذى يساعده على هذا التكيف والتعايش، ليس فقط قبول الحياة كما هى، بل أن ينظر إلى المتناقضات نظرة أعمق وأبعد. أى أن ينظر إلى " نهاية " الشرير مهما كان نجاحه الظاهرى والزمنى. هذه النهاية التى تشهد بها كلمة الله، والتى

رآها رجال الله وسط معاناتهم، فقادتهم إلى حكمة التكيف الإيجابى والتعايش الناضج، وهذا هو دور الحكمة التى من الله.

يقول آساف فى (مزمور ٧٣ : ١٦ و ١٧) " فلما قصدت معرفة هذا إذا هو تعب في عيني. حتى دخلت مقادس العلي وانتبهت إلى آخرتهم". من جانب آخر يشجع الرسول بولس المؤمنين فى (٢ كو ٤ : ١٦ - ١٨) " لذلك لا نفشل بل وإن كان إنساننا الخارج يفنى فالداخل يتجدد يوما فيوما. لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبديا. ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل الى التي لا ترى لان التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية".

ومرة أخرى يحذرنا Kaiser أن " لا نحكم على الكتاب من عنوانه"، ويقول لنا Eaton " من سبق تحذيره سبق تسليحه".

القسم الثانى

التقييم المناسب لشخصية الإنسان

(٧ : ١٦– ٢٩)

" لا تكن باراً كثيراً و لا تكن حكيما بزيادة لماذا تخرب نفسك. لا تكن شريراً كثيراً و لا تكن جاهلا لماذا تموت في غير وقتك. حسن أن تتمسك بهذا و أيضا أن لا ترخي يدك عن ذاك لأن متقي الله يخرج منهما كليهما. الحكمة تقوي الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة. لأنه لا إنسان صديق في الارض يعمل صلاحا و لا يخطئ. أيضا لا تضع قلبك على كل الكلام الذي يقال لئلا تسمع عبدك يسبك. لأن قلبك أيضا يعلم أنك أنت كذلك مرارا كثيرة سببت آخرين. كل هذا امتحنته بالحكمة قلت أكون حكيما أما هي فبعيدة عني. بعيد ما كان بعيدا و العميق العميق من يجده. درت أنا و قلبي لأعلم و لأبحث وأطلب حكمة و عقلا ولأعرف الشر أنه جهالة و الحماقة إنها جنون. فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك و قلبها أشراك و يداها قيود الصالح قدام الله ينجو منها أما الخاطئ فيؤخذ بها. أنظر هذا وجدته قال الجامعة واحدة فواحدة لاجد النتيجة. التي لم تزل نفسي تطلبها فلم أجدها رجلا واحدا بين ألف وجدت أما إمراة فبين كل أولئك لم أجد. أنظر هذا وجدت فقط ان الله صنع الإنسان مستقيما أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة".

ينتقل الجامعة فى هذا القسم إلى التقييم المناسب لشخصية الإنسان. وهو يرى كما حدث فى تقييم الظروف فى القسم الأول أن التقييم المناسب لشخصية الانسان، يساعد فى توضيح المتناقضات الظاهرة فى العناية الإلهية. وكما دعانا أن ننظر إلى الظروف من الداخل والعمق وليس من السطح والشكل الظاهر الخارجى، يدعونا أن ننظر إلى الانسان أيضاً نظرة أعمق، فلا نتوقف فقط أمام الشكل الخارجى الذى يخدعنا مرات، ويدفعنا إلى الأحكام المتسرعة مرات أخرى.

وفى هذه الأعداد يطرح تقييمه كالتالى :

- مخاطر الطريق ٧ : ١٦ – ١٨ .
- دعم الحكمة ٧ : ١٩ – ٢٢.
- نتيجة البحث ٧ : ٢٣ – ٢٩ .

١- مخاطر الطريق (٧ : ١٦ - ١٨)

أ- المخاطر (٧ : ١٦ و١٧) :

هذه الأعداد من أكثر الأجزاء التى تعرضت لسوء الفهم والتفسير فى كل سفر. فالبعض يظن أن الجامعة يدعو إلى قدر من المساومة و الحلول الوسط بالنسبة للقيم الأخلاقية وأنه لا يتمسك بقوة بالأخلاقيات. لكن عدداً كبيراً من الباحثين والدارسين للعهد القديم استندوا إلى دراستين الأولى صدرت عام ١٩٦٨ وكتبها جورج كاستيلينو George R.Castellino بعنوان " الجامعة وحكمته"، والثانية صدرت ١٩٧٨ وكتبها " هواى براى R.N.Whybray . وفى هاتين الدراستين أكد الكاتبان أن الصيغة العبرية للفعل الثانى فى (عدد ١٦) " ولا تكن حكيماً زيادة"، والتى تتبعها الأفعال الأخرى الموجودة فى (عددى ١٦ و١٧) هى صيغة إنعكاسية أى أنها تعطى المعنى العكسى reflexive action .

وعلى هذا الأساس اللغوى من ناحية، وبإضافة القرينة الموجودة فى (جا ٧ : ٢٠) " لأنه لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء" من ناحية ثانية، نجد أن الجامعة لا يحذر من المزيد من حياة البر الحقيقى، بل هى طريقة تهكمية يحذر فيها من البر الذاتى، من ما يظنه الإنسان فى نفسه أنه أبر من غيره. أو كما يقول Eaton إنه يحذر من الشخص الذى " يلعب دور الرجل البار أو الحكيم"، أو الذى يتظاهر بالبر

أو الحكمة. وهو نفس المعنى الذى جاء فى (أم ٣ : ٧)" لا تكن حكيماً في عيني نفسك .." (أنظر أيضا مت ٢٣ : ٦ و ٧).

إذن يحذر الجامعة فى (عددى ١٦ و ١٧) من خطرين، الأول خطـر البر الذاتى والحكمة الزائفة أو الفريسية (عدد ١٦)، والثانى خطر التسيب الأخلاقى أو الانغماس فى الشر (عدد ١٧) البر الذاتى يؤدى إلى تدمير النفس، والانغماس فى الشر يقود إلى الموت والهلاك قبل الأوان " وأنت يا الله تحدرهم الى جب الهلاك رجال الدماء والغش لا ينصفون أيامهم اما أنا فأتكل عليك "(مز ٥٥: ٢٣).

ب. المخرج (٧ : ١٨) :

ثم يأتى فى (عدد ١٨) ويقدم المخرج من هذه المخاطر فيقول "حسن أن تتمسك بهذا وأيضاً أن لا ترخى يدك عن ذاك لأن متقى الله يخرج منهما كليهما ". هذا المخرج الحسن، يتمثل فى أمرين متلازمين فى حياة الانسان. الأول هو أن نعى ونرى هذه المخاطر بوضوح، مخاطر قناع البر الذاتى الزائف، والاندفاع والانغماس فى الشر، والتدمير والهلاك الناتج عنهما. والثانى أن نعى ونرى البر الحقيقى والحكمة الحقيقية، وأن نتمسك بهما بقوة.

والطريق والمخرج للحماية من هذه المخاطر من ناحية، وللتمتع بالبر الحقيقي والحكمة الحقيقية من ناحية أخرى، هو خوف الله " لأن متقى

الله يخرج منهما كليهما". وخوف الله وتقواه رأس الحكمة وبداية المعرفة (أم ١ : ٧ ، ٩ : ١٠)،وحلقة الوصل بين العهد القديم والعهد الجديد (رؤ ١٥ : ٤) " من لا يخافك يارب ويمجد اسمك لأن وحدك قدوس لأن جميع الأمم سيأتون ويسجدون أمامك لأن أحكامك قد أظهِرت".

خوف الله إذن، والذى هو نتيجة للعلاقة الصحيحة والنامية مع الله ومع كلمته، والذى يدفع الإنسان مسروراً إلى طاعته، هو طوق النجاة الوحيد. وهو الذى ينتشل الإنسان والجماعة من الانغماس فى الشر، والاندفاع والاستمرار فيه. وهو الذى يسقط أقنعة الرياء والبر الذاتى المدمر. فى (مت ٢٣ : ٢٣) يحذر الرب يسوع الكتبة والفريسيين فيقول " ويل لكم أيها الكتبة و الفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع و الشبث و الكمون وتركتم اثقل الناموس الحق والرحمة والايمان كان ينبغي ان تعملوا هذه ولا تتركوا تلك". وفى ترجمة (TEV) جاءت عبارة " لأن متقى الله يخرج منهما كليهما" بهذه الصيغة " لأنك إذا كنت تخاف الله ستخرج ناجحاً فى كل الأحوال ".

٢- دعم الحكمة (٧ : ١٩ - ٢٢)

يعود الجامعة فى هذه الأعداد إلى الحكمة، التى هى الجانب التطبيقى لفكرة خوف الله التى طرحها فى الفقرة السابقة. وكما تحدث عن

الحكمة ودورها في مواجهة الظروف (٧ : ١١ – ١٥)، وكما تحدث عن الحكمة ودعمها لشخصية الانسان، من خلال:

- دعم القوة الداخلية (عدد ١٩).
- إدراك الطبيعة الانسانية (عدد ٢٠).
- عدم الاهتمام بالأقاويل البشرية (أعداد ٢١ و ٢٢).

وسوف نتوقف أمام كل عمل على حدة ..

أ- دعم القوة الداخلية (عدد ١٩) :

يقول الجامعة " الحكمة تقوى الحكيم أكثر من عشرة مسلطين الذين هم في المدينة ". والمقصود بعبارة " عشرة مسلطين " هم الحكام أو المسئولون في المدينة كأعضاء مجلس المدينة مثلاً. والآية في الترجمة العالمية الجديدة (NIV) تترجم " الحكمة تجعل الحكيم أقوى من عشرة حكام في المدينة". لماذا؟ وما هو السر ؟ يجيب على ذلك Eaton بقوله : إن الحكمة التي في مخافة الله قد تكون أعظم من الحكمة المجتمعية لمجموعة من القادة المختبرين، إن الحاجة إلى القوة التي من الداخل أكبر من الحاجة إلى النصح الذى من الخارج.

أى أن الحكمة التي هي مخافة الله والحياة في رضاه، تدعيم الانسان الذى يتقى الله بقوة داخلية كبيرة يسنده في المواقف، وترشده إلى

الصواب والاتجاه الصحيح. يقول الحكيم فى (أم ٢٤ : ٥) " الرجل الحكيم فى عز وذو المعرفة متشدد القوة " (انظر مزمور ١١٢).

ب - إدراك الطبيعة الانسانية (عدد ٢٠) :

هذه الحكمة أفضل للحكيم، لخائف الله، من عشرة مسئولين فى المدينة، ليس فقط بسبب دعمها الداخلى، ولكن أيضاً بسبب الإدراك الأكيد لحقيقة الطبيعة الإنسانية. وهنا يقول الجامعة فى صيغة قاطعة " لأنه " أى " بالتأكيد " " لا إنسان صديق فى الأرض يعمل صلاحاً ولا يخطىء ". وهى كلمات تحمل صدى ما جاء على لسان سليمان فى (امل ٨ : ٤٦) " ... لأنه ليس إنسان لا يخطىء ..".

ويقول كيدنر Kidner إن هذه الحقيقة إعتراف بطبيعة الانسان، وليست تبريراً لأخطائه. ويقول الرسول بولس فى رسالته إلى رومية " فماذا إذا. أنحن أفضل . كلا البتة. لأننا قد شكونا أن اليهود واليونانيين أجمعين تحت الخطية. كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو ٣ : ٩ - ١٢).

والسؤال هنا: إذن ما هو فضل الحكمة؟ طالما أن هذه هى طبيعة الانسان؟. يقول كايزر Kaiser إن فضل الحكمة يظهر فى جانبين. الأول أن لا نتعجل فى تقييمنا وحكمنا على الناس، فمن يظهرون أتقياء ربما يكونون غير ذلك، واله وحده هو الذى يعرف القلوب. وبالتالى لا

نتعجل فى الشك والحكم على عناية الله أنها غير عادلة. هذا هو الجانب الأول، أما الجانب الثانى لدعم وفضل الحكمة فى حياة خائفى الرب، أنه برغم طبيعية الانسان هذه، لكن خوف الله يمنح الانسان المؤمن قوة للإرادة وضبطاً للنفس فى الصراع ضد الخطية.

ج- عدم الاهتمام بالأقاويل البشرية (أعداد ٢١ و ٢٢) :

والحاجة إلى دعم الحكمة التى من الله لا تظهر فقط فى دعمها الداخلى فى مواقف الحياة (١٩)، ولا فى المواجهة فقط فى الخطية وطبيعة الانسان (٢٠)، بل أيضاً فى موقفنا من كلام الآخرين وأقاويلهم. فالطبيعة البشرية التى أشرنا إليها فى العدد العشرين، تظهر بصورة واضحة فى الأقاويل البشرية ومذمة الآخرين، والتى تعبر عن الحقد والقسوة والظلام والقبح الداخلى. ويقول الرسول يعقوب " لاننا في اشياء كثيرة نعثر جميعنا ان كان احد لا يعثر في الكلام فذاك رجل كامل قادر ان يلجم كل الجسد أيضا " (يع ٣ : ٢).

لذلك من الحماقة أن نعطى اهتماماً زائداً لأقاويل الناس، حتى لا نفقد سلامنا وهدوءنا من ناحية، وحتى نتفرغ لأعمالنا التى دعانا الله أن ننجزها من ناحية أخرى . لكن الحكمة التى من الله تدعونا " أيضاً لا تضع قلبك على كل الكلام الذى يقال ". لماذا ؟ أولاً لأن الناس لا تتوقف عن الكلام واغتياب الآخرين، فيقول الجامعة " لئلا تسمع عبدك يَسبُّك ".

حتى العبد، أى الذى يعيش ويعمل معك وتحت إمرتك. ثانياً، كما يقول إيتون Eaton، لأن اختبارنا الشخصى دليل كاف على أن هذه الأقاويل تنبع من طبيعة الإنسان الخاطئة، وهى فى أغلب الأحيان ليست فى محلها. وهذه الحقيقة يؤكدها الجامعة بالقول فى (عدد ٢٢) " لأن قلبك ايضا يعلم انك انت كذلك مرارا كثيرة سببت آخرين " (انظر مزمور ٣٨).

وأقاويل الناس مرض خطير فى المجتمع، وخطية وجريمة أخطر فى الوسط الكنسى. إنها أوضح تعبير عن الطبيعة الخاطئة داخل الإنسان، ومن هنا جاءت الدعوة ان لا ننشغل بما يقوله الناس عنا، وفى نفس الوقت نستشعر دينونة الله للمشاركين فى هذه الأقاويل، وللساقطين فى هذا المرض الخطير. ودينونة الله واضحة فى كل الكلمة المقدسة حتى نتحذر ونتطهر منها. ولنأخذ كلام مريم وهرون على موسى وما حدث لهما نموذجاً من العهد القديم فى سفر العدد الأصحاح الثانى عشر، وفى العهد الجديد لنتوقف أمام تعليم المسيح فى الموعظة على الجبل فى (مت ٧ : ١ – ٥) " لا تدينوا لكي لا تدانوا. لانكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون و بالكيل الذي به تكيلون يكال لكم. و لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك و أما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها. أم كيف تقول لأخيك دعني اخرج القذى من عينك و ها الخشبة في عينك. يا مرائي اخرج أولا الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى من عين أخيك". وفكر الرسول بولس فى (رو ١٤ : ٤) " من أنت الذى تدين عبد

غيرك. هو لمولاه يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته". وفي (١كو ٤ : ٣ - ٥) " وأما أنا فأقل شيء عندي أن يحكم في منكم أو من يوم بشر. بل لست أحكم في نفسي أيضا. فأني لست أشعر بشيء في ذاتي. لكنني لست بذلك مبررا ولكن الذي يحكم في هو الرب. إذا لا تحكموا في شيء قبل الوقت حتى يأتي الرب الذي سينير خفايا الظلام ويظهر آراء لقلوب. وحينئذ يكون المدح لكل واحد من الله". ولنرفع قلوبنا في النهاية إلى الله مع المرنم مصلين " اجعل يارب حارساً لفمي. احفظ باب شفتي" (مز ١٤١ : ٣).

٣ - نتيجة البحث (٧ : ٢٣ - ٢٩)

في سياق حديث الجامعة، وهو يختم القسم الثاني من المناقشة الثالثة، أقول في سياق حديثه عن تقييم شخصية الانسان، مرتكزاً على فكرة هامة وحقيقة مركزية هي حقيقة الحكمة، يتحدث الجامعة في هذه الأعداد عن نتيجة بحثه في الأفكار التالية:

- آفاق الحكمة (أعداد ٢٣ و ٢٤)
- لغز الانسان (عدد ٢٥)
- الرجل والمرأة (أعداد ٢٦ - ٢٨)
- النتيجة (عدد ٢٩)

أولاً : آفاق الحكمة (أعداد ٢٣ و ٢٤)

يقرر الجامعة هنا، بعد عبوره وارتياده العديد من مشاكل الحياة بالحكمة التي له من الله، أن آفاق الحكمة وأوسع وأعلى من مدارك الإنسان. وأن الانسان المحدود مهما أعطى من حكمة لن يستطيع أن يفهم هنا كل أعمال الله في العالم، وكل مقاصده السامية في إدارة شئون البشر. وأن الحكيم فعلاً هو الذى يدرك ذلك، أن الحكمة " الكاملة " بعيدة عنه. ولذلك يقرر الجامعة " ...قلت أكون حكيما أما هى فبعيدة عني. بعيد ما كان بعيداً والعمق من يجده ". أى من الذى يفهم كل مخططات الله ومقاصده العميقة جداً؟

وفى الأصحاح الثامن يؤكد الجامعة هذه الحقيقة فيقول فى (٨ : ١٦ و١٧) " لما وجهت قلبي لاعرف الحكمة و انظر العمل الذي عمل على الأرض و انه نهارا و ليلا لا يرى النوم بعينيه. رايت كل عمل الله ان الانسان لا يستطيع ان يجد العمل الذي عمل تحت الشمس مهما تعب الإنسان في الطلب فلا يجده و الحكيم ايضا و ان قال بمعرفته لا يقدر أن يجده" (انظر أيضا ٣ : ١١).

وفى العهد الجديد يترنم الرسول بولس بهذه الحقيقة بعد كل ما قدّمه من تعليم فى الأصحاحات ١ – ١١ من رسالة رومية فيقول " يا لعمق غنى الله و حكمته و علمه ما أبعد أحكامه عن الفحص و طرقه عن

الاستقصاء. لأن من عرف فكر الرب أو مـن صار لـه مشيرا. أو مـن سـبق فأعطاه فيكافأ. لان منه و به و لـه كـل الاشياء لـه المجـد الى الابـد آمـــــين" (رو ١١ : ٣٣ – ٣٦). ألا تقـود هـذه الحقيقـة الإنسـان إلى الحكمة الحقيقية حكمة الاتضاع قدّام الله " قد أخبرك أيها الإنسـان مـا هو صالح ومـاذا يطلبه منـك الرب إلا أن تصنع الحق وتحب الرحمـة وتسلك متواضعـاً مـع إلهـك " (ميخـا ٦ : ٨). حتـى فـى عصـر ثـورة المعلومات والاكتشافات العلميـة الهائلـة ستظل دائمـاً الحـدود التـى لا يستطيع الإنسـان أن يتخطاهـا، وسـيزداد حجـم المجـهول الـذى لا نعرفه،لأن الكون يتسع والإنسان يتضاءل.

ثانياً : لغز الإنسان (عدد ٢٥)

والقصد لغز الشخصية الإنسانية فالجامعة بعد أن أعلن عن تصور حكمته، قاده هذا الاعلان إلى تأكيد طبيعة الانسان وشخصيته مرة أخرى. ولقد اجتهد الجامعة وبحث طويلاً، وهذا واضح فـى قولـه " درت أنـا وقلبـى لأعلم ولأبحث ولأطلـب.." أى أنـه توقـف طويلاً أمام لغز الشـخصية الانسانية، وكانت النتيجة زحام مـن الكلمات والمصطلحـات كمـا يقول ايتون Eaton – مثل يعلـم، يبحـث، يطلـب، حكمـة، عقـل، شـر، حماقة، جهل، جنون. وهذا السيل من المصطلحات يؤكد لغز الشخصية الإنسانية.

والجامعة يحذرنا، كما سبق وحذرنا أن لا نحكم على الظروف من خارجها، أن لا نحكم أيضاً على الإنسان بسرعة، وأن لا نظن أن داخل الإنسان يطابق دائماً ما نفتكر عنه. وكما أن الحكمة المطلقة لفهم كل أعمال ومقاصد الله فى العالم بعيدة عنا، هكذا محاولة فهم كل ما بداخل اللغز الانسانى بعيدة عنا أيضاً. ومن الحكمة أن ندرك ذلك، فلا نتسرع فى الأحكام، فالأيام قد تكشف لنا شيئاً آخر لا نعرفه. يقول الله فى (تك ٨ : ٢١) " لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته". ويقول النبى إرميا " القلب أخدع من كل شئ وهو نجيس من يعرفه" لماذا؟ لأن الخطية أفسدت الإنسان من الداخل، وقتلت براءته وبساطته، وحولته إلى شئ آخر.

ثالثاً : الرجل والمرأة (أعداد ٢٦ - ٢٨)

وعندما تعرض الجامعة للآثار المدمرة للخطية على الجنس البشرى كله، يعرض فى هذه الأعداد هذا التأثير المدمر فى حياة وشخصية الرجل والمرأة. ولأن الفكرة الرئيسية التى ينطلق منها فى (الأعداد ١٩ - ٢٩) هى فكرة الحكمة، ولذلك يريد الجامعة أن يقول إنه نتيجة لما فعلته الخطية بالشخصية الإنسانية، فالذين يكتشفون الحكمة ويعيشون فى نورها فى غاية الندرة.

لكن الأمر الذى نتوقف عنده، أن الجامعة فى هذا الجزء يُخرج المرأة كلية من هذه الندرة، فيقول فى (عدد ٢٨) " رجلاً واحد بين ألف وجدت. أما امرأة فبين كل أولئك لم أجد" حتى أن البعض وصفه بأنه كاره للمرأة " A woman hater" ومتأثر بالبيئة والحضارة التى نشأ فيها. فهل كان الجامعة حقاً كارهاً للمرأة ؟ بالقطع لا، فلم تكن هذه هى مشكلته أبداً لأكثر من سبب :

١- حديثه عن العلاقة الزوجية بين الرجل والمرأة فى (جا ٩ : ٩) فيقول " التذ عيشاً مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك التى أعطاك أياها تحت الشمس كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك التى أعطاك آياها تحت الشمس كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس"
٢- التقدير العالى والأحترام الكبير للمرأة الفاضلة فى كتب الحكمة مثل ما جاء فى سفر الأمثال (١٢ : ٤، ١٤ : ١، ١٨:٢٢، ١٩ : ١٤، ٣١ : ١٠)، وبكل تأكيد فى نشيد الأنشاد.
٣- فى سفر الأمثال نجد الحديث عن حكمة الله كثيراً ما يصورها ويجسدها كامرأة جميلة (أم ١ : ٢٠، ٨: ١ ، ٩ : ١).
٤- يمتلىء التاريخ اليهودى بشخصيات نسائية قيادية مثل دبورة القاضية، وحنة التقية، ومريم النبية.

إن كان هذا هو الموقف فمن هى المرأة المقصودة إذن فى هذا النص ؟ الأمر واضح إذا عدنا إلى (عدد ٣٦)، فهو يتحدث عن نوعية

خاصة من النساء. نوعية أكثر مرارة من الموت، تسيطر عليها غرائز الصياد " هى شباك (فخاخ) وقلبها (شخصيتها) أشراك" وقوة الاندفاع إلى ما تريد " ويداها قيود ". هذه النوعية الشريرة هى تجسيد للشر والحماقة، مقابل صورة الحكمة المرأة. وهى التى اطلق عليها سفر الأمثال فى الأصحاحات الأولى من الول حتى التاسع " المرأة الأجنبية " (انظر أم ٢ : ١٦ – ١٩ ، ٥ : ٣ – ٦ ، ٦ : ٢٤ – ٢٦ ، ٧ : ٥ – ٢٧). ولقد تعرض سليمان لفخاخ وشراك النساء الغريبات اللواتى أملن قلبه بعيدا عن الله وعبادته، فذهب وأقام المرتفعات لآلهة أخرى . وكانت النتيجة أن غضب الرب على سليمان، وأصدر حكمه بتمزيق المملكة عنه (١ مل ١١ : ١ – ١٢)

والدرس الأول الذى يريد الجامعة أن يقدمه لنا لا يكمن فى ما وجده، فنتوه فى الكلام عن الرجل والمرأة، بل فى ما افتقد وجوده . إنه افتقد وجود الحكمة والحياة فى خوف الله، ورأى أنها نادرة عند الإنسان عموما، بسبب الخطية التى أفسدت الكيان الانسانى. فعاش الإنسان يفسد ويدمر كل شئ حوله حتى الآن، من علاقات إلى بيئة إلى مصادر الطبيعة، وهذا ما يعانيه كل العالم الآن.

والدرس الثانى أن الشخص الذى يختبر الإيمان العميق والحى بالله، والذى يتجه كل يوم ان يحيا فى رضاه، هو الذى يعطيه الله الحكمة

والقدرة على إدراك الفخاخ والشباك والأشراك حوله. يقول الجامعة فى (عدد ٢٦) " ..الصالح قدّام الله ينجو منها. أما الخاطئ فيُؤخَذ بها ".

رابعاً : النتيجة (عدد ٢٩)

يختم الجامعة هذه الفقرة باستنتاج عام عن الإنسان والطبيعة البشرية عموماً. ويبدأ بجذب ولفت الانتباه إلى الحقيقة الواضحة التى أنتهت إليها فى قوله " أنظر"، ،إن هذه الحقيقة مطابقة تماماً للواقع العملى الذى رآه فى الحياة فى قوله " هذا وجدت".

أما الحقيقة التى ينتهى إليها، أننا لا نستطيع أن نلوم أحداً على ندرة الحكمة، وعلى حال الإنسان، إلا الإنسان نفسه. وهنا عاد الجامعة إلى قصة الخلق، وكيف " أن الله صنع الإنسان مستقيماً". وهى كلمة تشير إلى القلب المطبوع على الإيمان والطاعة. لكن حالة الاستقامة الأصلية لم تدم طويلاً كما نعلم (تك ٣ : ١ - ٧ مع رو ٥ : ١٢)، وبدخول الخطية اتجهت حياة الانسان لا إلى " الاستقامة" بل إلى " الانحراف" فيقول الجامعة" أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة ".

وكلمة " اختراع " أو " اختراعات" devices، وكذلك كلمة " طلبوا" تشير إلى سعى مقصود وملح نحو الانحراف المتعدد الأشكال والمظاهر

" اختراعات كثيرة" يقول النبى إشعياء فى (٥٣ : ٦) " ملنا كل واحد إلى طريقة".

وكما أن Eaton يوافق مع الجامعة أن المسئول عن هذا التحول من الاستقامة إلى الانحراف، هو الانسان نفسه، وكذلك يؤكد Kidner نفس الحقيقة فيقول : إن انحرافاتنا الأخلاقية، وفسادنا الأدبى، ورفضنا الطريق الصحيح والمستقيم، ومسئوليتنا وخطيتنا وخطؤنا وليس قدرنا "our fault not our fate" وهو يؤكد ذلك فى مواجهة ما جاء فى بعض النصوص البابلية من أن اللوم على شر وانحراف الإنسان، يقع على الآلهة لا على الإنسان نفسه.

مرة أخرى يريد الجامعة أن يقول لنا إن الإنسان مسئول عن حياته وتصرفاته، وأن الحياة ملآنه بالشر والشباك من حولنا فى هذا العالم، لكن الصالح قدام الله هو الذى ينجو منها وينتصر عليها. فالحكمة التى من الله تجعل الحياة أفضل وأوضح وأقوى. ونحن لا نستطيع بالطبع أن نفهم كل أعمال الله، لكننا كمؤمنين نملك الحكمة الكافية التى تجعلنا نعيش لمجد الله ونفع الآخرين.

القسم الثالث

دور الحكومة الصالحة

(٨ : ١ – ١٤)

" من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر حكمة الانسان تنير وجهه وصلابة وجهه تتغير. أنا أقول احفظ أمر الملك وذاك بسبب يمين الله. لا تعجل إلى الذهاب من وجهه لا تقف في أمر شاق لأنه يفعل كل ما شاء. حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان ومن يقول له ماذا تفعل. حافظ الوصية لا يشعر بأمر شاق وقلب الحكيم يعرف الوقت والحكم. لأن لكل أمر وقتا وحكما لأن شر الانسان عظيم عليه. لأنه لا يعلم ما سيكون لأنه من يخبره كيف يكون. ليس لإنسان سلطان على الروح ليمسك الروح ولا سلطان على يوم الموت ولا تخلية في الحرب ولا ينجي الشر أصحابه. كل هذا رأيته اذ وجهت قلبي لكل عمل عمل تحت الشمس وقتما يتسلط إنسان على إنسان لضرر نفسه. وهكذا رأيت أشرارا يدفنون وضموا والذين عملوا بالحق ذهبوا من مكان القدس ونسوا في المدينة هذا أيضا باطل. لأن القضاء على العمل الرديء لا يجرى سريعا فلذلك قد أمتلأ قلب بني البشر فيهم لفعل الشر. الخاطئ وإن عمل شرا مائة مرة وطالت أيامه إلا أني أعلم إنه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه. ولا يكون خير للشرير وكالظل لا يطيل أيامه لأنه لا يخشى قدام الله. يوجد باطل يجري على الأرض أن يوجد صديقون

يصيبهم مثل عمل الأشرار ويوجد أشرار يصيبهم مثل عمل الصديقين فقلت أن هذا أيضا باطل. "

فى هذا القسم الأخير من المناقشة الثالثة، يقول الجامعة إن محاولة فهم المتناقضات الظاهرة فى خطة العناية الإلهية، لا تعتمد فقط على التقييم المناسب للظروف كما رأينا فى القسم الأول (٦ : ١ – ٧ : ١٥)، أو على التقييم المناسب لشخصيـــة الإنسان كما رأينا فى القسم الثانى (٧ : ١٦ – ٢٩)، بل أيضاً على دور الحكومة الصالحة فى المجتمعات الإنسانية (٨ : ١ – ١٤) .

فالهدف من أى نظام حاكم هو حفظ الأمن والنظام وإرساء الحق والعدل، وتأمين المتطلبات الأساسية للناس، وتخفيف أعباء وضغوط الحياة القاسية، حتى يتمكن الناس من حياة كريمة هادئة. لكن هل كل النظم والحكومات صالحة وعادلـــة ؟ (أنظر نماذج مثل ما يحدث لشعب وقدرات وأطفال العراق والســودان .. وما يحدث فى روسيا .....) ، وما هو الموقف الصحيح من النظام الحاكم؟، وما هو دور وفعل الحكمة فى سلوك الانسان ومواقفه ؟

على هذه الأسئلة وغيرها، يقدم الجامعة الإجابة من خلال تصويره لخادم الملك الذى عليه أن ينفذ أوامره، وهو خادم حكيم يحسن السلوك والتصرف، ولكن مرات تكون الأوامر غير صالحة وهنـا ينشأ

الصراع داخل الخادم حول الموقف الصحيح. والجامعة يعرض هذا المشهد فى الأفكار التالية ..

- حكمة الانسان (١) .
- الطاعة والولاء (٢ – ٥ أ) .
- التمييز والاختيار (٥ ب – ٦) .
- الحيرة والعجز (٧ – ٨) .
- الاستبداد والمظالم (٩ – ١١ و ١٤).
- يقين الإيمان (١٢ – ١٣).

١- حكمة الإنسان (عدد ١) :

يرى البعض أن هذه الآية تتبع القسم السابق أو الأصحاح السابق كله، الذى يتحدث الجامعة فى جزء منه عن معاناة الظروف، ويتحدث فى الجزء الآخر عن الطبيعة البشرية وشخصية الانسان. لكن البعض الآخر يراها مدخلاً لهذا القسم الذى يتحدث عن حكمة إتخاذ الموقف الصحيح أمام السلطة.

يقول الجامعة " من كالحكيم ومن يفهم تفسير أمر .. ". وكلمة " تفسير " جاءت أيضاً بمعنى " حل "، وبالتالى يكون معنى السؤال : أين هو الحكيم الذى يميز طريقه ويجد حلاً لهذه الأمور والمشكلات؟ وهناك

صياغة مماثلة فى (هو ١٤ : ٩)" من هو حكيم حتى يفهم هذه الأمور وفهيم حتى يعرفها. فإن طرق الرب مستقيمة والأبرار يسلكون فيها. وأما المنافقون فيعثرون فيها" . والعبارة إشارة إلى خادم الملك الذى يواجه المواقف الصعبة التى أشرنا إليها. ثم يضيف " .. حكمة الانسان تنير وجهه وصلابة وجهه تتغير "، أى أن حكمة الخادم تعبر عن نفسها بنعمة الإشراق التى ترتسم على وجهه. وفى البركة الكهنوتية نجد عبارة " يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك" (عدد ٦ : ٢٥). وفى (مزمور ٦٧ : ١) " ليتحنن الرب علينا وليباركنا لينير بوجهه علينا ".

إنها رسالة نعمة وجه الحكيم، خائف الرب التى تملأ وجهه بالنور والإشراق والرضى، وتغير فيه هو قبل أن تغير فى السامعين، فيقول الجامعة " وصلابة وجهه تتغير "، أى صلابة وقساوة التصميم على أفكاره وطرقه الخاصة، تتغير إلى دماثة ووداعة ولطف وفهم. كم نحتاج فى دوائر علاقاتنا المختلفة إلى حكمة الله التى تهب النعمة المغيرة، والتى تملأ الوجه القاسي بالنور والوداعة، وتوجه السلوك بالحكمة والمحبة واللطف.

٢- الطاعة والولاء (أعداد ٢ - ٥ أ) :

على أن هذا التغيير الذى تحدثه الحكمة ومخافة الرب فى الخادم الحكيم، والذى يظهر على وجهه كتعبير عن التغيير الذى حدث فى

داخله، هذا التغيير يأتى بالقطع نتيجة صراع داخلى بحثاً عن الموقف الصحيح، الذى يجب أن يتخذه هذا الخادم أو الرعية عموماً إزاء الملك الذى يمثل السلطة. وفى غمرة هذا الصراع، يأتى الجامعة ويشير إلى الموقف الصحيح الذى يجب أن يُتخَذ فيقول فى الجزء الأول من العدد الثانى " أنا أقول احفظ أمر الملك ..". وسواء ذكرت بعض الترجمات الفعل " أقول " أو " انصح "، أو تجاهلته بعض الترجمات الأخرى، فهذا لا يغير من الموقف الذى يتبناه الجامعة بوضوح، ويقدم البراهين المختلفة على صحته. وهو موقف الطاعة والولاء " احفظ أمر الملك ".

والعبارة حرفياً تعنى " اهتم بفم الملك "، والمعنى " اهتم وأطع ما يقوله الملك ". أما البراهين أو الأسباب لصحة الموقف الذى ينادى به فهى كالتالى :

- السبب الأول : القسم أو العهد (٢ ب) : إذ يقول " وذاك بسبب يمين الله ". فلقد جرت العادة أن يُقسم رعايا الملك وقت تنصيبه يمين الولاء له قدام الله. وبالتالى الطاعة للملك واجبة بسبب يمين الولاء الذى أخذ قدام الله.
- السبب الثانى : سلطان الحاكم (٣ – ٤) : وهنا يقول الجامعة " لا تعجل إلى الذهاب من وجهه. لا تقف فى أمرٍ شاقٍ ". العبارة الأولى تعنى لا تترك محضر الملك فى نفور أو استياء أو عدم ولاء، وقد تعنى أيضا لا يصل بك التمرد الأهوج إلى التخلى عن الوظيفة أو الموقع،

أو الاشتراك مع آخرين في الاصرار على عدم الولاء والإضرار بالاستقرار. أما العبارة الثانية فتعني لا تقف ضد الملك في أي أمر مهما كان شاقاً. وبعد أن يطلب الجامعة ذلك يذكر السبب أن الحاكم يملك من السلطان ما يمكنه من تنفيذ ما يراه" لأنه يفعل كل ما يشاء. حيث تكون كلمة الملك فهناك سلطان. ومن يقول له ماذا تفعل".

- السبب الثالث : الشعور بالأمان (٥ أ): " حافظ الوصية لا يشعر بأمر شاق " وكلمة " شاق " قد تعني " شرير " كما يقول كايزر، أي " الذي يطيع وصية الملك لا يتعرض لأي شر . وهو نفس المعنى الذي نجده في الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) " "من يطع أمر الملك لا يلقَ أذى ".

هذا التعليم عن الموقف من السلطة، وأن السلطات مرتبة من الله نجده في أماكن أخرى مثل (رو ١٣ : ١ - ٧ ، تي ٣ : ١ ، ١بط ٢ : ١٣ - ١٨). وينطبق على الموقف من الحاكم ، وكذلك الموقف من كل المسئولين والرؤساء الذين نعمل معهم في المجالات المختلفة.

٣ - التمييز والاختيار (أعداد ٥ ب - ٦) :

هل دعوة الطاعة والولاء تعني السلبية العمياء ؟، وكيف تسير الحياة عندما يأتي إلى الحكم ملك أو حاكم مستبد؟، وما هو التصرف أو الموقف الصحيح الذي يجب أن يكون؟. يجيب الجامعة على هذه

الأسئلة بقوله " قلب الحكيم يعرف الوقت والحكم. لأن لكل أمرٍ وقتاً وحكماً لأن شر الإنسان عظيم عليه".

والنصيحة التى يقدمها هنا هى على الحكيم أن يدرك تدبير الله وسيادته المطلقة على التاريخ والأحداث (٣ : ١-١٥)، وبالتالى عليه أن لا يتعجل بل ينتظر ويميز أمرين، الأول التوقيت المناسب الذى يكشفه الله على ضوء الأحداث والشواهد المختلفة للحوار والإصلاح، والثانى" الحكم " أى على الحكيم أيضاً أن يميز" الأسلوب" أو " الطريق " أو " الإجراء " المناسب Procedure. فالحكمة تقتضى دائماً فى كل موقف تمييز التوقت المناسب والإجراء المناسب أو الأسلوب والطريقة المناسبة، لأن " لكل شىء زمان ولكل أمر تحت السموات وقت " (٣ : ١). وهنا فى العبارة الأولى فى العدد السادس يقول " لأن لكل أمر وقتاً وحكماً ". كم نخسر مواقف عديدة فى حياتنا وعلاقاتنا مع الآخرين، عندما لا نميز بحكمة التوقيت والأسلوب المناسبين، أى متى نتكلم؟ وكيف نتكلم ؟.

وفى كلمة الله فى العهد القديم نجد بعض النماذج مثل يوناثان (١صم ١٩ : ٤ – ٦)، ناثان (٢ صم ١٢ : ١ – ١٤)، أستير (٧ : ٢ – ٤)، يوسف وكيفية كشفه شخصيته لأخوته بعدما أدرك موقف أخوته الصحيح وندمهم (تك ٤٣ – ٤٥)، نحميا وإنتظاره التوقيت المناسب لتقديم طلبه إلى الملك للعودة وإعادة بناء أورشليم (نح ١ و ٢). وفى العهد

الجديد نجد الرسل وسط الإعتقال والاضطهاد يميزون التوقيت المناسب والأسلوب المناسب للحديث مع السلطات (أع ٤ و ٥) . ما أحوجنا إلى طلب حكمة من الله تساعدنا دائماً على التمييز والإختيار "وأما الحكمة التي من فوق فهي أولا طاهرة ثم مسالمة مترفقة مذعنة مملوءة رحمة وأثمارا صالحة عديمة الريب والرياء. وثمر البر يزرع في السلام من الذين يفعلون السلام" (يع ٣ : ١٧ و ١٨).

كم نحتاج إلى تدريب دائم على حكمة اختيار الوقت والأسلوب عندما نتكلم أو نقوم بعمل ما مع أعزاء لنا، مع شريك الحياة، مع الأبناء، مع الأصدقاء، مع زملاء فى العمل، مع أخوة لنا فى الكنيسة والخدمة. كم تسببنا فى آلام وجروح وعناء لنا ولغيرنا بسبب كلامنا أو تصرفاتنا التى لم نميز فيها الوقت المناسب والطريقة المناسبة.

على أن الجامعة يضيف عبارة أخرى فى العدد السادس، كسند آخر لضرورة وأهمية تمييز الوقت المناسب والأسلوب فيقول " لأن شر الإنسان عظيم عليه". والقصد هنا بحسب تفسير " جونز " أن الإنسان وهو يواجه أعباء الحياة الثقيلة، لديه من المتاعب ما يكفيه، ولذلك يجب الانتظار والاختيار الدقيق للتوقيت المناسب والأسلوب المناسب، حتى لا يعرض نفسه لمزيد من المتاعب إذا لم يحسن قراءة علامات الأزمنة.

والخلاصة، على الحكيم إيجاباً أن يميز ويختار توقيت الله والإجراء أو الأسلوب المناسب، وسلباً على الحكيم أن يجنب نفسه، بحكمة التمييز وحسن الاختيار، المزيد من المتاعب . إذ يكفيه ما يعانيه من توتر وحيرة أمام ثقل الحياة الضاغط.

٤ - الحيرة والعجز (الأعداد ٧ - ٨) :

فى هذين العددين يقدم الجامعة عاملين رئيسيين للحيرة والتعاسة والإحساس بالعجز داخل كل إنسان، سواء كان حاكماً أو محكوماً:

العامل الأول هو الجهل بالمستقبل (عدد ٧). وفى الترجمة التفسيرية (كتاب الحياة) جاءت الآية بهذه الصياغة " لأنه لا يعرف ما يضمره الغد، إذ من يخبره عما تكون عليه الأحداث؟ " . وعلى هذا يقول " إيتون " Eaton : أمام المستقبل المجهول لا يمكننا أن نجد أى مساعدة لا فى أنفسنا ولا من أى شخص آخر.

لكننا نرنم بإيمان :

لست أعلم ما قد يكون فى غدى
لكننى يا ضامنى أعلم أنك معى
وأنك بى تعتنى مهما يكون فى غدى

وفى ترنيمة أخرى :

غمرتنى يا ناصرى بفيض حبك الثرى
وفوق ما أحتاج فى مستقبلى وحاضرى

العامل الثانى للحيرة والإحساس بالعجز مهما كان سلطان الإنسان هو الموت (عدد ٨). وفى هذه الآية نجد أربع عبارات تؤكد هذه الحقيقة :

الأولى " ليس لإنسان سلطان على الروح ليمسك الروح" و " يمسك " فعل يستخدم فى " حجز " الماشية أو الإغلاق عليها، أو " حبس " سجين. والبعض قال قد يكون المعنى أنه لا يوجد سلطان يستطيع أن يحبس الروح أى يسجن الحياة الداخلية بكل ما فيها من أهواء وأفكار . لكن ربما يكون المعنى الأفضل هو الذى يتماشى مع العبارات الثلاث التالية، أى ليس لأحد سلطان على الروح عندما تغادر الجسد.

العبارة الثانية " ولا سلطان على يوم الموت "

العبارة الثالثة " ولا تخلية فى الحرب" والحرب المقصودة هنا هى الموت، وكلمة " تخلية " تعنى إفراج أو استثناء لأحد فى هذا الميدان. فكل إنسان يجب أن يواجه هذه المعركة وحده، حيث يتحتم أن يسقط كل فى دوره .

والعبارة الرابعة " ولا ينجى الشر أصحابه "، والنجاة كما هو واضح من السياق العام للآية هو النجاة من الموت، وكلمة " الشر" فسرتها بعض التراجم " بالثروة التى جمعت عن طرق شريرة"، والمعنى العام هو لا

توجد أى وسيلة أو سلطة تنجى من الموت، مهما كانت هذه السلطة أو الوسيلة صالحة أم شريرة.

من مقال للكاتب عادل حمودة فى أهرام السبت ١٩٩٩/١٠/٢ عن الشاعر التركى عزيز نيسين (ولد فى ١٩١٥/١٢/٢٠) فى جزيرة قرب استنبول، انقل رسالة الشاعر التى كتبها للموت، زائره الأخير يقول فيها :

" لا تغافلنى فى النوم كما يفعل الجبناء .. وحين تأتى لا تتصرف كما يتصرف الضيوف ثقلاء الظل.. ولتكن إقامتك عندى قصيرة.. لا تجعلنى أشعر بك كدراً مزمنا.. ألتصق بجلدى وتسلل فى هدوء إلى روحى...

تذكر أنني أنتظرك منذ بدأت أعى وجودى.. تعال محترما كما يليق بزائر طال انتظاره كل هذا العدد من السنين .. لا تضطرنى إلى فقد الاحترام الذى أكنه لك ..

عشت حياتى مرفوع الرأس ... ناصع الجبين .. فعانقنى واقفاً مرفوع الرأس حين تأتى لتأخذنى .. لا تنصب كمينا.. لا تطعن فى الظهر .. لنلتق واقفين كما يليق بالأصلاء .. كن سريعاً ورشيقاً .. يجب أن ينتهى كل شىء فى غمضة عين...

إنك واحد من أكثر حقائق الحياة حدة وحتمية ولا مجال معك لأى نوع من المناورة والمداورة .. أنت تعرف أننى لم أشعر بالغيرة من الذين عاصرونى فى حياتى كلها.. لا لأننى طيب القلب بل لأننى لم أر أحداً أكبر منى .. وتعرف أيضا أننى كثير الاعتزاز بما فعلت وبما خططت له ولم أستطع تحقيقه.

كلانا مناضل صمد فى وجه غريمه .. كلانا كافح ضد الآخر كل هذه السنين دونما

توقف ولعلى أشير هنا إلى أن نضالى أنا كان أعظم وأكبر من نضالك أنت .. ذلك لأنك كنت واثقا من البداية من أن النصر فى النهاية سيكون مهما حصل إلى جانبك .. فى حين كنت أنا أعلم علم اليقين بأن الهزيمة فى نهاية المطاف ستكون من نصيبى .. ألم أبق مصراً على اقتحام مواقع ذاك الذى سيهزمنى كما لو كنت غير مرشح للهزيمة أبداً رغم معرفتى الأكيدة بأننى مهزوم ولا محالة؟..

هل أنتابنى الخوف ولو للحظة؟.. هل فكرت فى الهروب؟.. هل قدمت لك أى تنازل مهما صغر بغية أن أعيش أكثر .. بغية أن أحيا حياة أفضل .. بغية أن أحصل على المزيد من مفاتن هذه الدنيا الرائعة فى جمالها؟

تسألنى ماذا فعلت؟.. إليك جوابى .. كيميائيو العصور الوسطى عجزوا عن قلب الحجر إلى ذهب.. أما أنا فكيميائى نجحت فى قلب دموعى إلى ضحكات قدمتها للعالم ".

ونحن نستطيع أن نجد الرجاء والعزاء برغم الحيرة والعجز في حياة الإنسان. فقد لا نعرف ما يخبئه لنا المستقبل، لكننا نعرف من يمسك ويضمن المستقبل (جا ٣ : ١ – ١٥). فإلهنا هو رب التاريخ كله، " هو هو أمس واليوم وإلى الأبد ".

وقد نجهل متى أو كيف تنتهي الحياة، لكننا نعلم عن يقين رفقة ومعية الله. " أيضا إذا سرت في وادي ظل الموت لا أخاف شراً لأنك أنت معي " (مز ٢٣ : ٤).

كما نعلم عن يقين ما صنعه الله في المسيح يسوع لأجلنا، فلقد جاء المسيح ومات عنا وقام بنا ليمنحنا الحياة الأفضل التي تغلب الموت، وبالتالي ليحررنا من الخوف من الموت. يقول كاتب العبرانيين " فإذ قد تشارك الاولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي ابليس. ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية" (عب ٢: ١٤ و ١٥).

لقد حفر الرب المقام على جدار الزمن والتاريخ طريق الحياة لكل البشر، وفتح بصيحته الخالدة " أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية " باب الحياة الأبدية لكل إنسان يؤمن بما عمله من أجله، إذ أنار لنا الحياة والخلود بواسطة الإنجيل.

١- الاستبداد والمظالم (الأعداد ٩ - ١١و ١٤):

إن هدف أى سلطة أو حكومة يجب أن يكون إجراء العدل، والعمل على بناء حياة أفضل للناس، وحماية حقوقهم وكرامتهم، لأن هذا هو قصد الله للإنسان . ولكن، كما سبق ورأينا، قد تأتى الى الحكم سلطة مستبدة، فتنتشر المظالم بين الناس. وفى هذه الأعداد نستطيع أن نرى الإستبداد، والمظالم، والنتيجة.

* الاستبداد (عدد ٩) " كل هذا" قد تعود إلى ما سبق، وفى نفس الوقت إلى ما يتبع. والجامعة هنا يتوقف ليقيّم ويقوّم الأحداث، ويرصد الملاحظات، بنظرة شاملة للمجال الأرضى، فيقول " كل هذا رأيته إذ وجهت قلبى لكل عمل عُمل تحت الشمس". ومن الملاحظات الدقيقة التى رصيدها الاستبداد وإساءة استخدام السلطة إذ يقول " وقتما يتسلط إنسان على إنسان لضرر نفسه" أى ضرر الشخص الذى تحت سلطانه (نح ٥ : ١٥، أس ٩ : ١). وما زالت حتى الآن، خاصة فى بلاد العالم الثالث، الحكومات والسلطات المستبدة التى تضّر بالشعوب وتبدد ثرواتها وتحجر على مصيرها ومستقبلها فى الحياة الكريمة والتنمية والتقدم.

* المظالم (أعداد ١٠ و ١٤) : والمظالم شئ طبيعى فى مناخ الاستبداد ولذلك يقول الجامعة "وهكذا" أى " فى مثل هذه الظروف أو " فى مثل هذه الحالة ". ماذا يحدث ؟ يقول " رأيت أشراراً يدفنون وضموا والذين

عملـوا بالحق ذهبوا من مكان القــدس ونسوا في المدينة هذا أيضـاً بـاطل " (عدد ١٠). والدفن اللائق مظهر من مظاهر التكريم في الشرق، وإغفاله محنـة عظيمـة (إرميا ١٦ : ٦ ، عـاموس ٢ : ١)، وهنـا يرصـد الجامعـة تكريـم الأشـرار وإهمال ونسيان الذين عملوا بالحق.

وفي (عدد ١٤) يعود ليعرض نفس المشكلة ويبدأ حديثه بعبارة " يوجد بـاطل يجرى في الأرض" ليعـبر عـن مـدى إحباطـه وانزعاجـه، ثم يقـول " أن يوجـد صديقـون يصيبـهم مثـل عمـل الأشـرار ويوجـد أشـرار يصيبـهم مثـل عمـل الصديقين. فقلت إن هذا أيضـاً بـاطل ". وهـذه المشـكلة يعرضها الجامعـة فـي أكثر من مكان (٣ : ١٦ ، ٤ : ١ ، ٥ : ٨ ، ٧ : ٧).

* النتيجـة (عـدد ١١) أي النتيجـة للاسـتبداد والمظـالم وغيـاب أو تـأخر العدالـة، أن تختل المعايير عند النـاس، ويسيئون فـهم مـا يبدو لهـم مـن عـدم تدخل إلهي سريع وحاسـم لرفـع المظـالم، وتشـييع بينـهم اللامبـالاة والتسيب. وفـي ذلـك يقـول الجامعـة " لأن القضـاء علـى العمـل الـرديء لا يجـرى سـريعاً فلذلـك قـد امتـلأ قلـب بنـي البشـر فيهم لفعـل الشـر " . وهنـا نستطيع أن نـرى الأضرار الرهيبة للعدالة البطيئة أو الغائبة في أي مجتمع.

فـي الأسـبوع المـاضي حكمـت المحكمـة بـالإعدام علـى قـاتلي طفلـي الإسـكندرية فـي يوليـو ١٩٩٩ وجـاء الحكـم بعد أسبوعين مـن الجريمـة التـي هزت المجتمـع، واسـتمرت المحكمـة مـن التاسـعة صباحـاً حتـى الرابعـة بعـد

الظهر وهى تنظر القضية التى انتهت إلى حكمها، وكان هذا أسرع حكم فى تاريخ القضاء المصرى، وشعر الرأى العام بالارتياح التام. وسر الارتياح أن سرعة القضاء تحيى فى الناس الاقتناع بوجود العدالة، والإحساس بالأمان، وفى نفس الوقت تحقق الردع للمنحرفين والخارجين عن القانون . وفى هذا الأسبوع حكمت محكمة الاسكندرية أيضاً بالإعدام فى جلسة واحدة على شخص آخر أختطف طفلاً واعتدى عليه ثم مزّق جثته، وشعر الناس بنفس الارتياح للسرعة والحسم. واليوم قرأت نفس التوجه سيكون مع شخص آخر اختطف واعتدى مع زميلين له على استاذة جامعية . ويبدو أن هذا أصبح إتجاهاً معمولاً به الآن بصورة واضحة، ويحتاج إلى تحية واجبة للنائب العام. وفى هذا الأسبوع حدد الرئيس حسنى مبارك ملامح المرحلة القادمة فى ولايته الرابعة فى خطاب تكليفه لرئيس الوزراء، ومن بين هذه الملامح ضرورة سرعة التقاضى وإعطاء الناس حقوقهم وإعلاء قيمة العدل.

٦- يقين الإيمان (الأعداد ١٢-١٣) :

فى هذين العددين يأتى بنا الجامعة من ظلمة الحيرة والعجز والاستبداد والمظالم، إلى نور يقين الإيمان، ومن ظلال الشك واختلال المعايير وفساد القلب الإنسانى الممتلئ بفعل الشر، إلى صبر الرجاء وثقة خائفى الرب . والجامعـــــة فى ملاحظاته السابقة التى رصدها يكرر " كل هذا رأيته .... " (عدد ٩)، ولكن هنا يقول " إلا أنى أعلم " أى يقين إيمان راسخ . فقد يفعل الخاطئ الشر " مائة مرة "، وقد تطول أيامه (عدد ١٢)، ولكن " ولا يكون خير للشرير وكالظل لا يطيل أيامه لأنه لا يخشى قدام الله " (عدد ١٣) فالله

غير حاضر في حياته أبداً . يقول " كيدنر " Kidner الآن " يسقط قناع الدينونات "، فمن وجهة نظر " تحت الشمس " قد تطول أيام الشرير، ولكن من وجهة نظر الإيمان لن يستمر الشر دون إدانة أو عقاب إلى النهاية . أما " إيتون " Eaton فيضيف أن النص في (عدد ١٣) قد يفيد أن الشرير حتى وإن طالت أيامه هنا، إلا أنه لن يزدهر فيما وراء القبر (مز ٤٩ ، ٧٣ ، جا ٣ : ١٦ - ٢١ ، ١٢ : ٤).

وبنفس اليقين يقول " إلا أني أعلم أنه يكون خير للمتقين الله الذين يخافون قدامه " (عدد ١٢) . إنه يؤكد الخير وسط وبرغم كل الظروف للذين يحبون الله، وأن تبرئة البار هي مسألة وقت فقط . والموقف الصحيح هو الانتظار الواثق الراجي، والحياة في خوف الله قدامه . فمخافة الرب طريق الحكمة (١٢ : ١٣)، ودعامة قوية في كل أوقات الحياة وظروفها (٣ : ١٤)، ومطلب هام للعبادة المقبولة من الله والمغيرة لنا (٥ : ١ - ٧)، وسبيل للنجاة والإنقاذ (٧ : ١٨)، وأساس للتبرير النهائي (٨ : ١٢ - ١٣).

يقول المرنم " ويفرح جميع المتكلين عليك إلى الأبد يهتفون وتظللهم ويبتهج بك محبو إسمك لأنك أنت تبارك الصديق يارب كأنه بترس تحيطه بالرضا". (مزمور ٥ : ١١-١٢). وفي مزمور ٣١ : ١٩ - ٢٤ يقول " ما أعظم جودك الذى ذخرته لخائفيك وفعلته للمتكلين عليك تجاه بني البشر، تسترهم بستر وجهك من مكايد الناس، تخفيهم في مظلة من مخاصمة الألسن، مبارك الرب لأنه قد جعل عجباً رحمته لي في مدينة محصنة، وأنا قلت في حيرتي

إني قد انقطعت من قدام عينيك ولكنك سمعت صوت تضرعي إذ صرخت إليك .أحبوا الرب يا جميع أتقيائه، الرب حافظ الأمانة ومجاز بكثرة العامل بالكبرياء، لتتشدد ولتتشجع قلوبكم يا جميع المنتظرين الرب."

في (مزمور ٧٤) ينزعج آساف بشدة من تأخر قضاء الله برغم استمرار تعيير المقاومين وإهانتهم لاسم الله إلى الغاية (مز ٧٤ : ١٠ -٢٢) لكنه برغم كل ذلك يأتي إلى (مزمور ٧٥) ويعبر عن يقين إيمانه بعدل الله، وتبرئة ورفعة الصديقين، وعقاب ودينونة الأشرار مهمـــا طال الزمن " لأني أعيّن ميعاداً أنا بالمستقيمـــات أقضي ... كل قرون الأشرار أعضب قرون الصديق تنتصب " (مز ٧٥ : ٢، ١٠) .

الخاتمة

الطريق إلى الخير

(٨ : ١٥)

" فمدحت الفرح لأنه ليس للإنسان خير تحت الشمس إلا أن يأكل ويشرب ويفرح وهذا يبقى له فى تعبه مدة أيام حياته التى يعطيه الله إياها تحت الشمس ".

بعد أن استعرض الجامعة فى مناقشته الثالثة (٦ : ١ – ٨ : ١٥) تقييمه للظروف، ولطبيعة وشخصية الإنسان، ولدور السلطة الحاكمة . وبعد أن رأى الاندفاع المجنون للبشر الذين تحكمهم وتحركهم رغباتهم الشريرة وفراغهم الداخلى، وراء كل إتجاه دون جدوى أو شبع. وبعد أن حاول الكشف عن لغز الشخصية الإنسانية، وعن حيرته وعجزه وطبيعته الخاطئة . بعد كل هذا، يأتى فى خاتمة المناقشة كعادته ليذكرنا بالحل الذى سبق وقدمه، ومازال يوصى به، وهو عطية التمتع التى يمنحها الله لشعبه مدة أيام حياتهم على الأرض.

ونلاحظ فى هذه الخاتمة فكرتين :

- الأولى : اهتما م الجامعة بالحياة هنا فى هذا العالم " تحت الشمس"، وأن هذه الحياة هبة من الله للإنســــان، وهو يطلب أن يجد الانسان

" الخير " فى حياته، من خلال حياة يغمرها خوف الله وتعيش لمجده ونفع الآخرين.

- الثانية : تأكيد الجامعة على أن الطريق إلى " الخير " فى الحياة على الأرض، وسط نشاطات وظروف الحياة اليومية، نجده فى الفرح والرضى (٢ : ٢٤ – ٢٦ ، ٣ : ١٢ ، ١٣ ، ٥ : ١٨) وفى الرفقة الوثيقة بالفرح والالتصاق الدائم بالرضى ولذلك يقول الجامعة " وهذا يبقى له فى تعبه مدة أيام حياته ". ونحن فى أوقات كثيرة نخسر الخير فى حياتنا، ونفسد أيامنا التى هى عطية الله لنا، عندما نسمح لظروف الحياة أن تحرمنا من الرفقة الوثيقة للفرح والرضى والشكر والاحساس بالسعادة.

المناقشة الرابعة

التمتع بخطة الله الصالحة

(٨ : ١٦ – ١٢ : ١٤)

لاتقدم المناقشة الرابعة والأخيرة فى هذا السفر أبعاداً جديدة تماماً، لأن هذه الأبعاد أصبحت واضحة فى مدلولاتها وتطبيقاتها العملية، من خلال النظرة الجديدة للحياة التى قُدمّت فى المناقشات الثلاث السابقة . لكن الجامعة فى هذه المناقشة يحاول إعادة التأكيد على بعض الحقائق والنصائح العملية، أن يشجع المؤمنين على التمتع بخطة الله لحياتهم، برغم بقاء لغز الحياة ومحدودية وعجز الإنسان.

وككل مناقشة سابقة، تنقسم هذه المناقشة إلى ثلاثة أقسام، وخاتمة ليس فقط لهذه المناقشة بل لكل السفر:

- القسم الأول : لغز الحياة يجب أن لا ينزع الفرح الإنسانى (٨ : ١٦ – ٩ : ٩).
- القسم الثانى: لغز الحياة يجب أن لا يمنعنا من العمل بكل القوة (٩ : ١٠ – ١١ : ٦).
- القسم الثالث: دعوة للحياة فى نور الأبدية (١١ : ٧ – ١٢ : ٨) .
- الخاتمة : المعلم والرسالة (١٢ : ٩ – ١٤).

القسم الأول

لغز الحياة يجب أن لا ينزع الفرح الإنسانى

(٨ : ١٦ - ٩ : ٩)

" لما وجهت قلبى لأعرف الحكمة وأنظر العمل الذى عُمل على الأرض وأنه نهاراً وليلاً لا يرى النوم بعينيه رأيت كل عمل الله أن الإنسان لا يستطيع أن يجد العمل الذى عُمل تحت الشمس. مهما تعب الإنسان فى الطلب فلا يجده والحكيم أيضاً وإن قال بمعرفته لا يقدر أن يجده. لأن هذا كله جعلته فى قلبى وامتحنت هذا كله أن الصديقين والحكماء وأعمالهم فى يد الله الإنسان لا يعلم حباً ولا بغضاً الكل أمامهم الكل على ما للكل حادثة واحدة للصديق وللشرير وللصالح وللطاهر وللنجس للذابح وللذى لا يذبح كالصالح الخاطئ الحالف كالذى يخاف الحلف هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس أن حادثة واحدة للجميع وأيضاً قلب بنى البشر ملآن من الشر والحماقة فى قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات لأنه من يستثنى لكل الأحياء يوجد رجاء فإن الكلب الحى خير من الأسد الميت لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نسى ومحبتهم وبغضتهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد فى كل ما عمل تحت الشمس.

أذهب كل خبزك بفرح وأشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضى عملك، لتكن ثيابك فى كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن، ألتذ عيشاً مع المرأة التى أحببتها كل أيام حياة باطلك التى أعطاك إياها تحت الشمس كل أيام باطلك لأن ذلك نصيبك فى الحياة وفى تعبك الذى تتعبه تحت الشمس ".

فى هذا القسم يتحدث الجامعة عن فكرتين، الأولى لغز الحياة، والثانية أن لغز الحياة يجب أن لا ينزع الفرح من حياة الإنسان.

أولاً : لغز الحياة (٨ : ١٦ – ١٧)

بعد أن ناقش الجامعة لغز الإنسان فى المناقشة الثالثة، يعود الآن مرة أخرى إلى التذكير بأن الحياة ككل لغز كبير " mystery " . ويؤكد الجامعة هذه الحقيقة بعد بحث متواصل وشامل، مستخدماً التفكير الدقيق والعميق فى خبرته " لما وجهت قلبى لأعرف الحكمة "، والملاحظة الدقيقة فى نفس الوقت " وأنظر العمل الذى عُمل على الأرض ".

وأنتهى الجامعة فى بحثه إلى أمرين حول لغز الحياة :

الأول : أن معاناة الإنسان التى يقاسيها فى الحياة تشقيه وتجلب له التعب نهاراً والأرق ليلاً ". وأنه نهـــاراً وليلاً لا يرى النوم بعينيه " (عدد ١٦) (انظر ٢ : ٢٢ ، ٢٣)

الثانى : لا يستطيع الإنسان أن يعرف كل أعمال الله (عدد ١٧) . وبالتالى لابد أن نقبل محدوديتنا وعجزنا، وأن نرضى بأن لا نعرف كل شئ لأننا ببساطة لا نستطيع. فما الحكمة مثلاً ان يموت فجأة ومرة واحدة أكثر من ثلاثين شاباً وشابة من كنيسة مارجرجس وأن يصاب عدد آخر فى حادثة المقطورة عند بني سويف؟ لا نستطيع أن نعرف. يقول أيوب فى (أيوب ٢٨ : ١٢ و ١٣) " أما الحكمة فأين توجد وأين هو مكان الفهم لا يعرف الإنسان قيمتها ولا توجد فى أرض الأحياء". وفى نفس الإصحاح يكرر أيوب هذه الحقيقة لكنه يضيف أن الله وحده هو الذى يعرف كل شئ فيقول " فمن أين تأتى الحكمة وأين هو مكان الفهم. إذ أخفيت عن عيون كل حى وسُترت عن طير السماء ... الله يفهم طريقها وهو عالم بمكانها . لأنه هو ينظر إلى أقاصى الأرض . تحت كل السموات يرى " (أيوب ٢٨ : ٢٠ ، ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤).

وعلى هذا الأساس، " مهما تعب الإنسان فى الطلب فلا يجده" أى أن كل مجهودات الإنسان وتعبه وكده لا يستطيع أن يصل به إلى فهم كل أسرار الحياة، ولا خبرة الحكيم ومعرفته قادرة أن تصل به إلى ذلك " والحكيم أيضاً وإن قال بمعرفته لا يقدر أن يجده ". لماذا ؟ يوضح ذلك كايزر Kaiser بقوله أن المعرفة الإنسانية مهما بلغت لا تستطيع أن ترتفع أعلى من مصدرها، ومن الدرجة التى يكشف عندها الله فكره لشعبه . فالمعرفة الكاملة لله وحده،

أما نحن فنعـرف " بعض " المعرفة، ونعلم " بعض " العلـم. وكل ما نصل إليه من معرفة سيقودنا للقول : لا نعرف.

ثانياً : لغز الحياة يجب أن لا ينزع الفرح من حياة الإنسان (٩ : ١ – ٩)

وهنا يقدم الجامعة خلاصة مشواره وخبرة حياته، " لأن هذا كله جعلته فى قلبى وامتحنت هذا كله " أنه برغم الألغاز والأسرار والمعانـاة، وفى وسطهـا، يجـب أن يكـون الفرح قائماً فى حياة الإنسان لأكثر من مصدر وسـبب مثل : رعايـة الله (٩ : أ)، رجـاء الحيـاة (٩ : ٢ – ٦)، رضـى الله (٩ : ٧ ، ٨)، رفقـة الشريك (٩ : ٩).

١– رعاية الله (٩ : ١) :

هذا هو السبب أو المصدر الأول للفرح " أن الصديقين والحكماء وأعمالهم فى يد الله " أى أن إدراكنا أن الإنسان محدود وعاجز أمام فهم أسرار الحياة، إدراك هذه الحقيقة لا يجب أن يقودنا إلى اليأس أو الفشل، لأن نعلم يقينـا أن أعمالنا وبيوتنا وحاضرنا ومستقبلنا وكل أمورنا فى يد إلهنا " . وفى يـده نستشعر الأمـان والضمـان، ونختبر الثقة والإيمـان فى شـخصه هـو الحـامى والحـاكم وحده . وفى يده، وبرغـم عـدم فهمنا، نستطيع أن نشعر بالدفء وسط برودة

الحياة، وبالراحة والسلام وسط رياحها العاتية . يقول الرسول بولس لتلميذه ثيموثاوس فى (٢ تيمو ٢ : ١٩) " يعلم الرب الذين هم له".

وعبارة " فى يد الله " قد تعنى كما يقول إيتون Eaton " تحت تصرف " (تك ١٤ : ٢٠ ، ١٦ : ٦)، " تحت إشراف " (تك ٩ : ٢)، " فى رعاية " (أس ٢ : ٣ ، ٨ ، أي ١٢ : ١٠ ، مز ٣١ : ٥). وهذا اليقين أننا فى رعاية الله قادر أن يعيد لنا الفرح وسط ظروف الحياة. وبالتالى فالأهم هو موقف الله من نحونا ورضاه عنا - كما يقول كيدنر Kidner - وليس الإنسان الذى " لا يعلم حباً ولا بغضاً ". لأن الإنسان يرى ما هو أمامه فقط " الكل أمامهم "، ولكن الله الذى معه أمرنا، وفى يده كل حياتنا وأعمالنا، يعرف كل شئ . رغم أن الناس هذه الأيام تفزع خوفاً من كل شيء ، الكوارث الطبيعية، نهاية العالم والحديث عنه، كثرة الأمراض .. لكن يقين رعاية الله يملأنا بالفرح.

٢- رجاء الحياة (٩ : ٢ - ٦) :

هذه الأعداد أكثر غموضاً وحيرة من كل ألغاز الحياة الأخرى وهى تتحدث عن : شمولية الموت ثم رجاء الحياة.

* شمولية الموت (الأعداد ٢ ، ٣) :

يبدأ الجامعة العدد الثانى بالقول " الكل على ما للكل "، والعبارة تعنى عند إيتون Eaton كل الأشياء تأتى مشابهة للكل " وفى الترجمة

التفسيرية (كتاب الحياة) جاءت " إذ الجميع معرضون لنفس المصير " . ثم يشرح في باقي العدد الثاني المشكلة اللغز التي تؤرقه وهي أن الموت والقبر نهاية الجميع " حادثة واحدة للصديق وللشرير للصالح وللطاهر وللنجس. للذابح وللذي لا يذبح . كالصالـــح الخاطئ . الحالف كالذي يخاف الحلف (والذي يخاف الحلف أي الذي يتجنب الولاء للعهد أو الميثاق)".

وفي العدد الثالث يعبر عن حيرته وانزعاجه بوضوح أكثر، وهو هنا لا يقدم إتهاماً لله، بل يتحدث من خلال المنظــور الإنساني " تحت الشمس " فيقول " هذا أشر كل ما عمل تحت الشمس أن حادثة واحدة للجميع "، فالجميع يواجهون نفس المصير . إذن، ما الذي يميز البار عن الشرير ؟ وكيف تضيع الفوارق ويغيب الاختلاف بهذه الصورة ؟؟ !! . وهنا يعود إلى الحديث عن الطبيعة الساقطة التي تحدث عنها الإصحاح السابع، ويربط بين الموت والشر والحماقة أو الجنون إذ يقول " وأيضاً قلب بني البشر ملآن من الشر والحماقة في قلبهم وهم أحياء وبعد ذلك يذهبون إلى الأموات " أي أن المشكلة هي فساد القلب الانساني، وسيطرة هذا الفساد على حياتهم طالما يعيشون وحتى الموت . نعم " أجرة الخطية موت "، والرسول بولس يؤكد هذه الحقيقة في (رو ٥ : ١٢) " من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت وهكذا إجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ".

* رجاء الحياة (الأعداد ٤ – ٦) :

يبدأ الجامعة بالانتقال من الموت إلى الحياة ويعلن العدد الرابع الحقيقة كاملة : حيث توجد الحياة يوجد رجاء، فيقول في العبارة الأولى " لأنه من

يستثنى لكل الأحياء يوجد رجاء " . وعبــــارة " مـن يستثنى " جاءت بمعنى " من يُختار " to choose " أى من يُختار للرجاء هو الذى مازال بين الأحياء . وأحيانا – لتحريك بعض الحروف العبريـــة – تـأتى بمعنـى " من يلحق " to join أى من يلحق بالأحياء، أو يحسب (كتاب الحياة) " من لا يزال حياً مع الأحياء فله رجاء".

والجامعة هنا لا ينكر حياة ما بعد الموت، لكنه يؤكد من خلال المثل المعروف فى باقى العدد الرابع " فإن الكلب الحى خير من الأسد الميت " – فى العربية يوجد مثل مشابه " الحى أبقى من الميت " – أقول يؤكد من خلال المثل، ومن الأعداد الخامس والسادس، أن " الرجاء " فى الفرصة التى تمنحها الحياة الحالية للتفكير والتأمل فى فكرة الموت، وفى تقييم الحياة. فطالما أننا أحياء فهناك رجاء، رجاء للاستعداد لملاقاة الله، رجاء تصحيح المسار والتوبة والحياة فى دائرة رضى الله ومسرة قلبه. ولذلك يقول " لأن الأحياء يعلمون أنهم سيموتون. أما الموتى فلا يعلمون شيئاً وليس لهم أجر بعد لأن ذكرهم نُسى. ومحبتهم وبغضهم وحسدهم هلكت منذ زمان ولا نصيب لهم بعد إلى الأبد فى كل ما عُمل تحت الشمس ".

أى أنه عند الموت نفقد كل الخيرات الأرضية " أجر "، وكل الخبرات والمشاعـــر الأرضية " المحبة والبغض والحسد "، وكل الفـــــرح والرضـى " نصيب ". إذن الرجاء فى فرصة الحياة الآن للتمتع بالفرح الحقيقى الذى هو عطية الله، أما عند الموت فليس لهم بعد نصيب إلى الأبد. ومن المؤسف

أن يفقد إنسان فرصة الحياة، ولكن عليه أن يجد غفرانه ورجاءه في المسيح هنا وبعد الموت، فالآن وقت مقبول واليوم يوم خلاص. ومن المحزن أن نفقد الفرص التي بين أيدينا كمؤمنين لنفعل شيئاً متميزاً لمجد الله ونفع وخدمة الآخرين من حولنا (رو ٥ : ١٥ – ١٩ ، ٦ : ١ – ٤).

٣- رضى الله (الأعداد ٧ ، ٨) :

في هذين العددين يعرض الجامعة مصدراً ثالثاً من مصادر الفرح برغم وجود وبقاء ألغاز الحياة، وهو التمتع برضى الله والحياة التي هي عطية منه، بدلاً من أن نفسد أيامنا في البحث الغير مجدي عن ألغاز الحياة وأسرارها. ولذلك يحول ما سبق وقدمه كنصيحة في (٢ : ٢٤ – ٢٦ ، ٣ : ١٢ ، ١٣ ، ٢٢ ، ٥ : ١٨ – ٢٠) إلى دعوة عاجلة للتمتع بحياة الرضى " اذهب كل خبزك بفرح واشرب خمرك بقلب طيب لأن الله منذ زمان قد رضى عملك. لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ولا يعوز رأسك الدهن ".

إنه يذكرنا بدعوة المرنم " هذا هو اليوم الذي صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه " (مزمور ١١٨ : ٢٤). فأساس هذه الدعوة " لأن الله منذ زمان قد رضى عملك "، فلا داعي للقلق أو الاحساس بالذنب أو الكفاح للقبول من الله في حياة المؤمن، لأنه مقبول بالفعل. وليس علينا إلا أن نتقبل بشكر وفرح رضى الله كعطية صالحة منه، وأن نحيا له لأعمال صالحة قد سبق وأعدها لنا لكي نسلك فيها. والخبز والخمر في الكلمة المقدسة عناصر الحياة التي يهبها الله لنا لإنعاشنا وفرحنا (تك ١٤ : ١٨ ، ١ صم ١٦ : ٢٠ ، ٢٥ : ١٨:

و نح ٥ : ١٥ ، جا ١٠ : ١٩ ، مراثى ٢ : ١٢). والثياب البيضاء والدهن إشارة إلى حياة الفرح والنقاوة كما نراها فى كلمات يوحنا إلى ملاك كنيسة ساردس فى (رؤيا ٣ : ٤ ، ٥).

إن الجامعة لا ينادى بمذهب اللذة بل بحياة الفرح النابع من رضى الله كعطية منه، وكفيض غنى من الاطمئنان والثقة فى قبول الله لنا ورضاه عنا.

٤- رفقة الشريك (٩ : ٩) :
من منابع ومصادر الفرح فى حياة الإنسان، وسط صعوبات الحياة وألغازها، التمتع بعلاقة زوجية وأسرية يسودها قدر من التفاهم والتوافق والمشاعر المتبادلة. ولذلك نجد الجامعة كما بدأ العدد السابع بالفعل " اذهب "، يبدأ العدد بقوله " التذ عيشاً مع المرأة التى أحببتها .... " ويبدو أن الجامعة يعود إلى القصة الأولى فى (تك ٢ : ١٨) حيث يحمل الرجل المسئولية الرئيسية ثم تأتى المرأة كمعين ورفيق وسط رحلة الحياة (١ كو ١١ : ٨ ، ٩ ، ١ تيمو ٢ : ١٣). وهنا يقول الجامعة بدلاً من البحث عن ألغاز الحياة التى سوف تبقى دائماً، تمتع بالحياة مع المرأة التى أحببتها.

والمعنى الحرفى فى العبرية يعنى أن " ترى الحياة مع المرأة التى أحببتها " (كايزر). ويقول جينزبرج Ginsburg إن الفعل " يرى " يصف الذين يعيشون ويختبرون فيض العواطف والمشاعر الإنسانية (أنظر جا ٢ : ١). فحياة المسرة والفرح الحقيقى فى الزواج الناجح بركة كبرى وعطية صالحة من

الله، ولذلك يشجع الجامعة كل إنسان بأن يتقبل من يد الله عطية الرفيق والشريك، وأن يلتذ ويتمتع به، وأن لا يدع شيئاً يسرق هذا الفرح منه، فيستطيع أن يجد وسط إحباطات الحياة سنداً ودفئاً وطاقة متجددة للمثابرة والتقدم. ولذلك يقول الجامعة " لأن ذلك نصيبك في الحياة وفي تعبك الذي تتعبه تحت الشمس ".

وعندما يكرر الجامعة عبارة " أيام باطلك " أو " كل أيام حياة باطلك " فهو يريد أن يذكرنا أن الحياة هنا هي مجال التمتع بهذه العطية. ولأن الحياة قصيرة ومحدودة، لذا يجب أن نغتنم فرصة الحياة لاختبار هذه البركة قبل أن تفلت من بين أيدينا سريعاً ". إنها دعوة لنا جميعاً لإدراك قيمة و نعمة الشريك في حياتنا وأن لا ندع رتابة الحياة أو مسئولياتها تفقدنا بهجة التمتع بحياتنا معاً، أو تنسينا قصر الحياة وعدم أمنها. وهي دعوة للبيوت المتعبة أن لا نتوقف طويلاً أمام الخلافات والعناد والأنانية وعدم التفهم، بل أن تتقبل الآخر بشكر وإيجابية وغفران ومساندة.

القسم الثانى

لغز الحياة يجب أن لا يمنعنا من العمل بكل قوة

(٩: ١٠-١١: ٦)

"كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها. فعدت ورأيت تحت الشمس أن السعي ليس للخفيف و لا الحرب للأقوياء و لا الخبز للحكماء و لا الغنى للفهماء و لا النعمة لذوي المعرفة لأنه الوقت و العرض يلاقيانهم كافة. لأن الإنسان أيضا لا يعرف وقته كالأسماك التي تؤخذ بشبكة مهلكة وكالعصافير التي تؤخذ بالشرك كذلك تقتنص بنو البشر في وقت شر إذ يقع عليهم بغتة. هذه الحكمة رأيتها أيضا تحت الشمس وهي عظيمة عندي. مدينة صغيرة فيها أناس قليلون فجاء عليها ملك عظيم وحاصرها وبنى عليها أبراجا عظيمة. ووجد فيها رجل مسكين حكيم فنجى هو المدينة بحكمته وما أحد ذكر ذلك الرجل المسكين. فقلت الحكمة خير من القوة أما حكمة المسكين فمحتقرة وكلامه لا يسمع. كلمات الحكماء تسمع في الهدوء أكثر من صراخ المتسلط بين الجهال الحكمة خير من أدوات الحرب أما خاطئ واحد فيفسد خيراً جزيلاً.

الذباب الميت ينتن ويخمر طيب العطار جهالة قليلة أثقل من الحكمة ومن الكرامة. قلب الحكيم عن يمينه وقلب الجاهل عن يساره. أيضاً إذا مشى الجاهل في الطريق ينقص فهمه ويقول لكل واحد أنه جاهل. إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك لأن الهدوء يسكن خطايا عظيمة يوجد شر رأيته تحت الشمس كسهو صادر من قبل المتسلط الجهالة جعلت في معالي كثيرة والأغنياء يجلسون في السافل. قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد. من يحفر هوة يقع فيها ومن ينقض جداراً تلدغه حية. من يقلع حجارة يوجع بها من يشقق حطباً يكون في خطر منه. إن كل الحديد ولم يسنن هو حده فليزد القوة أما الحكمة فنافعة للإنجاح. إن لدغت الحية بلا رقية فلا منفعة للراقي. كلمات فم الحكيم نعمة وشفتا الجاهل تبتلعانه. ابتداء كلام فمه جهالة وآخر فمه جنون رديء. والجاهل يكثر الكلام لا يعلم إنسان ما يكون وماذا يصير بعده من يخبره. تعب الجهلاء يعييهم لأنه لا يعلم كيف يذهب إلى المدينة. ويل لك ايتها الارض اذا كان ملكك ولدا ورؤساؤك يأكلون في الصباح. طوبى لك أيتها الأرض إذا كان ملكك إبن شرفاء ورؤساؤك يأكلون في الوقت للقوة لا للسكر. بالكسل الكثير يهبط السقف وبتدلي اليدين يكف البيت. للضحك يعملون وليمة والخمر تفرح العيش أما الفضة فتحصل الكل. لا تسب الملك ولا في فكرك ولا تسب الغني في مضجعك لأن طير السماء ينقل الصوت والجناح يخبر بالأمر.

إرم خبزك على وجه المياه فإنك تجده بعد أيام كثيرة. أعط نصيبا لسبعة وثمانية أيضاً لأنك لست تعلم أي شر يكون على الأرض. إذا امتلأت السحب مطراً تريقه على الأرض وإذا وقعت الشجرة نحو الجنوب أو نحو الشمال ففي الموضع حيث تقع الشجرة هناك تكون من يرصد الريح لا يزرع ومن يراقب السحب لا يحصد. كما أنك لست تعلم ما هي طريق الريح ولا كيف العظام في بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع.في الصباح ازرع زرعك وفي المساء لا ترخ يدك لأنك لا تعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك أو أن يكون كلاهما جيدين سواء".

إن كانت ألغاز الحياة وتناقضاتها لا تستطيع أن تنزع فرح الإنسان للأسباب التى ذكرناها فى القسم الأول (٩ : ١ – ٩)، فهذه الألغاز والتناقضات لا يجب أن تمنعنا أيضاً من أداء أعمالنا وخدمتنا بكل قوة.

وحول هذه الفكرة يتحدث الجامعة من خمسة جوانب :

١– دعوة للعمل (٩ : ١٠).

٢– الزمن والمفاجآت (٩ : ١١ – ١٢).

٣– أهمية الحكمة (٩ : ١٣ – ١٨).

٤– خطورة الحماقة (١٠ : ١ – ٢٠).

٥– مغامرة الإيمان (١١ : ١ – ٦).

وسوف نتوقف أمام كل جانب من هذه الجوانب فى الصفحات التالية ..

١- دعوة للعمل (٩ : ١٠)

في هذا العدد يدعونا الجامعة، وهو يحمل في ذهنه المصادر المشجعة التي لنا في القسم الأول من رعاية ورجاء ورضى ورفقة، إلى العمل والإنجاز، وإلى التمتع بما نعمل. فما دمنا هنا على الأرض " تحت الشمس " (٩ : ٩) فالوقت هو وقت العمل، وقت أعمالنا اليومية ووقت خدمتنا. ويجب أن نقوم بأعمالنا ومسئولياتنا بكل قوة وكفاءة ونشاط وثقة، طالما أن فرصة الحياة مازالت بين أيدينا " كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها".

وهذه الكلمات تذكرنا بقول الرب يسوع في (يو ٩ : ٤) " ينبغي أن أعمل أعمال الذي أرسلني ما دام نهار يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل" . وهي نفس دعوة الرسول بولس إلى العمل التي وجهها إلى كنيسة كولوسي في (٣ : ٢٣ و ٢٤) " وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس. عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح".

وكلمة " الهاوية" Sheol في العبرية وردت في العهد القديم ٦٥ مرة، والمعنى المقصود في معظم التراجم وفي معظم المرات هو " القبر" grave. ففرصة الحياة هي الفرصة الوحيدة للعمل والابتكار والابداع وتراكم المعرفة

وحكمة تطبيق هذه المعرفة المكتسبة، لذلك في كل دور من أدوار الحياة، وفي كل مسئولية تعطى لنا، يجب أن نعمل بكل قوتنا.

والعمل دعوة وخدمة وشهادة للرب في منظورنا المسيحي (أنظر كو ٣ : ٢٣ – ٤ : ١ ، أف ٦ : ٥ – ٨ ، ٢تس ٣ : ٦ – ١٠) . وبهذا المفهوم يقول كارل هنري " خذ عملك مأخذ الجد لأنك تقدم أروع صورة للرب يسوع يسجد الكل تقديراً وشكراً لها ... العمل اليومي مذبح متنقل وأنت كاهن الله .. ومن خلال عملك تدفع العالم أن يلتقي ويرى الله والكنيسة .. إنها مسئولية خطيرة أن تذهب إلى العالم في عملنا اليومي كل يوم".

٢-الزمن والمفاجآت (٩ : ١١ – ١٢)

الجامعة وهو يدعونا إلى العمل بكل قوتنا يريد أن يذكرنا بأمرين :

الأول : أن القدرات والإمكانيات والمصادر وحدها مستقلة عن الله لا تضمن لنا النجاح الدائم. خاصة أمام عامل الزمن " الوقت" الذي يديره الله وحده، وعامل المفاجآت " العَرَض" التي يتعرض لها الجميع (١١). وهنا يذكر الجامعة خمسة مظاهر لهذا النجاح الغير مضمون فيقول :

- " السعي ليس للخفيف" نموذج عسائيل في (٢صم ٢ : ١٨ – ٢٣).
- " ولا الحرب للأقوياء" نموذج شمشون في (قض ١٦ : ١٩)، ونموذج سنحاريب في (أش ٣٦ و ٣٧).
- " ولا الخبز للحكماء" نموذج سليمان في (١مل ١١ : ١ – ٢٥ ، جا ٩ : ١٣ – ١٦).

- " ولا الغنى للفهماء" نموذج أخيتوفل (٢صم ١٦ : ٢٣ ، ١٧ : ٥ - ١٤).
- " ولا النعمة لذوى المعرفة" نموذج موسى الذى تسرع إلى القتل رغم كل علمه (خر ٢ : ١١ - ١٥ ، أع ٧ : ٢٢).

كل هذه المظاهر " الوقت والعرض يلاقيانهم كافة" يقول الحكيم فى (أم ٢١ : ٢٠) " ليس حكمة ولا فطنة ولا مشورة تجاه الرب" (أنظر ١صم ١٧ : ٤٧ ، ٢ أخ ٢٠ : ١٥).

الثانى : أن الإنسان الذى يؤخذ بهذه المظاهر، وينسى " وقته" أى الزمن والمفاجآت، ولا يعرف هذا " الوقت" أى متى تحدث هذه المصاعب، فسيؤخذ فجأة بشبكة مهلكة كالأسماك وبشرك كالعصافير (١٢). وبالتالى عليه أن يعمل بكل قوته مادام نهار، واضعاً فى حسابه مجد الله ونفع الآخرين، مدركاً أن الله يمسك بالزمن ويرعى ويضمن حياة أولاده وسط صعاب الأيام ومفاجآتها.

٣-أهمية الحكمة (٩ : ١٣ - ١٨)

على هذا الأساس الذى وضعه الجامعة (فى عددى ١١ و ١٢) يعود ليتحدث فى هذه الأعداد عن أهمية الحكمة، كما سيتحدث فى الإصحاح العاشر عن خطورة الحماقة، ثم يختتم القسم بالدعوة إلى مغامرة الإيمان فى (١١ : ١ - ٦).

وفى حديثه عن أهمية الحكمة يقدم لنا الجـامعة مثلاً واقعيـاً رآه فى الحياة " تحت الشمس " (٩ : ١٣ – ١٥)، والنتـائج أو الحقـائق التى انتهى إليها من تأملاته فى هذا المثل (٩ : ١٦ – ١٨).

فى المثل (١٣ – ١٥) يرينا مدينة صغيرة محاصرة من ملـك عظيـم ، يرينـا صراع القوة التى للملك والضعف والصغر الذى للمدينة. ووجد فى هـذه المدينة رجل مسكين فقير ولكنـه حكيم " فنجىٌ المدينة بحكمته وما أحد ذكر ذلك الرجل المسكين " (١٥). والفعل " نجىٌ " قد يعنى كما يقول كيدنر Kidner أن الرجل خلص المدينة فعلاً لكنه نُسى بعد ذلك، ويضيف " إننا يجب أن نتعلم أن لا نعتمد ولا نركن إلى أى شئ عـابر مثل امتنان الجماهير وعرفانها بالجميل". وقد يعنى كما يقول Wiersbe ومايكل ايتـون Eaton أن الرجل كان يمكنه أن يخلص المدينة، لكن أبصار الناس قد تجاوزته لأنه فقير ومسكين. أما كـايزر Kaiser فيدعم الرأى الأول ويعلـق أنـه برغـم أن حكمة الرجل لم تفده شخصياً، لكنها أفادت الناس والمجتمع.

أما النتائج التى انتهى إليها (١٦ – ١٨) فهى كالآتى :

– النتيجة الأولى : " الحكمة خير من القوة" حتى لو لم يلتفت إليها الناس لأنها نابعة من مخافـة الله (١٦ أ) (أنظر أم ١ : ٧ و ٢٩ ، ٢ : ٥ ، ٨ : ١٣ ، ١٥ : ٣٣). ويضـع كـايزر نموذجـاً لهـذه النـتيجة حكمـة المرأة التى انقـذت المـدينة وقـت

حصار يوآب لها كما جاء في (٢صم ٢٠ : ١٦ – ٢٢)، ونحـن يمكـن أن نضيـف نـموذج أبيجايـل في (١ صم ٢٥).

– النتيجة الثانية : وهي الوجه الآخر للأولى " حكمة المسكين محتقرة وكلامه لا يُسمع" (١٦ب) فالحكمة لا تُقدر دائماً.

– النتيجة الثالثة : لكي تُسمع الحكمة لابد لها من مناخ الهدوء والموضوعية والتفكير الإيجابي والثقة (اش ٣٠ : ١٥) والرضى (جا ٤ : ٦).لكن الحكمة قد لا تنجح في طريقها دائماً في مقابل " صراخ المتسلط" أي " الحاكم " بين الجهال، أي صراخ الحاكم وسط الرفقة الصاخبة المتملقة لأعوانه والتي لها الأثر السيئ والسلبي عليه (١٧).

– النتيجة الرابعة : والأخيرة في عدد (١٨) أن " الحكمة خير من أدوات الحرب" أي الحكمة قوة، لكن يمكن الإطاحة بها، لأن خاطئاً واحداً يفسد خيراً جزيلاً. ويقول كايزر أن كلمة " خاطئ " ربما تشير إلى الحاكم " المتسلط " الذي في حماقته وانتفاخه وغروره يرفض الحكمة ويطيح بها.

يقول الحكيم فى (أم ٨ : ١ – ٦) " ألعل الحكمة لا تنادي و الفهم ألا يعطي صوته. عند رؤوس الشواهق عند الطريق بين المسالك تقف. بجانب الأبواب عند ثغر المدينة عند مدخل الأبواب تصرح. لكم أيها الناس أنادي وصوتي إلى بني آدم. أيها الحمقى تعلموا ذكاء و يا جهال تعلموا فهماً. إسمعوا فإني أتكلم بأمور شريفة و إفتتاح شفتي إستقامة " .

والمجتمعات الصالحة تبرز الحكماء وترعى الموهوبين، وتقدر كل إضافة وإنجاز حقيقي، والمجتمعات غير الصالحة تقتل إبداع الفرد، وتخنق المواهب، ولا تقدر أو تشجع الإنجاز.

٤- خطورة الحماقة (١٠ : ١ - ٢٠)

بعد أن حدثنا الجامعة عن أهمية الحكمة، يعلمنا فى هذا الإصحاح عن خطورة الحماقة فى مقابل أهمية الحكمة، ثم يقدم بعض التطبيقات فى مجالات مختلفة كالآتي :

أ- الحماقة (١٠ : ١ - ٣) :

ذكرت كلمة " الحماقة" ٩ مرات فى هذا الإصحاح. ويشرح العدد الأول العبارة الأخيرة فى (٩: ١٨) " أما خاطئ واحد فيفسد خيراً جزيلاً ". فكما أن الذباب الميت يفسد الطيب، هكذا جهالة قليلة تفسد سمعة الإنسان، وتظهر كأنها أثقل وأفضل من الحكمة ومن الكرامة، كما حدث مع صراخ المتسلط بالمقارنة بالرجل الحكيم المسكين الذى حاول أن يخلص مدينته الصغيرة. وفى هذا العدد يضع الجامعة المبدأ الرئيسى بفكرة الإصحاح كله أن الحماقة تسبب المشاكل لأصحابها مهما حاولت أن تظهر غير ذلك.

وفى العدد الثانى يجاوب الجامعة على التساؤل ما الذى يجعل إنساناً حكيماً والآخر أحمقاً ؟. ويجاوب الجامعة يجب أن لا تخدعنا المظاهر، بل يجب أن نتوقف أمام وضع وإتجاه " القلب" ويعنى " العقل " أو " الطبيعة الداخلية " أو " شخصية " الإنسان الناضجة أو غير الناضجة، وكذلك يقول الحكيم فى (أم ٤ : ٢٣) " فوق كل تحفظ أحفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة " "وقلب الحكيم عن يمينه" أى مستعد دائماً أن يحميه من مخاطر عديدة، " فاليمين "

تفيد الاستعداد للدعم والحماية. يقول المرنم " الرب ظل لك عن يدك اليمنى" (مز ١٢١ : ٥) ويقول " جعلت الرب أمامى فى كل حين لأنه عن يمينى فلا أتزعزع " (مز ١٦ : ٨) أما " قلب الجاهل عن يساره " أى لا يفيده ولا يهديه لحماقته وعدم نضوجه.

وفى العدد الثالث " أيضاً إذا مشى الجاهل فى الطريق " وقد تشير " الطريق " إلى الشارع فى المعنى الحرفى، أو إلى أسلوب حياة الجاهل عامة وطريقة تعامله مع الناس. وهنا ينكشف الجاهل " ينقص فهمه " أو " ينقصه الفهم " ويعرف كل من يتعامل معه أنه جاهل أو أحمق (أم ١٠ : ٢١). ويقول جونز " لأنه يدعو كل من يحاول تقويمه إنه أحمق ويرفض النصيحة ويعتمد على تقديره وأحكامه هو"، ويقول إيتون" إن عجزه الداخلى يفيض خارجاً ليظهر على المكشوف فيراه الجميع". فى باقى الإصحاح يقدم بعض التطبيقات ...

ب- فى مجال السلطة (١٠ : ٤ - ٧) :

فى هذه الأعداد يطبق الجامعة فكرة خطورة الحماقة ويبرز فى مقابلها موقف الحكمة فى مجال التعامل مع السلطة. والكلمة المفتاحية لهذا الجزء هى " الصبر " والهدوء وضبط النفس أمام حماقة المتسلط أو الحاكم، فيقول فى (عدد ٤) " إن صعدت عليك روح المتسلط فلا تترك مكانك لأن الهدوء يُسكنّ خطايا عظيمة ". ويقول John F.Genang إن حكمة الصبر

والهدوء وضبط النفس نجدها فى كلمات الرب يسوع فى التطويبات حين قال " طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض " (مت ٥ : ٥). ويقول الحكيم فى (أم ١٦ : ١٤) " غضب الملك رسل الموت و الإنسان الحكيم يستعطفه" ، وفى (أم ٢٥ : ١٥) " ببطىء الغضب يقنع الرئيس و للسان اللين يكسر العظم " .

وفى (الأعداد ٥ – ٧) يؤكد الجامعة إن أعمال الحكام والرؤساء ليست كلها عادلة أو كاملة، وكلمة " سهو" تعنى خطأ الحاكم. فيتحدث عن المأساة التى تحدث أحياناً أن الحكام يضعون أعوانهم الحمقى فوق الأشخاص المؤهلين أكثر للعمل، وهى أخطاء تتكرر من الحكام والمسئولين، ولذلك يضيف فى العدد السابع " قد رأيت عبيداً على الخيل ورؤساء ماشين على الأرض كالعبيد". أوضاع مقلوبة، لكن الحاكم الذى يمتلك حكمة الله يضع الأشخاص المناسبين المؤهلين فى أماكنهم الصحيحة. يقول الحكيم فى (أم ١٩ : ١٠)" التنعم لا يليق بالجاهل كم بالأولى لا يليق بالعبد أن يتسلط على الرؤساء " وفى (أم ٣٠ : ٢١ و ٢٢) " تحت ثلاثة تضطرب الأرض وأربعة لا تستطيع احتمالها. تحت عبد إذا ملك و أحمق إذا شبع خبزا ".

ج- فى مجال العمل (١٠ : ٨ – ١١) :

هنا يستمر الجامعة فى حديثه عن مسئوليتنا فى السلوك بحماقة أو بحكمة فى مجال العمل وتحمل النتائج التى تترتب على ذلك. والكلمة المفتاحية فى

هذه الأعداد - كما يقول كايزر - هى " النجاح " والتى جاءت فى نهاية العدد العاشر.

ويقدم مجموعة من الأمثال التى تبين نوع السلوك أو موقف الإنسان، ثم المخاطر والنتائج المترتبة عليه مثل :

- " من يحفر هوة ... يقع فيها "
- " من ينقض جداراً ... تلدعه حية "
- " من يقلع حجارة ... يوجع بها "
- " من يشقق حطباً ... يكون فى خطر منه "
- " إن كلّ الحديد ولم يسن هو حده ... فليزد القوة "

ويريد الجامعة أن يقول عدة دروس.

<u>أولاً :</u> فى المثلين الأول والثانى الأفعال السيئة الحاقدة تنتهى بنتائج سيئة وقاتلة. ولنذكر شنق هامان على المشنقة التى صنعها (أستير ٧ : ٩ و ١٠).

<u>ثانياً:</u> فى كل الأمثال الجهالة تقود صاحبها للغفلة وعدم الانتباه وعدم الاهتمام أو التدقيق فيسقط فى الحفرة ويلدغ من الحية. أما الحكمة فتدعو إلى الدقة والمثابرة والاجتهاد، فكل عمل له مخاطرة " فمن يقلع حجارة يوجع بها، ومن يشقق حطباً يكون فى خطر منه".

ثالثاً: الحماقة تدفع إلى التسرع والإهمال فتهدر الوقت والجهد، أما الحكمة فتدعو إلى الإعداد الجيد " إن كلّ الحديد ولم يسنن هو حده فليزد القوة " ثم يضيف " أما الحكمة فنافعة للإنجاح ".

رابعاً : الحماقة لا تجعل صاحبها يقوم بالتحرك المناسب فى وقته، وبالتالى يفشل بالرغم من قدرته على عمل شئ. أى أن البطىء يلغى البراعة، فتدلغ الحية قبل أن تتم رقية الراقى (١١). والعكس صحيح، فالحكمة تجعل صاحبها أن يقوم بالتحرك المناسب قبل فوات الأوان لأنها نافعة للإنجاح.

د- فى مجال الكلام (١٠ : ١٢ - ١٥) :

وفى مجال الكلام من الطبيعى أن تكون الكلمة المفتاحية هى " اللسان" أو " الكلام". وفى هذه الأعداد يتحدث الجامعة عن الجهالة والحكمة فى مجال الكلام، فكلام الإنسان هو الاختبار الحقيقى والمعبرٌ الصحيح عن شخصيته. ويمكن أن نرى فى هذه الأعداد :

أولاً : الأثر (عدد ١٢) :

أثر كلمات الحكيم والجاهل فيقول " كلمات فم الحكيم نعمة" وكلمة " نعمة" تجسد كل ما هو جميل ومهذب (مز ٤٥ : ٢ ، أم ٢٢ : ١١) ، وتناسب

المستمع والموقف (أم ١٥ : ٢٣ ، ٢٥ : ١١)، ونافعة وبناءة (أف ٤ : ٢٩ ، كو ٣ : ١٨)، ومطلوبة ومحبوبة (أم ٢٥ : ١٢ و ١٥).

أما تأثير كلمات الجاهل فمدمرّ، وأول من يدمّر هو. لأن الجاهل عدو نفسه " وشفتا الجاهل تبتلعانه" (مز ٥٢ : ٤) تدمر سمعته (جا ١٠ : ٣) وشخصيته (يع ٣ : ٦) مع (مت ١٢ : ٣٦ و ٣٧).

<u>ثانياً:</u> المضمون (عدد ١٣):

وتشير الكلمات هنا إلى انعدام التفكير المنطقى السليم الذى يبدأ بالحماقة وينتهى إلى الانحراف الأخلاقى " جنون ردئ". فلا يوجد مقياس لدى الجاهل فى الحديث، والنتيجة تطرف ردئ.

<u>ثالثاً :</u> الشخصية (أعداد ١٤ و ١٥) :

فى (عدد ١٤) نرى الجاهل يعبرٌ عن نفسه بالجهل والغرور. فهو يتكلم كثيراً ولا يدرى عما يتكلم أصلاً (أم ١٠ : ١٩)، أى أنه يتكلم بدون معرفة أو حكمة، فلا معرفة له بالحاضر أو بالمستقبل ومن غروره وعجرفته يرفض أن يستمع إلى أحد.

وفى (عدد ١٥) نرى عدم الكفاءة والعجز، عدم الصلاحية والأهلية لدرجة أنه يجهل حتى الأشياء المألوفة التى يعرفها الجميع، فيدور حول نفسه لدرجة

الإعياء. ويقول إيتون " هنا نجد الكسل الذهنـي والأخلاقـي الـذى يقـود بالضرورة إلى حياة توصف بالتعثر والارتباك والتحطيم والانهيار".

هل نطلب باستمرار حكمة سماوية تضبط شفاهنا، وهل نتعلم من كلمات الرسول يعقوب فـــى (يع ١ : ١٩ – ٢٦) إذ يقول " إذا يا أخوتي الأحباء ليكن كل إنسان مسرعا في الاستماع مبطئا في التكلم مبطئا في الغضب. لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله. لذلك إطرحوا كل نجاسة وكثرة شر فاقبلوا بوداعة الكلمة المغروسة القادرة أن تخلص نفوسكم. و لكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم. لأنه إن كان أحد سامعا للكلمة وليس عاملا فذاك يشبه رجلا ناظرا وجه خلقته في مرآة. فإنه نظر ذاته و مضى و للوقت نسي ما هو. و لكن من إطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت و صار ليس سامعا ناسيا بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطا في عمله. إن كان أحد فيكم يظن أنه دين و هو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة".

هـ في المجال القومى (١٠ : ١٦– ٢٠) :

بعد أن تحدث الجامعة عن مجال السلطة فى (الأعداد ٤ – ٧) يتحدث فى هذه الأعداد عن تأثير الحكمة والحماقة على الأمة ككل، وهو يشير إلى طريقين للحياة أو مصيرين قوميين للأمة.

الطريق الأول (عدد ١٦) :

هو طريق الكارثة " ويل لكِ أيتها الأرض" لماذا؟ يقول " إذا كان ملكك ولداً " والعبارة لا يقصد بها السن بل درجة النضوج. فالملك هنا يفكر ويتصرف بطريقة غير ناضجة، ناقصة الخبرة. وحاجة الأمة إلى قائد حكيم وناضج. ثم يضيف " ورؤساؤك يأكلون فى الصباح " أى يبدأون الولائم للأكل والشراب فى بداية اليوم، وهنا إشارة إلى الانغماس فى الترف والملذات الشخصية، وحياة الإنحلال والتراخى وإهمال مصالح الناس.

الطريق الثانى (عدد ١٧) :

هو طريق الازدهار والسلامة، ولذلك يقول " طوبى لكِ أيتها الأرض ". فالملك " ابن شرفاء". أى أن وضعه فى المجتمع يمكّنه من العمل بنضج وشجاعة واستقلالية حكيمة. وهو ومن معه المسئولين يعيشون حياة تتسم بضبط النفس والتوازن السوى الصحى، فيأكلون ويستمتعون بأوقات طيبة فى الوقت المناسب لذلك ، وفى حالة من " القوة " أى " الوعى "، وليست حالة من " السُكر ".

فى الحالة الأولى (القوة – الوعى) يكون الاستمتاع بالحياة طريقاً لسعادة وصحة قومية لكل الأمة، وفى الحالة الثانية " السُكْر " يكون الانغماس فى الملذات طريقاً إلى الخطر القومى.

المصير الحتمى (أعداد ١٨ و١٩):

وهنا يضيف إلى حالة عدم النضج (١٦) وعدم ضبط النفس (١٧) الحياة الكسولة (١٨) وحياة التحرر والتحلل والنظرة الحمقاء المحدودة بالولائم والخمر والمال. وهنا يمكن تطبيق هذا الكلام على الأمة أو على الفرد فى حياته الشخصية. فكسل وتباطؤ الأحمق وعدم العناية بتفاصيل الحياة ، وعدم تحمل المسئولية هو الطريق إلى العجز التام والتدهور الحتمى كما نرى فى الفعل" يهبط " أى يسقط أو ينهار (مز ١١٩ : ٢٨ ، أو كما يترجم أحياناً " يتسرب " كقطرات الماء (أم ١٩ : ١٣ ، ٢٧ : ١٥ ، أيوب ١٦ : ٢٠). ثم يضيف إلى الكسل والتراخى التحرر والطيش والجهالة فيقول فى (١٩) " للضحك " أى للعبث يعملون وليمة، والخمر تفرح العيش، أما الفضة فتحصل الكل. وهنا نرى العبث ، والخمر ، والمال الذين يظنون أنه يشترى كل شىء ويحقق كل شىء. إنها حياة فارغة كسولة عابثة، ترى الحياة بأفق محدودة باللهو والخمر والمال، فلا غرابة أن تكون النهاية السقوط والانهيار للبيت أو للأمة.

نصيحة ختامية (عدد ٢٠) :

هذه النصيحة تدعونا أن نتحلى بالهدوء والحكمة فى الأزمنة الصعبة التى تتسم بالركود، وعدم النضج ، والانغماس فى الرزائل ، وعدم مصداقية الرؤساء والمسئولين. وأن لا تندفع إلى كلمات هوجاء متمردة نابعة من فكر هائج متمرد، يمكن أن يأخذها البعض فى غير صالحنا فى وقت من الأوقات. ولذلك يقول " لا تسب الملك ولا فى فكرك " أى أن تعمل اعتباراً للوظيفة أو المكانة التى دُعى إليها. وفى سفر الخروج يربط بين الاثنين " لا تسب الله ولا

تلعن رئيساً فـى شعبك "(خر ٢٢ : ٢٨) . ليس ذلك فقط، بل لكيـلا تؤخـذ كلماتك فى غير صالحك من المحيطين بك أو المحيطين بـالملك " لأن طـير السماء ينقل الصـوت وذو الجناح يخبر بالأمر " وهـو مثل معروف له مـرادف عندنا " الجـدران لها آذان " أو " العصفورة قالت لى " لذلك ننصح بحكمة الهدوء والتمييز والحذر وضبط كلمات أفواهنا.

إن القصد النهائى من كل هـذا الإصحاح ، هـو أن نـرى الحياة كما هـى فـى واقعها، وأن نأخذ حياتنا كل يوم من يد الرب، وأن نثق به ، وأن نقـوم بدورنا بكل قوتنا، ونستمتع بالحياة كعطية منه ولمجده، وأن نتحلى بالحكمة النابعة من الحياة فى مخافته والطاعة لكلمتـه فـى كـل فكر وقـول وعمـل، وأن نـأخذ حياتنا بكل مـا فيها بـروح الرضـى والشكر، وأن نذكر وننهل مـن منابع الفرح والقوة التى لنا منه.

٥- مغامرة الإيمان (١١ : ١ - ٦)

يختم الجامعة هذا القسم الذى تحدث فيه عن العمل بكل قوتنا ، وأن نستمتع بمصادر الفرح ومنابع القوة التى لنا فى حياتنا على الأرض والتى أعطاها لنا الله، بهذه الأعداد التى يدعونا فيها أن نأخذ حياتنا وأعمالنا وخدمتنا مغامرة إيمان تستحق أن نحياها.

فى (العدد ١) يقدم الفكرة الحاكمة أو المبدأ. ثم يوضح فكره من خلال مثلين، فى (الأعداد ٢و٣) نجد المثل الأول وفى (الأعداد ٤-٦) نجد المثل الثانى.

الفكرة الحاكمة أو المبدأ العام (عدد ١) :

فى هذا العدد نجد أكثر من تفسير أو معنى.. من ضمن هذه التفاسير أو المعانى : يقول البعض أن الجامعة يتحدث لشعب إسرائيل وفى ذهنه التجربة التى اختبروها فى أرض مصر فى زراعة الأرز على الأرض المشبعة بالماء وقت فيضان نهر النيل وحينئذ يكون الثمر متكاثراً جداً.

ونجد أيضاً التفسير اليهودى التقليدى الذى يقول أن الجامعة كان يتحدث ويحث على إعطاء الصدقة للفقراء والمساكين وهذا المعطى سيعوضه الله كثيراً عن صدقته. إلا أن البعض الآخر قد أرجع هذا المثل أو هذه الصورة إلى عيـــد من الأعياد التى كانت مشهورة ومعروفة زمن الجامعة، هو عيد

" أدونيس " وكان أدونيس هذا هو رب أو إله الزراعة. وكان من ممارسات الناس فى ذلك الوقت أن يضعوا كميات من الحنطة فى سلال مجهزة لهذا الغرض، ويلقون بها فى البحر أو الينابيع وهم يستبشرون بذلك خيراً، إذ أن هذا العمل يرضى الإله أدونيس فيعطى محصولاً كثيراً. إلا أن هذا التفسير أبعد بكثير عما ينادى به سفر الجامعة.

والمعنى الأخير وهو المعنى الأقرب لنا هو أن الجامعة يتحدث عن صورة من صور التجارة البحرية التى يعمل صاحبها فى تجارة الحنطة مثلاً. وهو يحدث هذا التاجر البحار فيقول له ولنا: علينا أن نستخدم ما بين أيدينا فى عملنا وفى خدمتنا بأمانة وكفاءة وإيمان واثق بثمر كثير.

المثل الأول : مثل التاجر (أعداد ٢و٣) :

فى هذا المثل يبنى على المبدأ العام ويطوره بصوره أوضح. فيقول إن الحكمة وأنت تعيش الحياة كمغامرة إيمان أن تدرك أن الحياة لا يمكن أن تؤسس على قاعدة واحدة. ولذلك فلا تضع كل ما لديك من بيض فى سلة واحدة لئلا تتحطم السلة فيتحطم معها كل ما تملك. ولكن الحكيم يعرف " الوقت والحكم " لذلك كن حكيماً فى وكالتك، " أعط نصيباً لسبعة ولثمانية أيضا لأنك لست تعلم أي شر يكون على الأرض " (٢).

لا تضع هذه الوزنات وتطمرها في الرمال، بل استخدمها في أكثر من مجال (لسبعة ولثمانية) فإذا فشل واحد من هذه المجالات فلا شك أن مجالاً أو طريقاً آخر سينجح ويعطي ربحاً وفيراً لأنك لست تعلم أي شر يكون على الأرض.. ويضيف كايزر فكرة العلاقات البناءة المتبادلة مع آخرين من الأصدقاء، فتجد من بينهم في وقت ما سنداً كبيراً نتيجة لما سبق وشاركت به في حياتهم. ويوضح الجامعة فكرته أكثر من خلال صورتين من الطبيعة :

الصورة الأولى :

" إذا امتلأت السحب مطراً تريقه على الأرض ". والتشبيه يحمل مفهوماً عميقاً فإن السحب لكي تمتلىء فإنها تحتاج إلى وقت، وهي دعوة للانتظار وعدم التعجل في تحقيق النجاح. ولكن حين تمتلىء السحب أين ستذهب بما تحمل ؟ هل إلى الفضاء الخارجي ؟ أبداً، ستريقه وتعيده مرة أخرى للأرض.

والصورة الثانية:

أخذها الجامعة من فكرة " الشجرة " فإن الشجرة أينما وقعت فإنها ستقع في الأرض التي زرعت فيها. وهكذا يا من تعمل وتجتهد وتستخدم وكالتك بحكمة وتخطيط دقيق، وتنتظر وتصبر على عملك، تأكد أن الثمار والخيرات ستكون من نصيبك في النهاية.

المثل الثانى مثل المزارع (أعداد ٤ – ٦) :

فى هذا المثل يعالج الجامعة مشكلة التردد واختلاق الأعذار وانتظار الظـروف المواتية فيقول من خلال صورة المزارع " من يرصد الريح لا يـزرع ومـن يراقب السحب لا يحصد " (عدد ٤). فإن كانت الحياة مغامرة إيمان، فلنعمـل حتى وإن كانت الظروف معاكسة. أما إذا كنا نبحث عن عذر لكى لا نعمل، فسوف لا نعمل أى شىء. ثم يضيف الجامعة عبارة كررها فى هذا الجـزء أكثر من مرة هـــــى " لست تعلم " فى (عددى ٢ ، ٥) " ولا تعلـم " فـى (عددى ٥ ، ٦) أى أنك لا تضمن كيف ستسير الظروف والأمور لأنك لست تعلم.

ويستخدم الجامعة تطبيقين يؤكد بهما كلامه عـن عدم علم الإنسان، التطبيق الأول " طريق الريح " ولعل هـذا مـا قصده السيد المسيح أيضاً حـين قـال لنيقوديموس فى (يوحنا ٣ : ٨) " الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب ".

والتطبيق الثانى " العظام فى بطن الحبلى " (مز ١٣٩ : ١٤و١٥). ولعل العلم الحديث يعرف هذا، ولكن الجامعة يقصد شيئاً أعمق هـو " كذلك لا تعلـم أعمال الله الذى يصنع الجميع ". أى أنت لا تستطيع أن تعرف أعمال الله فى خليقتـــه، ولا أن تعترف توقيتـــه وغرضـــه لكـل شىء (جا ٣ : ١ – ١١).

إذن ، إن كانت الحياة مغامرة إيمـان لا ترتبـط بـالظروف (٤)، ولا ترتبـط بعلم الإنسان المحدود (٥)، فالدعوة أن نقوم بدورنـا بإجتهاد، وأن نستثمـر أيامنا بحكمة " مفتدين الوقت " (أف ٥ : ١٥ - ١٧)، واثقين فى الـرب وفـى كلمتـه. ولذلك يصل الجامعة إلى الحقيقة التى يريد أن يتركـها لنا فيـقول فـى (عـدد ٦) " فـــى الصبـــاح أزرع زرعـــــك وفـى المسـاء لا تــرخ يـدك ". استخـــدم مـا بـين يديــــك مــن وزنـــات ومواهـــب وإمكانيـــات أعطـــاهـــا الله لـك أفضـــل استخـدام، فـى أكثـــر من مجـال كالتاجـــر، وفى أكثر من محصول كـالزارع، " لأنـــك لا تعلــم أيهمـــا ينمـــو هـــذا أو ذاك أو أن يكـون كلاهمـا جيدين سـواء " واثقاً فـى رب الحصاد. لا ترتبـك أو تشتت وقتك فى رصد الربح أو مراقبة السحب، لأنك لن تحقق شيئاً من ذلك. ولكن أقبل الحيـاة كمغامرة إيمان من يد الله كـل يـوم كمـا هـى، فـى عمـل واجتهاد وابتكار وصبر ومرونـة وطـرق أبـواب ومجـلات جديـدة. واجـه حيـاتك بشجاعة وواقعية وإيمان برغم عوامل الزمن والظروف والمفاجـآت، لأنـك بـين يدين أمينتين.

القسم الثالث

دعوة للحياة فى نور الأبدية

(١١ : ٧ - ١٢ : ٨)

"النور حلو وخير للعينين أن تنظرا الشمس. لأنه إن عاش الإنسان سنين كثيرة فليفرح فيها كلها ويتذكر أيام الظلمة لأنها تكون كثيرة كل ما يأتي باطل. افرح أيها الشاب في حداثتك و ليسرك قلبك في أيام شبابك واسلك في طرق قلبك و بمرأى عينيك وأعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة. فانزع الغم من قلبك وأبعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان. فاذكر خالقك في أيام شبابك قبل أن تأتى أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لي فيها سرور. قبل ما تظلم الشمس والنور والقمر والنجوم وترجع السحب بعد المطر. في يوم يتزعزع فيه حفظة البيت وتتلوى رجال القوة و تبطل الطواحن لأنها قلت و تظلم النواظر من الشبابيك. وتغلق الأبواب في السوق حين ينخفض صوت المطحنة و يقوم لصوت العصفور وتحط كل بنات الغناء. وأيضا يخافون من العالي و في الطريق أهوال و اللوز يزهر و الجندب يستثقل و الشهوة تبطل لان الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي و النادبون يطوفون في السوق. قبل ما ينفصم حبل الفضة أو ينسحق كوز الذهب أو تنكسر الجرة على العين أو تنقصف البكرة عند البئر. فيرجع التراب إلى الأرض كما كان و ترجع الروح إلى الله الذي أعطاها. باطل الأباطيل قال الجامعة الكل باطل".

إن كان الجامعة قد أكّدَ لنا فى الأعداد السابقة أن الحياة مغامرة إيمان، فهو يؤكد لنا فى هذه الأعداد الحقيقة الكبرى التى طالما ذكرها وكررها فى كل السفر، أن الحياة عطية رائعة من الله لكل منا. ولأن الحياة عطية لنا فلنفرح بها (١١ : ٧ – ١٠). ولأن الحياة عطية منه فلنسمع صوته (١٢ : ١ – ٨).

أولاً : الحياة عطية لنا فلنفرح بها (١١ : ٧ – ١٠)

الحياة عطية غالية من الله، وهو يدعونا هنا أن نتمتع ونفرح بهذه العطية فى كل أيامنا هنا على الأرض. والجامعة يقدم لنا هذه الحقيقة فى (الأعداد ٧و٨)، ثم كيفية الممارسة العملية فى (الأعداد ٩و١٠).

الحقيقة (أعداد ٧ و ٨) :

طوال الرحلة مع مناقشات الجامعة، نستطيع أن نرى بوضوح التأكيد الدائم على حقيقة أن الحياة التى بين أيدينا هى عطية ثمينة من الله، ولذلك يجب أن نتمتع ونفرح بها (أنظر ٢ : ٢٤ ، ٣ : ١٢ – ١٥ ، ٣ : ٢٢ ، ٥ : ١٨ – ٢٠ ، ٨ : ١٥ ، ٩ : ٧ – ١٠).

ومرة أخرى يقدم الجامعة نفس الدعوة فى العددين السابع والثامن فيقول " النور حلو وخير للعينين أن تنظرا الشمس ". وفى هذه العبارة يصوّر خير الحياة " بالنور " الذى يشير دائماً إلى الفرح والإشراق (أنظر تك ١ : ٣و٤ ، أيوب ١٠ : ٢٢ ، ١٨ : ٥و٦) أى أن الحياة الحقيقية فعلاً والتى تستحق أن

نحياها هـى الحياة التـى تعيش فـى " النـور " و " تنظـر الشمس "، أى الحيـاة التى نحياها فى فرح. هذه الحياة الفرحـة توصف بكلمتى "حلـو " و " خـير " أو طيب. وكلمـــــة " حلو " تعبر عن حلاوة العسل (قـض ١٤ : ١٤)، وعكـس كلمة " مر " (أش ٥ : ٢٠). والكلمتــان " حلو وخير " تشـيران ليس فقط إلى أن الحياة طيبة فى ذاتها ، بل يجـب أن نتـذوق نكهتها بحمـاس، كمـا يتـذوق الإنسان شهد العسل (إيتون).

وفى العدد الثامن يقول لنـا الجامعة أن هـذا الفـرح يجـب أن نستمتع بـه كـل الحياة " لأنـه إن عـاش الإنسان سنين كثـيرة فلنفـرح فيـها كلـها ". أى علـى الإنسان أن يبذل جهداً إيجابيـاً ليفـرح بحياتـه، ولذلـك يحثه أن يحيـا الحـاضر وهو يتطلع إلى المستقبل ، وأن يتذكر أمرين، الأول " أيام الظلمـة " والبعـض قال إن أيام الظلمـة تشير إلى أيـام المحـن والتجـارب، لكـن قرينـة النـص كلـه تؤيد أن المقصود بأيام الظلمة الموت (أنظر جا ٦ : ٤).

إن تذكر حقيقة الموت واستحالة استعادة الحياة هنا علـى الأرض مـن جديـد، يجعل الاستجابة الفرحة للحياة أمراً حتمياً وعـاجلاً. الأمـر الثـانى الـذى يجـب أن يتذكره الإنسان حتى يفرح ويستمتع بحياته دائمـاً، هـو بُطـل الحيـاة " كـل ما يأتي باطل ". وبُطل الحياة الكامن فيـها هـو العقم والتناقضـات والمفاجـآت التى تؤثر على الإنسـان. لذلـك يجـب أن نبـذل جهداً ضرورياً إيجابياً لنتمتـع بحياة الفرح، فى ضوء تذكرنا بهذين الأمرين.

والسؤال المهم هنا : كيف يمكن للإنسان أن يمارس هذه الحياة الفرحة عملياً وسط هذه العوامل ؟ والإجابة تكمن أولاً : في العودة الدائمة إلى مصادر وينابيع الفرح التي تحدثنا عنها سابقاً في (٩ : ١ - ٩)، وثانياً : في كيفية الممارسة العملية للفرح في العددين التاليين.

٢- الممارسة (أعداد ٩ و ١٠) :

وفي الممارسة أيضاً يدعونا الجامعة أن نستمتع ونفرح بالحاضر، ونحن ننظر بوعي إلى المستقبل.. كيف؟ يقول لنا الجامعة " أفرح " (٩) " فانزع " (١٠).

أ- افرح (عدد ٩) :

وهنا يدعو الشباب إلى حياة الفرح والمسرة في أيام شبابه، وليكن الفرح نابعاً من داخل حياة الشاب " ليسُرَك قلبك " فالقلب منبع ومركز الحياة الداخلية، مصدر الفكر والشعور والإرادة والشخصية. وبالتالي ليكن الفرح أسلوب الحياة العملي الخارجي " واسلك في طرق قلبك وبمرأى عينيك ". فإن كان القلب وهو منبع الفرح، فالعيون هي الوسيلة والقناة والأداة (أيوب ٣١: ٧). ومرات يأتي الاثنان معاً في الكلمة المقدسة (أنظر تث ٢٨ : ٦٧، إر ٢٢ : ١٧).

لكن القلب والعين يمكن كما نعلم من كلمة الله ومن اختبار حياتنا أن يقودا الإنسان إلى الفرح الحقيقي، أو إلى الفرح المزيف والوقتي

والـخادع والشرير. والطريق الصحيح للشباب – ولنا جميعاً – أن نمارس فرح الحياة ونستمتع بها فى نور الإدراك الواعى بحتمية ملاقاة الرب الديان، وفى نور قيم الأبدية. فيقول فى (٣ : ١١) " صنع الكل حسناً فى وقته وأيضاً جعل الأبدية فى قلبهم"، ويقول هنا " واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتى بك الله إلى الدينونة ".

أى أيها الشاب أنت مدعو لحياة الفرح الكامل والمسرة الحقيقية ، ولكن اذكر كمؤمن أنك تعيش قدام الله، وبالتالى مهم نوعية الفرح وطريقة الفرح. والإيمان لا يدعونا إلى الحياة الجافة الخالية من الفرح والبهجة، بل يدعونا – كما يقول كيدنر – إلى الفرح المسئول to rejoice responsibly . ثم يضيف، الفرح الذى خلق لكى يرقص مع الصلاح، لا أن يرقص وحده كما فى حالة (عدد ١٥ : ٣٩) .

ب- انزع (عدد ١٠) :

بناء على المفهوم الذى قدّمه للفرح يقول للشاب " فانزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك لأن الحداثة والشباب باطلان". أى انزع كل ما يعيق ويعطل حياة الفرح فى داخلك، مثـــل " الغم " والمقصود به : الحزن ، الألم الداخلى، الغضب والغيظ، القلق، خيبة الأمل ، الأشياء التى تدفع إلى التشاؤم والهم والشك. انزع هذه الأمور وامتلىء بسلام الله (فى ٤ : ٦ – ٩). انزع " الغم من قلبك " من الداخل، " وابعد الشر عن لحمك " من الخارج ،

أى كل ما يضعف حياتك الداخلية والخارجية معاً، انزع وابعد كل غم فى القلب وكل ضعف فى الجسد.

لماذا ؟ مرة أخرى يدعو الشباب أن يحيا فرح الحاضر وهو ينظر إلى المستقبل فيقول " لأن الحداثة والشباب باطلان" ، والعبارة تعنى أن الحداثة والشباب " زائلان " transient أو fleeting، وهى من الكلمة العبرية " hebel " . ولأن أيام الشباب سريعة وزائلة، فاستثمرها خير استثمار بعيداً عن الأذى والألم والتمزق والأسى وكل ما يدمر النفس أو الجسد. استمتع بحياة الفرح الحقيقى الراقص مع الصلاح ، فرح النور والإشراق فى أيام الشباب، لأنها الطريق إلى رجولة وكهولة قوية وسعيدة وصالحة. يقول Wiersbe إن كلمة " الشباب " فى العبرية يمكن أن تترجم " وقت بزوغ الفجر " أو " سواد الشعر " فى مقابل المشيب، ولذلك يجب أن نستثمر سنين الشباب، سنين الفجر، قبل أن تغرب وتضيع دون عودة ، فخطايا الشباب – كما يقول سبرجن –هى التى تضع الأساس لأحزان الكبر.

إنها دعوة متوازنة، دعوة لفرح حقيقى بعيداً عن التزمت والملل والرتابة والعبوسة، دعوة لفرح ممتلىء بالنور والإشراق، بالمرح والمشاركة الحلوة. وفى نفس الوقت هو فرح يبتعد عن الغم والشر، ويرتبط ويرقص مع الصلاح، ويستمتع بحضور الله وقيم الأبدية وصحة النفس والجسد معاً. يقول المرنم " نور قد زُرع للصديق وفرح للمستقيمى القلب" (مز ٩٧ : ١١). فهل تصحح

هذه الدعوة المتوازنة أسلوب حياتنا وفرحنا ومسراتنا بعيداً عن الشطط والغلو ذات اليمين أو ذات اليسار؟.

ثانياً : الحياة عطية منه فلنسمع صوته (١٢ : ١ – ٨)

تأتي هذه الأعداد استمراراً للأعداد السابقة، فهو بعد أن دعا الشباب إلى حياة الفرح الحقيقي المرتبط بالصلاح وحضور الله، يؤكد له في هذه الأعداد إن الطريق إلى ذلك هو أن تذكر خالقك صاحب العطية، وأن تسمع صوته وتحقق مشيئته، في أيام شبابك. والجامعة يستخدم الأسلوب المباشر في البداية (عدد ١) وفي النهاية (عدد ٧)، ولكن بين البداية والنهاية يتحدث من خلال العديد من الاستعارات والتشبيهات والصور الشعرية. ولا نريد أن يحدث لنا ما حدث مع العديد من الذين تعرضوا لهذا الجزء، إذ انزلقوا إلى التوقف أمام كل استعارة أو تشبيه، ولكن سنحاول أن نلقي الضوء على النص في إطار الفكرة الرئيسية، وهي أن فرصة الشباب هي الفرصة السانحة لاتخاذ قرار حياة التكريس والإنتماء لله، قرار إدراك الوجود كخليقة لله وهدف هذا الوجود (عدد ١)، ومعنى هذا الوجود الذي هو قلب كل السفر.

١-دعوة الشباب (عدد ١) :

ان كان الجامعة في الأعداد السابقة قد قال للشباب " افرح " (١١ : ٩) و " فانزع الغم وابعد الشر " (١١ : ١٠)، هنا يقول له " فاذكر خالقك في

أيام شبابك ....." . واختيـــار كلمـــة " خالقك " اختيار موفق، فالجامعة من البداية يذكرنا أن الله وحده هو الذى يرى نموذج الوجود كله " صنع الكل حسنا في وقته و أيضا جعل الأبدية في قلبهم التي بلاها لا يدرك الإنسان العمل الذي يعمله الله من البداية إلى النهاية" (٣ : ١١)، وأننا حاولنا أن نفسر ذلك باختراعاتنا " انظر هذا وجدت فقط أن الله صنع الإنسان مستقيما أما هم فطلبوا اختراعات كثيرة" (٧ : ٢٩) ، وقدرته على الخلق مستمرة ولا يمكن الإلمام بها لأنها فوق قدرتنا المحدودة " كما انك لست تعلم ما هي طريق الريح و لا كيف العظام في بطن الحبلى كذلك لا تعلم أعمال الله الذي يصنع الجميع" (١١ : ٥) ، ولذلك فدورنا ودعوتنا أن "نذكر" الذى عمل ومازال يعمل فينا.

والفعل " اذكر " لا يقصد به مجرد عملية التذكر العقلى، بل القصد هو رفض الاستقلال عن الله واتخاذ قرار تكريس نفوسنا له، والإخلاص والولاء والحب لشخصه. ويقول كيدنر إنه قرار أشبه بالقرار الذى أخذه المرنم تجاه مدينته عندما قال فى (مز ١٣٧ : ٥ و ٦) " إن نسيتك يا أورشليم تنسى يميني. ليلتصق لساني بحنكي إن لم أذكرك ان لم افضل أورشليم على أعظم فرحي " .

وهذا القرار يدعونا الجامعة أن يأخذه الشباب الآن، وهم ينظرون إلى المستقبل مدركين الأفق النهائى للحياة، والمنحنى الحتمى الذى تأخذه فيقول" قبل أن تأتى أيام الشر أو تجيء السنون إذ تقول ليس لى فيها

سرور". وعبارة " أيام الشـــر " أى الأيـــام الصعبـــة فـى الكـــبر، أيـام الأفول والذبول.

٢- مراحل الضعف (أعداد ٢ – ٥) :

نلاحظ إن كلمة " قبل " فى هذا النص كله (١٢: ١ -٧) كلمـة فاصلة . فهى فـى العدد الأول تحدد الدعـوة ، وهـى فـى العـدد الثـانى تحـدد مراحـل الضعف حتى العدد الخامس، وهى فى العدد السادس حتى نهاية الثامن تحدد نهاية الرحلة ..

وهذه الأعداد مزدحمة – كما سبق وأشرنا – بالاستعارات والتشبيهات والصـور التى تبرز مراحل الضعف التدريجى التـى تصيـب الإنسان وتلمّ بأعضائـه تدريجياً . ويقدم الجامعة صورتين رئيسيتين لتصوير هذه المراحـل، الأولى صورة العاصفة فـى (عـدد ٢) إذ " تظلـم الشـمس والنـور والقمـر والنجـوم وتـرجع السـحـب بعد المـطر " يقول Delitzsch أن الشمس هى الروح، و النور لفحص الذات الداخلية ، والقمر عنصر الحياة فى الجسد، والنجوم الحواس الخمس . ولكن الصـورة كلها تشير بصفة عامة إلى مشكلات التقدم فى العمر، وبداية انسحاب أنوار كثيرة من حياة الإنسان، ليس فقط ضعف الحواس ، بل أيضاً رحيل الأحباء والأصدقاء، توقف العادات والمناسبات أو تغيرها، وعدم القدرة على ممارسة الهوايات المحببة ... إلخ.

الصورة الثانية هي صورة لبيت قديم آخذ في الانهيار التدريجي (أعداد ٣-٥)، وهي صورة تصف أعراض ومظاهر تقدم العمر. من هذه المظاهر :

* تزعزع حفظة البيت أي ضعف الأذرع وعدم الحماية.
* تتلوى رجال القوة إلى وهن الأرجل (انظر مز ١٤٧ : ١٠).
* تبطل الطواحن لأنها قلّت أي تناقص وضعف الأسنان.
* تظلم النواظر من الشبابيك أي ضعف البصر في العيون.
* تغلق الأبواب في السوق أي تناقص الاتصال مع العالم الخارجي.
* ينخفض صوت المطحنة أي ضعف السمع وانقطاع الصلة بالعمل اليومي.
* يقوم لصوت العصفور أي نوم متقطع وبلا نظام واستيقاظ مبكر جداً.
* تُحط كل بنات الغناء أي عدم القدرة على التمتع بالموسيقى والغناء.
* يخافون من العالي وفي الطريق أهوال أي الخوف الزائد من المرتفعات والتردد في الخروج إلى الأماكن العادية.
* اللوز يزهر والجندب يستثقل أي تحول الشعر إلى الشيب وصعوبة حمل أي شئ مهما كان تافهاً.
* الشهوة تبطل أي انتهاء الرغبة والقدرة الجنسية.

كل هذه المظاهر التي تشير إلى مراحل الضعف والتدهور تؤكد اقتراب النهاية " لأن الإنسان ذاهب إلى بيته الأبدي والنادبون يطوفون في

الأســـــواق " (عـــدد ٥). فالموت هو الــذروة لعمليـــة تبدأ ببداية الحياة (رو ٨ : ١٠ مع فى ٣ : ٢١) .

٣- نهاية الرحلة (أعداد ٦-٨) :

هنا أيضاً يبدأ النهاية بكلمة " قبل " ثم يستخدم لغة تصويرية يعبر بها عن قيمـة وجمال الكيان البشرى من ناحية ، وهشاشة هذا الكيان من الناحية الأخـرى. ويقدم الجامعة أربعة تعبيرات تنقسم إلى ثنائيتين تصفان الموت (عدد ٦).

في الثنائية الأولى: كوز ذهبى موصول بسلسلة أو حبل من الفضة، وعندما تفصل السلسلة يسقط الكـوز ويتهشم بلا إمكانية للإصلاح ثانيـة. وفـى الثنائيـة الثانيـة: نجـد جرة تتدلى فى بئر عن طريق حبل ملفـــوف حـول بكـرة أو عجلة ، والصورة هنا هى صورة الأداة المحطمة سواء الجرة أو البكـــرة أو الأثنين معاً داخل البئر. والنتيجة الحتمية " فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها " (عـدد ٧) . فـالروح منه ولـه، هـو يعطيها وهو يعيدها إليه ثانيــة . وعندما يصـل الموت يكـــــــــرر ما بـــدأ بـه " باطل الأباطيـــل قــــال الجامعة الكل باطل " (عدد ٨) .

لكل هذا " اذكر خالقك فـى أيام شبابك "،اتخـذ قـرارك فـى الحـاضر وأنـت تنظر بوعى إلى المستقبل.

الخاتمة

المعلم والرسالة

(جا ١٢ : ٩ – ١٤)

" بقي أن الجامعة كان حكيماً و أيضاً علم الشعب علماً و وزن و بحث و أتقن أمثالا كثيرة. الجامعة طلب أن يجد كلمات مسرة مكتوبة بالاستقامة كلمات حق .كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة أرباب الجماعات قد أعطيت من راع واحد. و بقي فمن هذا يا أبني تحذر لعمل كتب كثيرة لا نهاية والدرس الكثير تعب للجسد. فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله وأحفظ وصاياه لأن هذا هو الإنسان كله. لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً" .

في هذه الأعداد التي يختتم بها الجامعة سفره ، نجد الحديث عن المعلم الحكيم (أعداد ٩–١٠) ، ثم الفاعلية والسلطة للتعليم (أعداد ١١–١٢) ، وأخيراً الرسالة والختام (أعداد ١٣ – ١٤).

١- المعلم الحكيم (أعداد ٩–١٠)

في هذين العددين نقف أمام شخص الجامعة وأمام أسلوبه وطريقته التي لمسناها في سفره الرائع هذا. فهو المعلم الحكيم الذي لا يهتم فقط بتراكم الحقائق المعرفية ، تراكم المعلومات، بل يهتم أيضاً بوصولها بوضوح إلى

الجميع، وبتطبيق هذه المعرفة فى الحياة.وهو المعلم الحكيم صاحب الخبرة والمهارة التى تظهر فى الأفعال الثلاثة " وزن " من الميزان ويعنى التقييم الدقيق والأمانة والحرص والاتزان، والفعل الثانى " بحث " يعنى العمق والشمول والمثابرة ، والفعل الأخير " أتقن " ويعنى التنظيم والترتيب الماهر فى تقديمه لمادته، كما استخدم الأمثال الكثيرة فى تقديم هذه المادة بغرض توضيح فكره.

وهنا نلاحظ الجهد الأمين والمخلص ، والفكر المتعمق الشامل المثابر، ومهارة الترتيب والتقديم، هذه كلها مؤهلات ضرورية للمعلم الحكيم ولرسالة التعليم التى تحتاج إليها الكنيسة الآن وغداً أكثر من أى وقت مضى ، فى عصر تدفقت فيه المعلومات عبر شبكاتها ، واخترقت كل الأفكار وستخترق كل الأسوار. وستكون الحاجة ماسة إلى المعلمين الحكماء المدعوين ، القادرين أن يمسكوا بأمانة وكفاءة بكلمة الله ليعلموا آخرين أيضاً (٢ تيمو ٢ : ٢)، وأن يقودوا شعب الله فى حكمة واتزان إلى الاتجاه الصحيح. يقول الرسول لتيموثاوس " إلى أن أجيء أعكف على القراءة و الوعظ والتعليم. لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخة. اهتم بهذا كن فيه لكي يكون تقدمك ظاهرا في كل شيء " (١ تيمو ٤ : ١٣-١٥).

هذا المعلم نجده فى (عدد ١٠) يربط عمق الفكر بروعة التعبير ، يربط المهارة بالصدق، المحبة بالشجاعة، الفنان بالباحث ليقوم بعمله بأفضل صورة

" الجامعة طلب أن يجد كلمات مُسرة (أى كلمات السرور المؤثرة والجاذبة والمحبة) مكتوبة بالاستقامة كلمات حق ". هذا هو التوازن الجميل بين المحبة والصدق، بين الشكل والمضمون. بين " كلمات مسرة " كلمات النعمة، وبين " كلمات حق " مكتوبة بالاستقامة (أف ٤ : ١٦).

٢-الفاعلية والسلطة (أعداد ١١-١٢)

من الطبيعى أن تكون لكلمات وتعليم هذا المعلم الحكيم، المتعمق والماهر، المحب والصادق الفنان والباحث، من الطبيعى أن تكون لكلماته الفاعلية والتأثير " كلام الحكماء كالمناسيس وكأوتاد منغرزة أرباب الجماعات".

و " المناسيس " عصى طويلة مدببة تستخدم فى نخس الحيوانات لتسرع فى سيرها، و " الأوتاد المنغرزة " أو المسامير التى تستخدم فى تثبيت الأشياء، " أرباب الجماعات إشارة إلى جماعات المعلمين أو وهذا هو الأقرب إلى التعاليم المجتمعة.

وهذه الكلمات تشير إلى الفاعلية والتأثير المزدوج الأول تحريك الإرادة " كالمناسيس " ، والثانى تأصيل وتثبيت وترسيخ التعليم فى الذاكرة " كأوتاد منغرزة ". أما سلطة كلام المعلمين الحكماء فتنبع من وحدة مصدر هذا الكلام " قد أعطيت من راع واحد " هو الله . ولقد ذكر الله فى (عدد ١) كالخالق ، ولكن فى عدد (١١) الراعى

القـريب (إرميا ٢٣ : ٢٣) at hand كما يقول كيدنر ، الـذى يعرف والـذى يمكن أن يُعَرف، الذى يتحـدث إلينا مـن خـلال الصـوت الإنسـانى، ويكـون كلامه نهائياً.

وفي عدد (١٢) نجد تحذيــــراً. وكلمة " تحـذر " تعنـى " تأخذ نصيحـة " أو " انصح نفسك" . والتحذير من عمل الكتب الكثيرة يتجـه أولاً إلى العـدد السابق، إلى الأقوال التى " أعطيـت من راع واحـد " . ولذلك يبدأ بالقول " بقى فمن هذا يا ابنـى تحـذر " ، أى لا تبتعـد عن الأقوال والكلمات التـى مصدرها الله،وعن التعليم الذى يستند إلى الكلمـة المقدسة، وأنـت مسئول عن ذلك.

كما أن التحذير يتجـه ثانية إلى مراعاة الإنسان لجسده فـالبحث والدراسـة الجـادة عمـل ذهنـى مرهـق جـداً، وبالتـالى يحتـاج الإنســان إلى العمــل المتوازن حتى لا يتأثر ويضعف جسده" فالدرس الكثير تعب للجسـد " ، وإلى معادلة التركيز الذهنى بالحركة الجسدية من خلال جهد رياضى منتظم.

٣- الرسالة والختام (الأعداد ١٣ – ١٤)

يصل بنا هذا المعلم الحكيم إلى رسالته الأخيرة وهدفه النهائى من كل أقواله فى سفره فيقول " فلنسمع ختام الأمر كله اتق الله واحفظ وصاياه ... ". والجامعة هنا يجيب على السؤال الرئيسى الذى بدأ به السفر " ما الفائدة للإنسان من كل تعبه الذى يتعبه تحت الشمس ؟ " (١ –٣)، أى ما فائدة ومعنى الحياة التى نحياها؟ ما الذى يأخذه الإنسان من كل تعبه وعمله ؟ . وفى إجابته يقول إن الفائدة والمعنى فى نوعية الحياة التى ترتبط بالإله الحى ، والفائدة والمعنى فى تقواه وفى طاعة كلمته.

والفعل " اتق " يأتى أحياناً فى بعض التراجم من كلمة " رؤية ". والمعنى أن تقوى الله هى رؤية الله فى مكانه الصحيح فى الحياة كالخالق والفادى والسيد. كما أن عبارة " اتق الله " تضعنا – كما يقول كيدنر – فى مكاننا، وتضع كل المخاوف والآمال والتطلعات فى مكانها الطبيعى.

يقول (أزوالد شامبرز) " إن ما يميز خوف الله أنك عندما تخاف الله لا تخشى أى شئ، وعندما لا تخاف الله تخاف من أى شئ". يقول إشعياء " قدموا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم " (إش ٨ : ١٣). ويقدم المرنم فى (مز ١١٢) وصفاً شاملاً للرجل الذى يتقى الرب، الذى يحيا فى طاعة وصاياه فيقول " هللويا طوبى للرجل المتقى الرب المسرور جداً بوصاياه" (مز ١١٢ : ١).

والجامعة يقدم لنا سببين أو دافعين لهذه النوعية من الحياة، حياة تقوى الله وطاعة وصاياه:

الأول : لأن هذه النوعية من الحياة هي حاجة الإنسان الكبرى، هي التي يجد فيها بدلاً من البُطل والعقم والتمزق والضياع، يجد فيها المعنى والحقيقة التي يبحث عنها، يجد فيها حقيقة وجوده هو، حقيقة كونه إنساناً فيقول " لأن هذا هو الإنسان كله " . وهذه العبارة يمكن ترجمتها بأكثر من صيغة مثل : " لأن هذه هي غاية الإنسان وهدفه في الحياة " (Wiersbe)، أو " لأن هذا ينطبق على كل إنسان " على اعتبار أن مصطلح " الإنسان كله " يعني في العبرية" كل إنسان " (جا ٣ : ١٣ ، ٥ : ١٩) (إيتون)، أو " هذا هو كل الإنسان " (كامبل مورجان). فعندما نظر الجامعة إلى الحياة تحت الشمس وجد الحيرة والعجز والألغاز والتمزق، وعندما نظر إلى الحياة من منظور الله تجمّع كل شئ إلى وحدة كلية. والإنسان لا يستطيع أن يجد معنى لوجوده لإنسانيته للإنسان كله، إلا عندما يرتبط بإلهه الحي الذي يتقيه ويحفظ وصاياه.

الثاني : " لأن الله يحضر كل عمل إلى الدينونة على كل خفي إن كان خيراً أو شراً " (١٤). وهي الحقيقة التي سبق وأعلنها في (١١ : ٩) واعلم أنه على هذه الأمور كلها يأتي بك الله إلى الدينونة " كما

سبق وقدمها فى (٣ : ١٧). ولكن الجديد فى هذا الإعلان الأخير هنا، أن الله سيحضر " كل عمل " و " كل خفى " إلى الدينونة. يقول (كيدنر) إن هذه العبارة توجز كل تعليم يسوع عن ملاحظته لكل شئ مهما كان صغيراً، كلمة بطالة تخرج من أفواهنا، عصفور يسقط على الأرض، كأس ماء بارد، توبة خاطئ واحد . يقول الرسول بولس فى (١ كور ٤ : ٥) " إذا " لا تحكموا فى شئ قبل الوقت حتى يأتى الرب الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب ... " ويقول موسى فى صلاته فى (مز٩٠ : ٨) " قد جعلت آثامنا أمامك خفياتنا فى ضوء وجهك ".

وأمام حقيقة الإنسان وحاجته أن يكون إنسانا وأن يجد معنى وجوده وحياته، وأمام دينونة الله العادلة لكل عمل ولكل خفى، تجئ رسالة الجامعة " إتق الله واحفظ وصاياه" اعرفه واسلك بصدق على ضوء هذه المعرفة... عندئذ تحيا الحياة كعطية منه.. " افرح " (١١ - ٩) .. و " أنزع الغم من قلبك وابعد الشر عن لحمك " (١١ : ١٠) .. و " أذكر خالقك " (١٢ : ١) ..وأخيرا " اتق الله واحفظ وصاياه ".

إننا أمام نوعين من الحياة : حياة " تحت الشمس " فقط مستقلة عن الله ، شعارها " باطل الأباطيل الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس " . وحياة الإيمان التى يكون فيها " كل شئ

لكم.. العالم .. الحياة .. الموت .. الحاضر .. المستقبل " كما يقول الرسول بولس فى (١ كور ٣ : ٢١ ، ٢٢).

ختـــــامــــــاً

إن هذا السفر يقول مايكل إيتون في نهاية تفسيره للجامعة يخاطب إنسان القرن العشرين الذى يعانى من كونه " قد ألقى به إلى الوجـود " ، وهـو يسأل لماذا كان الوجود بدلاً من العدم.

هذا القرن الذى حفل بكل تقدم وإنجاز مادى وثورات علمية وحركات تحرير .. إلخ، وفى نفس الوقت الحروب العالمية وثورات الطبيعة ومشاكل الفقر والبيئة وترك الإنسان العادى فيه إنساناً هشاً فارغاً، " الإنسان البلاستيك " ، ليس فقط لأن الإنسان اكتشف فى القرن العشرين البلاستيك وصنع منه كل شئ، بل لأن الإنسان نفسه أصبح إنساناً من البلاستيك. الحياة بالنسبة له لغز محير ، مستخدم ومستغل ، يفتقد الكرامة والخصوصية، يعانى الاغتراب والوحدة والتمزق والتمييز العنصرى والدينى والفقر و التلوث والإحساس الأليم بالعجز والمحدودية. إنسان يعبر عنه ألبير كامى بقوله " ليس هناك مشكلة واحدة فلسفية حقيقية إلا مشكلة الانتحار " ، وشوبنهاور بقوله " أوقفوا العالم أريد مغادرته " ، وبسكال بقوله " إننى مرعوب أمام صمت الفراغ اللانهائى".

إنسان يقضى وقته محتمياً بشاشة التليفزيون أو بالصحف الشعبية بأفكارها سابقة التجهيز وتسلياتها الفارغة.

لهذا الإنسان، إنسان القرن العشرين ، يتقدم الجامعة لا كفيلسوف بل كخادم ، يقدم كلمة من الله يتقاسمها مع الآخرين. يحاول أن يأخذ أسئلتنا وحيرتنا ثم يقول لنا : هل الحياة هي فقط الحياة هنا ؟ هل نملك إجابات لكل ألغاز الحياة ؟ ماذا لو كانت الأمور مختلفة عما فكرنا فيه؟ ماذا لو كان الله موجوداً ومصدراً لحياة رائعة ؟ وهل من الممكن أن يكون بطل الحياة وانعدام هدفها البشع منبثقاً فقط من حقيقة أنك لا تريد أن تؤمن بمثل هذا الإله؟.

لنترك الجامعة الآن .. إن رسالته لم تكتمل، لقد عاش قبل إشراق النور الكامل في المسيح يسوع. لقد رأى رؤيته من بعيد ، ولايزال يتركنا مع بعض الأسئلة، لأن الإجابة الكاملة نجدها في شخص الابن المبارك، الذى جاء ليعلن لنا أن الله تصالح معنا ونحن يجب أن نتصالح مع الله (٢ كو ٥ : ١٨ -٢٠). " لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدماً للجميع إيماناً إذ أقامه من الأموات " (أع ١٧ : ٣١).

وقبل أن نودع الجامعة لنضم صوتنا مع كل دارسٍ ومتأمل له قائلين :

يالـه مـن سفـر !

وياله من إله صالح !

ويالها من حياة !

ويالها من خطة !